

لمزيد من الكتب والأبحاث زوروا موقعنا مكتبة فلسطين للكتب المchorة

<https://palstinebooks.blogspot.com>

# أولوا العزم من الرسل

تأليف

محمد حمدي عبد الرحيم

(أبو حاتم)



# أولو العزم من الرسل

تأليف

محمد حمدي عبد الحميد  
(أبو حاتم)

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

٢٠٠٨ / ٤٧٢١

الترقيم الدولي

I S B N 977-17-5477-7

طبع بمطبعة مؤمن

شارع أحمد عرابي

أمام المجلس المحلي ببني سويف

## الأهدا

إلى .. حب الحب  
إلى .. روح القلب  
إليك .. حفيدي

## ﴿أحمد حاتم﴾

خرجت إلى النور مع خاتمة كتابي "أولو العزم من الرسل"  
فليكن مولدك خيرا وقرة عين لوالديك .. ولنا جميعا  
بارك الله فيك .. ووفقك على السير على هدى أولي العزم من الرسل ..  
وعلى هدي نبينا محمد صلى الله عليه وسلم  
الذي أضاء الله بنوره المشرق والمغارب ..  
إليك حفيدي أهدي كتابي ..  
وأدعوك أن يكون نورا لك على الطريق ..

حمدي عبد الحميد

## مُتَكَلِّمةٌ

الحمد لله رب العالمين قيوم السموات والأرض مدبر الخلق أجمعين  
باعت الرسل صلواته وسلمه عليهم إلى المكلفين لهدايتهم وبيان شرائع  
الدين بالدلالة القطعية وواضحت البراهين ( لنلا يكون للناس على الله  
حجّة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكينا ) ..  
أحمده على جميع نعمه واسأله المزيد من فضله وكرمه .. وأشهد أن لا  
إله إلا الله الواحد القهار الكريم الغفار ..  
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله وحبيبه وخليله أفضل خلق الله  
أجمعين ، المكرم بالقرآن العزيز المعجزة الخالدة على تعاقب السنين ،  
والسنن المستيرة للمترشدين ، المخصوص بجواب الكلم وسماحة  
الدين .

صلوات الله وسلامه عليه وعلى سائر النبيين والمرسلين وآلهم أجمعين  
أما بعد

يقول الله تعالى « نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا  
القرآن وإن كنت من قبله لمن الغافلين » سورة يوسف - آية ٣  
في قصص الأنبياء في القرآن الكريم ارتباط وثيق بين وحدة الرسالات  
الإلهية التي جاء بها النبيون من ربهم لأن كلمة لا إله إلا الله عقidiتهم ،  
وهي أفضـل ما قالـه سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم والنبيـون من قبلـه

وليس قصص القرآن مجرد حكايات ، وإنما هي عظات وعبر باللغات ودروس وتوجيهات وهدى ورحمة لقوم يؤمنون .. إنها تعليم إلهي وإرشاد رباني ينير الطريق لمن شاء أن يستقيم بالإخلاص لرب العالمين ..

والإيمان بالرسالات الإلهية السابقة واجب على كل مسلم ..  
يقول الله تعالى ( آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ) سورة البقرة – آية ٢٨٥  
وقد اختار الله سبحانه وتعالى الأنبياء من صفوته خلقه واختار الرسل منهم ، وختار أولو العزم من رسله وهم خمسة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام .

---

ونتناول في هذا الكتاب بعون الله وتوفيقه سيرة أولي العزم من الرسل في ستة أجزاء على النحو التالي :

الجزء الأول : الاحتياج إلى بعثة الرسل

الجزء الثاني : سيرة رسول الله نوح عليه السلام

الجزء الثالث : سيرة رسول الله إبراهيم عليه السلام

الجزء الرابع : سيرة رسول الله موسى عليه السلام

الجزء الخامس : سيرة رسول الله عيسى بن مریم عليه السلام

الجزء السادس : نستظل ونهتدي بسيرة خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا  
محمد صلى الله عليه وسلم  
وعلى الله توكلت وإليه أنيب .. ولله الحمد والنعمـة وبه التوفيق  
والعصمة .. اسألـه سبحانه أن يتقبل عملـي هذا ويجعلـه خالصاً لوجهـه  
الكريم ، وأن ينفعـ به من يقرأـه من أمةـ الحبيبـ محمدـ خاتـمـ الأنـبيـاءـ  
والمرـسلـينـ إـنـهـ سـمـيعـ مـجـيبـ

**المؤلف**

محمد حمدي عبد الحميد

(أبو حاتم)

# الجزء الأول

الاحتياج إلى بعثة الرسل

## الاحتياج إلى بعثة الرسل

شرع الله تعالى الدين لتنقية الروح والعقل من آية شائبة من الشوائب ..  
ولإصلاح الظاهر والباطن والقلب والعمل والسلوك والنية ..

ثم أكد الله تعالى قضية التوحيد مبيناً أن الدين الذي ارتضاه لعباده هو الإسلام فقال تعالى (إن الدين عند الله الإسلام) وهو يتناول في اطلاقه جميع الرسالات التي جاء بها الرسل .. والإسلام في معناه اللغوي هو الانقياد والطاعة ..

وما على الرسول إلا البلاغ .. والله تعالى هو البصير بعباده ويعلم المهدى والضال منهم ..

يقول الله تعالى « لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصال لها  
والله سميع عليم » <sup>١</sup>

وقد رُوي في سبب نزول هذه الآية أنه كان لرجل من الأنصار من بنى سالم بن عوف ابنيان متصرنان قبل مبعث الرسول صلى الله عليه وسلم ثم قدما المدينة في نفر من النصارى فلزمهما أبوهما وقال : لا أدعكم حتى تسلما ، فاختصموا إلى النبي صلى الله عليه وسلم ..

قال الرجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم : أدخل بعضي النار وأنا أنظر ؟

فأنزل الله تعالى قوله « لا إكراه في الدين ..... »

(١) سورة البقرة - آية ٢٥٦

وفي هذه الآية ما يدل على أن الرسول صلى الله عليه وسلم ليس عليهم  
بمسيطر وأنه لا يكره أحدا على الدخول في الدين ..

وقد كانت دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم للناس إلى الإسلام  
بالحكمة والموعظة الحسنة وأنه لم يكره أحدا على الدخول في الإسلام

---

وال المسلم يؤمن بأن إرسال الرسل نعمة من الله على عباده ، فإن تجارب  
البشر مهما بلغت لا يمكن أن تهديهم إلى سواء السبيل ولا أن تدلهم  
على المنهاج المستقيم لأن النظرة البشرية مهما اتسعت فهي قاصرة  
تدرك من الحقيقة طرفا ويغيب عنها الآخر <sup>١</sup>

ومن هنا احتاج بني آدم لهداية الله التي تعصّمهم من الضلال وترشدهم  
إلى الحق وتوضح لهم آفاق الحياة .

يقول الله تعالى «لقد أرسلنا رسالتنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب  
والميزان ليقوم الناس بالقسط» <sup>٢</sup>

فهل تعلم البشر من الأنبياء ؟ وهل انتفعوا برسائلات السماء ؟  
يقول الله تعالى «يا حسرة على العباد ما يأتينهم من رسول إلا كانوا  
به يستهزئون» <sup>٣</sup>

---

(١) د. مصطفى عبد الواحد ، شخصية المسلم كما يصورها القرآن ، ص ٨٣ ،  
الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤

(٢) سورة الحديد - آية ٢٥

(٣) سورة يس - آية ٣٠

وبإرسال الرسول قامت حجة الله على العباد ، واتضحت معالم الحقيقة ،  
وتميز النهج لمن يريد المسير ... فلقد نادى الرسول بالحق ودعوا إلى  
صراط الله وصبروا على الأذى والتكذيب ولاقوا الأموال في سبيل  
هداية البشر وإبلاغ الوحي إليهم ..

يقول الله تعالى «رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله  
حجَّةٌ بَعْدَ الرَّسُولِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا» <sup>١</sup>

ولقد اختار الله رسالته من صفة خلقه لإنقاذ البشرية وإبعادها عن  
مهاوي ال�لاك ..

ولكن .. كانت السُّلْطَنةُ العامةُ هي أن يواجه الأنبياء والرسل بالتكذيب  
والخداع ..

يقول الله تعالى «ولقد أرسلنا من قبلك في شيع الأولين وما يأتينهم  
من رسول إلا كانوا به يستهزئون» <sup>٢</sup>

والعجب أن موقف الأمم جميعاً من أنبيائهم لم يتغير على مر الزمان .  
فكل قوم استكروا أن يكون الرسول بشراً مثلكم ، وكانوا يظنون أنه لا  
يكون إلا ملكاً من السماء لا بشراً من الأرض ..

قال الله تعالى «قالوا إن أنت إلا بشر مثلنا تريدون أن تصدونا عما  
كان يعبد آباءنا فأتونا بسلطان مبين» <sup>٣</sup>

فطبيعة الدعوة تتضي أن يكون الرسول بشراً يمكنه الإقناع والبيان ..

---

(١) سورة النساء - آية ١٦٥

(٢) سورة الحجر - آية ١٠ ، ١١

(٣) سورة إبراهيم - آية ١٠

يقول الله تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم » <sup>١</sup>  
 ويقول سبحانه وتعالى « لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة » <sup>٢</sup>  
 ولكن الجاحدين كانوا يكذبون المرسلين ويقولون : « ... لو شاء ربنا  
 لأنزل ملائكة ، فبأنا بما أرسلتم به كافرون » <sup>٣</sup>  
 ولقد تشابهت التهم التي وجهت إلى المرسلين من طوائف الضالين :  
 فحين بعث محمد صلى الله عليه وسلم رماه الكافرون بأنه ساحر أو  
 مجنون .. وهي نفسها الفريدة التي رُمي بها الأنبياء قبله ..  
 يقول الله تعالى « كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا  
 ساحر أو مجنون أتواصوا به بل هم قوم طاغون » <sup>٤</sup>

- - -

ولقد أيد الله رسلاه بالمعجزات لتدل على صدقهم وثبتت دعواهم ،  
 فللمعجزة دلالة ناطقة على صدق الرسول وثبوت الرسالة ..  
 واقتضت الحكمة الإلهية أن تكون معجزات الأنبياء متفاوتة تناسب  
 أقوامهم وتلائم عصورهم ، فموسى عليه السلام تغلب على سحرة  
 فرعون ، وعيسى عليه السلام كان يُبرئ المرضى ويحيي الموتى بإذن  
 الله ، وكلنبي كانت له معجزات تقنع قومه وتجمعهم على الإيمان ..

- (١) سورة إبراهيم – آية ٤
- (٢) سورة الأحزاب – آية ٢١
- (٣) سورة فصلت – آية ١٤
- (٤) سورة الذاريات – آية ٥٢ ، ٥٣

أما محمد صلوات الله وسلامه عليه فقد كانت معجزته الخالدة هي القرآن الكريم معجزة العقل والعلم لتناسب تقدم البشرية واتساع آفاقها وبلغها مرحلة الرشد والتضوّج<sup>١</sup> والمسلم يؤمن بالأنبياء والرسل جميعاً، ويعلم أن ذلك أصل من أصول الدين ..

يقول الله تعالى «آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله»<sup>٢</sup>

---

ومن هنا وجوب تصديق الرسل فيما جاءوا به وطاعتكم فيما أمرتم به ، فإنه لا سبيل إلى السعادة والصلاح في الدنيا والآخرة إلا على أيدي الرسل ، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث إلا من جهتهم ولا ينال رضا الله سبحانه وتعالى إلا على أيديهم فالطيب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم توزن الأقوال والأعمال والأخلاق وبمتابعتهم يتميز أهل الهدى من أهل الضلال ، فالضرورة إليهم أعظم من ضرورة البدن إلى روحه والعين إلى نورها ، فما ضرورة وحاجة فرضت ضرورة العبد وحاجته إلى الرسل فوقها بكثير<sup>٣</sup>

(١) د. مصطفى عبد الواحد ، شخصية المسلم كما يصورها القرآن ، ص ٨٩ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، ١٩٨٤

(٢) سورة البقرة - آية ٢٨٥

(٣) الإمام قيم الجوزي - زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج ١ ، ص ٢٠

## الأنبياء والرسل ... وأولوا العزم من الرسل

وقد اختار الله سبحانه الأنبياء من صفة خلقه كما سبق القول وهم مائة وأربعة وعشرون ألفا .. واختار الرسل منهم وهم ثلاثة عشر رسولا على ما في حديث أبي ذر الذي رواه أحمد وابن حبان في صحيحه ...

واختار الله أولي العزم منهم وهم خمسة المذكورين في سورة الأحزاب وسورة الشورى في قوله تعالى ( وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مریم )  
وقال تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » <sup>١</sup>

وقد اختارهم الله سبحانه ليعبدوا الله ويدعوا إلى عبادته وأن يصدقوا بعضهم بعضا وأن ينصحوا لقومهم ..

وقد خصهم الله سبحانه بذلك لأنهم أولي العزم من الرسل ..  
وتقدم ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مع تأخر زمانه فيه من التشريف له والتعظيم ما لا يخفى ( وأخذ منهم ميثاقا غليظا ) أي عهدا شديدا على الوفاء بما حملوا وما أخذه الله عليهم في الوفاء بهذا الميثاق ومنه تبليغ الرسالة إلى قومهم .

---

( ١ ) الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزييه ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج ١ ، ص ٩

والفرق بين الأنبياء والرسل أن الرسول يكون صاحب الشريعة،  
والأنبياء بعثوا على شرائع الرسل ، فكل رسول نبي وليس كلنبي  
رسول<sup>١</sup>

وقد عرف الإمام ابن تيمية الأنبياء والرسل فقال :  
النبي هو الذي أوصى الله إليه أن يدعوا الناس إلى شريعة رسول قبله  
بين قوم مؤمنين .

والرسول هو الذي يبنّيه الله تعالى ثم يأمره أن يبلغ رسالته إلى قوم  
كافرين .<sup>٢</sup>

وقد ذكر في القرآن الكريم خمسة وعشرون رسولاً بأسمائهم وهم :  
آدم ونوح وإبراهيم واسحق ويعقوب وداود وسليمان وأيوب ويوف  
وموسى وهارون وزكريا ويوحنا وادريس والياس وأسماعيل واليسع  
ويونس ولوط وصالح وهود وشعيب ذو الكفل وعيسى ومحمد عليهم  
جميعا الصلاة والسلام ..

وقد بعث الله سبحانه وتعالى رسلًا آخرين لم تذكر أسمائهم في القرآن  
الكريم ..

يقول الله تعالى « ولقد أرسلنا رسلًا من قبلكَ منْهُمْ مَنْ قصصنا عَلَيْكَ  
وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ »<sup>٣</sup>

( ١ ) الإمام عبد الله محمد بن ادريس الشافعي ، الفقه الأكبر ، إعداد محمد محمود  
محمد فرغلي ، ص ٩٤

( ٢ ) الإمام ابن تيمية ، كتاب النبوات ، ص ٢٥٥

( ٣ ) سورة غافر - آية ٧٨

ولقد أنزل الله على رسله كتاباً سماوية تحوي حقائق الدين ، وتجمع  
أحكام الشرائع وقد أخبرنا القرآن الكريم باربعة كتب سابقة أنزلت على  
أربعة من المرسلين ..

التوراة ..... على موسى عليه السلام

الإنجيل ..... على عيسى عليه السلام

الزبور ..... على داود عليه السلام

الصحف ..... على إبراهيم عليه السلام

يقول الله تعالى «إِنَّا أَنْزَلْنَا التُّورَةَ فِيهَا هُدٰى وَنُورٌ»<sup>١</sup>

وقال تعالى «وَقَفِينَا عَلٰى آثَارِهِمْ بِعِيسَى بْنِ مَرِيمٍ مَصْدِقاً لِمَا بَيْنَ يَدِيهِ

مِنَ التُّورَةِ وَأَتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدٰى وَنُورٌ»<sup>٢</sup>

وقال تعالى «وَأَتَيْنَا دَاؤِدَ زَبُورًا»<sup>٣</sup>

وقال تعالى «أَمْ لَمْ يَنْبَأْ بِمَا فِي صَحْفِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَىْ»<sup>٤</sup>

فتاك كتب أربعة

أما القرآن الكريم فهو آخر كتاب من السماء .. وقد جاء مصدقاً لحقائق  
الكتب قبله ، ومبطلاً للمزاعم التي أشاعها المفترون ، ومبيناً للحقيقة  
التي ضلت عنها البشرية في كثير من العصور .. كما قال الله في كتابه

(١) سورة المائدة – آية ٤٤

(٢) سورة المائدة – آية ٤٦

(٣) سورة النساء – آية ١٦٣

(٤) سورة النجم – آية ٣٦ ، ٣٧

العزيز « وما أنزلنا عليك الكتاب إلا لثبين لهم الذي اختلفوا فيه  
وهدى ورحمة لقوم يؤمنون » <sup>١</sup>

وبنينا صلى الله عليه وسلم أفضل الأنبياء ..

يقول صلى الله عليه وسلم : " أنا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر ،  
وأنا أول من تشق عن الأرض ولا فخر ، ويبدي لواء الحمد ولا فخر  
آدم ومن دونه تحت لواني ولا فخر ) رواه الإمام أحمد

ويتحدث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن فضائل القرآن الكريم  
فيقول : " فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم .. وهو  
بالفصل ليس بالهزل .. من تركه من جبار قصمه الله .. من ابتغى  
الهدى من غيره أضله الله .. هو حبل الله المtin ، وهو الذكر الحكيم  
وهو الصراط المستقيم ، وهو الذي لا تزيع به الأهواء ، ولا تلتبس به  
الألسنة .. ولا يشبع منه العلماء ، ولا يخلق عن كثرة الرد ، ولا  
تنقضي عجائبه .. من قال به صدق ، ومن عمل به أجر ، ومن حكم به  
عدل ، ومن دعى إليه هدى إلى صراط مستقيم " رواه البيهقي في

الشعب

## الإسلام هو دعوة كل الرسل ١

إن الإسلام هو دعوة كل الرسل ، ويتناول اطلاقه جميع الأديان التي أمر الله تعالى رسleه أن يبلغوها للناس ، لأن روحها الكلي على اختلاف في بعض التكاليف والأعمال وينصوّي الإنسان تحت راية الإسلام عندما تصح عقidiته وتخلص من كل شائبة من شوائب الشرك والتفاق ، ويخلص في إيمانه وعمله لله تعالى ..... وهذا هو المراد بقوله تعالى  
« ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه » <sup>٢</sup>

فالإسلام بمفهومه القرآني المشرق اسم للدين الإلهي الذي جاء به جميع الأنبياء والرسل وانتسب إليه أتباعهم جميعا ....  
يقول نوح لقومه « وأمرت أن أكون من المسلمين » <sup>٣</sup>  
ويوصي يعقوب بنيه قائلًا « فلا تموتون إلا وأنتم مسلمين » <sup>٤</sup>  
ويجيب أبناء يعقوب أباهم قائلين « نعبد إلهك وإله آبائك إبراهيم  
واسمعائيل واسحاق إليها واحدا ونحن له مسلمون » <sup>٥</sup>  
ويقول موسى عليه السلام لقومه « إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن  
كنتم مسلمين » <sup>٦</sup>

---

(١) د. أحمد عمر هاشم ، من هدي الشريعة ، ص ١٤ ، ١٤١٦هـ ، ١٩٩٥ - ١٩٩٦م

(٢) سورة آل عمران - آية ٨٥

(٣) سورة يونس - آية ٧٢

(٤) سورة البقرة - آية ١٣٢

(٥) سورة البقرة - آية ١٣٣

(٦) سورة يونس - آية ٨٤

ويقول بعض أهل الكتاب حين سمع القرآن « قالوا آمنا به إنه الحق  
من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين » <sup>١</sup>

وقد وجه القرآن الكريم الأمة الإسلامية إلى بيان هذه الحقيقة في قول الله تعالى « شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذى أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » <sup>٢</sup>

كما خاطب الله تعالى الرسل جميعاً مبيناً أن الإسلام والتوحيد قد أمر به كافة الرسل عليهم الصلاة والسلام وكافة الأمم كأمة واحدة متحدة في أصول الشرائع لا تتبدل بتبدل العصور ..

يقول الله تعالى « وإن هذه أمتكم أمة واحدة وأننا ربكم فاتقون » <sup>٣</sup>  
وتتلخص دعوة الملة القيمة في التوحيد الخالص لله الواحد الأحد ، مع اتباع جميع الأحكام المنوطبة باتباع الإسلام كما قال الله تعالى « وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويبذلوا الزكاة وذلك دين القيمة » <sup>٤</sup>

---

( ١ ) سورة القصص - آية ٥٣

( ٢ ) سورة الشورى - آية ١٣

( ٣ ) سورة المؤمنون - آية ٥٢

( ٤ ) سورة البينة - آية ٨٥

وقوله تعالى «قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون» <sup>١</sup>

### علاقة الإسلام بالأديان الأخرى

علاقة الإسلام بالأديان الأخرى علاقة الشيء بنفسه مadam جوهره هو جوهر كل الرسالات ، ودعوة رسوله هي دعوة كل الرسـل ..  
وأما ما اختصت به العقيدة الإسلامية الخاتمة من شرائع وأحكام فهذا مدلول معين على شريعة معينة .. وعلاقة الإسلام كشريعة للرسول صلوات الله وسلمـه عليه بالأديان الأخرى تقوم على أساس تصديق القرآن لما بين يديه من الكتب والهيمنة عليها ..

وهذه العلاقة تأخذ اتجاهين واضحين

الاتجاه الأول : علاقـة الإسلام بالشرائع السماوية قبل تطورها وتغييرها

الاتجاه الثاني : علاقـته بها بعد تطورها وتغييرها

اما عن الاتجاه الأول .. فالقرآن جاء مصدقاً لما قبله من الكتب ، وقد أخذ رب العزة سبحانه وتعالى على كلنبي إذا جاءه رسول مصدق لما معه أن يؤمن به وينصره .. وتصديق الكتب المتأخرة للمنتقدمة لا يعني أنها لا تغير منها شيئاً ، فهي مع أنها مصدقة لها إلا أنها تغير منها كما حدث أن جاء الإنجيل بتعديل أحكـام التوراة - على رأـي - فاعلن عيسى عليه السلام أنه جاء ليحل لبني إسرائـيل بعض الذي حرم عليهم .

---

( ١ ) سورة البقرة - آية ١٣٦

وأيضاً فقد جاء القرآن الكريم بتعديل بعض أحكام الإنجيل والتوراة إذ أعلن أن الرسول صلى الله عليه وسلم جاء ليحل للناس كل الطيبات ويحرم عليهم كل الخبائث ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم ..

وليس في هذا تناقض من اللاحق للسابق ، ولا إنكار منه له وإنما هو توافق وتناسب للزمن الذي تعيشه كل أمة ، ليتواءم مع ظروفها وطبيعتها وأطوارها المختلفة ، فإن الذي يتاسب مع أمة من الأمم في طورها الأول قد لا يتاسب معها في الطور الثاني ، والذي يتاسب معها في الطورين الأولين قد لا يتاسب معها في الطور الثالث وهذا ..  
نعم .. هناك من الأمور ما تأذن الشريعة اللاحقة بإيقاؤه واستمراره في نطاق ظروفه السابقة كالوصايا العشر مثلاً ما عدا الوصية العاشرة التي تحرم العمل يوم السبت ، فمثل ذلك من التشريعات مؤقتة بأجل طويلة أو قصيرة فهي تنتهي بانتهاء وقتها ، وتتأتي الشريعة اللاحقة بما يواكب الأوضاع مصداقاً لقوله تعالى « ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بخير منها أو مثلها » <sup>١</sup>

إذا وفي كل شريعة من الشرائع عنصران ضروريان للدعوة :  
عنصر مستمر يربط حاضرها ب الماضيها ...  
وآخر غير مستمر ، ويقوم بالتجديد بما يتاسب مع تطورها في كل زمان ومكان ..

---

( ١ ) سورة البقرة - آية ١٠٦

فمثلا نرى شريعة التوراة تنص ضمن قوانين السلوك الأخلاقي طلب العدل والمساواة - مع اليهود - ونرى شريعة الإنجيل تقرر هذه المبادئ وتزيد عليها - عند من يرى الإنجيل شريعة منفصلة عن شريعة التوراة - فيه ( لا تراء الناس بفعل الخير ) و ( أحسن إلى من أساء إليك ) وأوضح ما فيها التسامح والإحسان وتأتي شريعة القرآن فتقرر المبدئين معا « إن الله يأمر بالعدل والإحسان » <sup>١</sup>

« جزاء سينة سينة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله » <sup>٢</sup>  
وقال تعالى « وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولنن صبرتم لهو خير للصابرين » <sup>٣</sup>

وقد أضافت الشريعة الإسلامية كل مكارم الأخلاق ، فلم تدع جانبها من جانب السلوك في التحية والاستذان والمجالسة والمخاطبة وما إلى ذلك من الآداب السامية والأخلاق الرفيعة كما هو موضح في سور النور والحجرات والمحادلة ..

إذا فالشرائع كلها بمثابة اللبنات في بناء الدين ، ومهمة اللبننة الأخيرة إكمال البناء وإمساكه وبلوغه الكمال الخلقي كما قال عليه الصلاة والسلام ( إنما بعثت لأنتم مكارم الأخلاق ) وقد وصف الله تعالى

( ١ ) سورة النحل - آية ٩

( ٢ ) سورة الشورى - آية ٤

( ٣ ) سورة النحل - آية ١٢٦

رسوله صلى الله عليه وسلم بأكمل وصف وأعظم خلق إذ يقول سبحانه  
وتعالى للرسول صلى الله عليه وسلم « وإنك لعلى خلق عظيم » <sup>١</sup>  
 فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الإنسانية ، وخاتم النبيين فليس  
بعده نبوة ولا رسالة ، فرسالته قد جمعت أصول الدين التي تستجيب  
لحاجة الإنسانية في كل زمان .. فهو قد أكمل البناء وختم الرسالات  
.... كما يقرن عن نفسه : " إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلني كمثل رجل بنى  
بيتا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به  
ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فانا اللبنة وأنا  
خاتم النبيين " رواه البخاري

ويقول القرآن الكريم في بيان إكمال الدين وإتمام النعمة الإلهية على  
العباد على يدي خاتم المرسلين صلى الله عليه وسلم « اليوم أكملت لكم  
دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا » <sup>٢</sup>  
وأما عن علاقة الإسلام بالأديان السماوية الأخرى بعد تطويرها  
وتغييرها : فقد عرفنا أن القرآن الكريم جاء مصدقاً لما بين يديه من  
الكتب ومهيمناً على تلك الكتب ، والهيمنة تعنى الحراسة الأمنية عليها  
والحماية الوعائية لها ..

---

( ١ ) سورة القلم - آية ٤  
( ٢ ) سورة المائدة - آية ٣

وهكذا كانت مهمة القرآن الكريم .. نفي وجود الأمور الزائدة وتحدى  
ادعاء وجودها في الكتاب «**قُلْ فَأَتُوا بِالْتُّورَاةِ فَاتَّلُوْهَا إِنْ كُنْتُمْ**  
**صَادِقِينَ**»<sup>١</sup>

وإيراز ما أخنوه «**يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يَبْيَنُ لَكُمْ كَثِيرًا مَا**  
**كُنْتُمْ تَخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ**»<sup>٢</sup>

فعلاقة الإسلام إذا بالأديان الأخرى في طورها الأول علاقة تأييد كلي  
وأما في طورها الأخير المتتطور فهي تصدق لما بقي من أجزاءها  
الأصلية وتصحّح لما طرأ من البدع والإضافات الغريبة عنها ...

وقد أمر الإسلام أتباعه بالتعامل الحسن حتى مع أبعد الأديان عنه كما  
قال الله تعالى في كتابه الحكيم

«**وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ إِسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ**  
**أَبْلَغْهُ مَا مَنَهُ ذَلِكَ بَأْنَهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ**»<sup>٣</sup>

إن سماحة الإسلام لتنفس جوانبها وتندد ظلال الأمان فيها وارفة فتجبر  
المشرك وتوؤيه وتケفل له الأمان ، وتقدم له الرشد الناجح ، والتوجيه  
السديد بالحكمة والموعظة الحسنة كما قال تعالى «**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ**  
**بِالْحَكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**»<sup>٤</sup> ،  
بل وتكفل له الحماية والرعاية والأمان من كل غالبة ...

(١) سورة آل عمران - آية ٩٣

(٢) سورة العنكبوت - آية ١٥

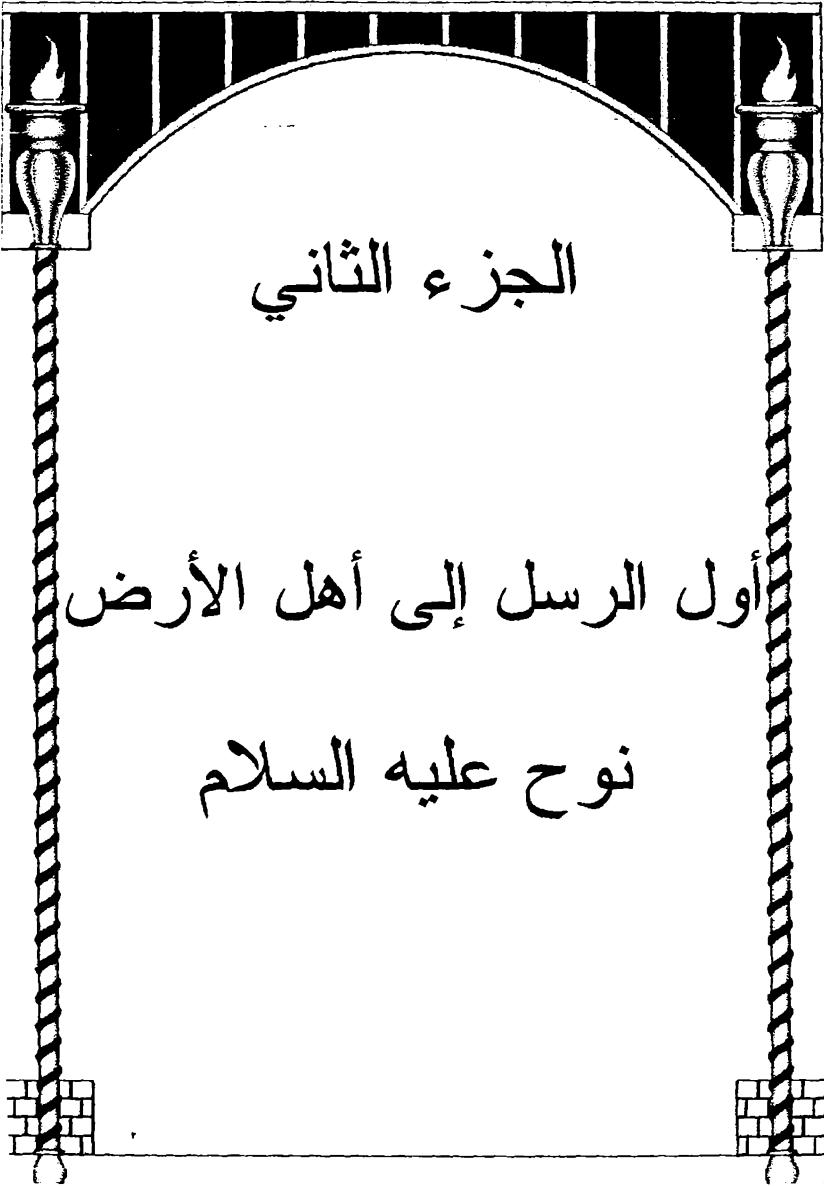
(٣) سورة التوبه - آية ٦

(٤) سورة النحل - آية ١٢٥

كما ندب الإسلام أتباعه أن يكون موقفهم من غير المسلمين موقف بربور حمة وقسط وعدل .. يقول الله تعالى « لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخربوكم من دياركم أن تبروهم وتقسّطوا  
إليهم إن الله يحب المتساوين »<sup>١</sup>

---

( ١ ) سورة الحجرات - آية ٩



## الجزء الثاني

أول الرسل إلى أهل الأرض

نوح عليه السلام

هونبي الله ورسوله نوح عليه السلام بن ملك بن متولىخ .. وأمه  
 فييسوس . ولد بعد وفاة آدم بعشرة وست وعشرين عاما ..<sup>١</sup>  
 وقد بعث الله تعالى نوح عليه السلام لما عبدت الأصنام والطواحيث  
 وانتشر الفساد في الأرض وعم البلاء ، وشرع الناس في الضلال  
 والكفر فبعثه الله رحمة للعباد يدعوهم إلى عبادة الله وحده ..  
 فلما بعث الله نوحا عليه السلام إلى قومه ، وكان يقال لهم بنو راسب  
 كما ذكر ابن جبير وغيره .. دعاهم إلى عبادة الله وحده لا شريك له  
 وألا يعبدوا معه صنما ولا تمثلا ولا طاغوثا ، وأن يعترفوا بوحدانية  
 الله ، وأنه لا إله غيره ، ولا رب سواه كما أمر الله تعالى ..  
 وتعددت دعوة نوح لقومه فدعاهم في الليل والنهار ، والسر والعلن  
 بالترغيب تارة وبالترهيب تارة أخرى ، وكل هذا لم ينجح فيهم ، بل  
 استمر أكثرهم على الضلال والطغيان وعبادة الأصنام والأوثان ،  
 ونصبوا له العداوة في كل وقت وأوان ، وتنقصوه وتنقصوا من آمن به  
 وتوعدوهم بالرجم والإخراج ونالوا منهم وبالغوا في أمرهم وقال له  
 السادة الكبار من قومه « إنا لنراك في ضلال مبين »<sup>٢</sup>  
 « قال يا قوم ليس بي ضلاله ولكنني رسول من رب العالمين »<sup>٣</sup>

(١) الإمام جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي المتديس (ابن المبيّن)  
 شرح وتعليق أحمد صلاح الدين لأحمد ، الشجرة النبوية في نسب خير البرية  
 صلى الله عليه وسلم ، دار حراء ، القاهرة ، الطبعة الثالثة ٢٠٠٧

(٢) سورة الأعراف ، آية ٦٠  
 (٣) سورة الأعراف - آية ٦١

أي لست كما تزعمون من أني ضال ، وإنما أنا على الهدى المستقيم  
رسول من رب العالمين الذي يقول للشئ كن فيكون ..  
نزل نوح إلى قومه في يوم عيد لهم يسجدون فيه للأصنام ..  
فأخذته الغيرة فوضع إصبعيه في أذنيه ورفع صوته - وكان جهوري  
الصوت - وقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا معبد سواه ،  
اعبدوا الله واقتوه وأطیعوه يغفر لكم من ذنبكم فوقعت الأصنام على  
وجوهها ، فآمن به عدد قليل من قومه وكان أول من آمن به امرأة  
اسمها عموراً تزوجها وهو ابن خمسة سنّة فولدت له سام وحام  
ويافت .. (تاريخ الطبرى)

---

وتعجب قوم نوح أن يكون بشر رسول ، وتنقصوا من اتبعه ، ورأواهم  
أراذلهم ، ونعتوهم بأنهم من أفند الناس وهو ضعفاؤهم وقالوا : إنك قد  
أغريت الضعفاء ، وأنك بمجرد دعوتهم استجابوا لك من غير نظر ولا  
روية ..

سبحان الله - إن الذي رموهم به هو عين ما يُمدحون بسببه فإن الحق  
الظاهر لا يحتاج إلى روية ولا فكر ولا نظر ، بل يجب اتباعه متى  
ظهر ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مادحا الصديق : " ما  
دعوت أحدا إلى الإسلام إلا كانت له كبوة غير أبي بكر فإنه لم يتلعث "   
ولهذا كانت بيته يوم السقيفة أيضا سريعة من غير نظر ولا روية لأن

أفضليته على من عداه ظاهرة جلية عند الصحابة رضي الله عنهم  
جميعا ..

وقال كفراة قوم نوح له ولمن آمن معه إنه لم يظهر لكم أية ميزة علينا  
بعد إيمانكم ..

ويتلطف النبي الله نوح عليه السلام في الرد على قومه فيقول لهم  
«رأيتم إن كنت على بينة من ربى واتقني رحمة من عنده فعميت  
عليكم أنزلزمكموها وأنتم لها كارهون »<sup>١</sup>

يقول لهم : إذا كان الله قد حباني بالنبوة والرسالة فلم تفهموها ولم  
تهادوا إليها أنجبركم عليها .. إنه ليست لي فيكم حيلة ، ولا أريد منكم  
أجرا على إبلاغي إليكم ما ينفعكم في دنياكم وأخراكم ، إني لا أطلب  
ذلك إلا من الله الذي ثوابه خير لي وأبقى مما تعطوني أنتم ، إنه هو  
الرزاق وحده ، لا يرزق غيره ..

وطلب قوم نوح منه أن يبعد من آمن به عنه ، ووعدوه أن يجتمعوا به  
إذا هو طردتهم .. فأبى عليهم ذلك وقال « وما أنا بطارد المؤمنين . إن  
أنا إلا نذير مبين »<sup>٢</sup>

وقال لهم : أنا عبد رسول ، لا أعلم من علم الله إلا ما أعلمني به ، ولا  
أقدر إلا على ما أقدرني عليه ، ولا أملك لنفسي نفعا ولا ضرا إلا ما  
شاء الله ..

---

( ١ ) سورة هود – آية ٢٨

( ٢ ) سورة الشعرااء – آية ١١٤ ، ١١٥

وقد تطاول الزمان والمجادلة بين نوح وقومه ، فلم يؤمن به إلا القليل منهم وكان كلما انقرض جيل وصتوا من بعدهم بعدم الإيمان به ومحاربته ومخالفته وكانت سجاياهم تأبى الإيمان واتباع الحق ..  
 « قلوا يا نوح لقد جادلتنا فاكتثرت جدالنا فافتتنا بما تعددنا إن كنت من الصادقين . قال إنما يأتيكم به الله إن شاء وما أنت بمعجزين » <sup>١</sup>

أي إنما يقدر على ذلك الله عز وجل فإنه الذي لا يعجزه شيء ولا يكتره أمر .. إنما هو الذي يقول للشئ كن فيكون ومن يرد الله فتنته فلن يملك أحد هدایته فهو الذي يهدي من يشاء ويُضل من يشاء وهو الفعال لما يريد ، وهو العزيز الحكيم العليم بمن يستحق الهدایة ومن يستحق الغواية ، وله الحکمة البالغة والحجۃ الدامنة ، إن الله قادر أن يأتيهم بالعذاب إن شاء ، وإنهم لن يستطيعوا الهرب منه لأن الله سبحانه لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء ..

هناك دعا نوح ربه واشتكي إلىه **﴿ قال ربی إنی دعوت قومی لیلا ونهارا فلم یزدهم دعائی إلا فرارا . وإنی كلما دعوتهم لتغفر لهم جعلوا أصابعهم في آذانهم واستغشوا ثيابهم وأصروا واستکبروا استکبارا ﴾** <sup>٢</sup>

نسب نوح عصيان قومه إليه ولم يقل عصوا الله ولم يقبلوا دعوته ، وإنما نسب العصيان إليه تأدبا مع ربه سبحانه وتعالى ..

(١) سورة نوح - آية ٣٢ ، ٣٣

(٢) سورة نوح - آية ٥ : ٧

ودعاء نوح ربه أن يغفر له .. ودعاء نوح هو الأدب النبوى الكريم فى حضرة الله العلي العظيم .. أدب العبد فى حضرة الرب .. العبد الذى لم ينس أنه بشر وأنه يخطئ ويصيب ، وأنه لا يدخل الجنة بعمله إلا أن يتغمده الله بفضله ، كما قال أخوه النبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم .. وهذا هو الاستغفار الذى دعا به قومه العصاة الخاطئين إليه فاستكروا عليه وها هو النبي يستغفر بعد كل هذا الجهد وكل هذا العناد يستغفر وهو يقدم لربه سجل الحساب <sup>١</sup>

### عمل السفينة

ومضى قرن بعد قرن ما استجابوا له حتى لبث فيهم ألف سنة إلا خمسين عاماً يدعوهم إلى الله أسراراً وإعلانات .. فلما أراد الله إهلاكم استجابة لدعاء نبيهم أمره أن يغرس شجرة فغرس نوح الشجرة فكانت عظيمة ثم أمره الله بقطعها بعد أربعين سنة ( تاريخ الطبرى ) وأوحى الله إليه « أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن فلا تبتئس بما كانوا يفعلون . واصنع الفلك بأعيننا ووحيينا ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون » <sup>٢</sup>

فأخذ نوح في صنع السفينة ، وكان قومه يستهزئون به ويسخرون منه بقولهم يا نوح قد صرت بعد النبوة نجارا ، وكانوا يستبعدون وقوع ما

( ١ ) الشيخ سيد قطب ، في ظلال القرآن ، ص ٣٧١٧  
( ٢ ) سورة هود – آية ٣٦ ، ٣٧

توعدهم به ، ويقولون يا نوح : تعمل السفينة في البر فكيف تجري !!  
وكان نوح يصبر على سخريتهم وتطاولهم عليه ..

إنه مثل سائر رسل الله على درجة عالية من الصبر على ما لاقوا من  
قومهم .. نادوا بالحق .. ودعوا إلى صراط الله ، وصبروا على الأذى  
والتكذيب ولاقوا الأهواز في سبيل هداية البشر وإبلاغ الوحي إليهم ..  
ويرد نوح على قومه وعلى سخريتهم منه واستهزائهم به وبمن آمن  
معه فيقول : نحن الذين نسخر منكم ونتعجب استمراركم على كفركم  
وعنادكم الذي يقتضي وقوع العذاب بكم وحلوله عليكم ..

وقد كانت سجايدهم الكفر الغليظ والعناد البالغ في الدنيا والآخرة فإنهم  
يجدون أيضاً أن يكون جاءهم رسول ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يجئ نوح عليه السلام وأمته  
فيقول الله عز وجل له : هل بلغت ؟ فيقول : نعم ، أي رب .. فيقول  
رب العزة لأمته : هل بلغتم ؟ فيقولون : لا .. ما جاء لنا من نبي ..  
فيقول الله لنوح : من يشهد لك ؟ فيقول نوح : محمد وأمته .. فشهادته  
قد بلغ " ..

يقول الله تعالى «وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على  
الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً» <sup>١</sup>  
ويصنع نوح السفينة بوحي من الله تعالى ..

---

( ١ ) سورة البقرة - آية ١٤٣

وكان ارتفاع سفينة نوح ثلاثة ذراعا ، وكانت ثلاثة طبقات كل واحدة عشرة أذرع ، فالسفلى للدواب والوحش ، والوسطى للناس ، والعلية للطيور .. وكان بابها في عرضها ، ولها خطاء من فوقها مطبق عليها وقد اختلفوا في طولها ..

---

وأمر الله نبيه نوح أن يحمل في السفينة من كل زوجين اثنين من الحيوانات وسائر ما فيه روح .. وأن يحمل معه أهله إلا من كان كافرا فإنه قد نفذت فيه الدعوة التي لا ترد ، ووجب عليه حلول البأس الذي لا يرد ، وأمره لا يراجعه فيهم إذا حل بهم ما يعانونه من العذاب العظيم الذي قد حتمه عليهم الفعل لما يريده ..

وأمره أن يحمد ربه على ما سخر له من هذه السفينة فنجاه بها وفتح بينه وبين قومه وأقر عينيه ومن خالقه وكذبه .. وأمره بالدعاء في ابتداء الأمور أن يكون على الخير والبركة وأن تكون عاقبتها محمودة وقد امتنى نوح عليه السلام لأمر ربه فقال للمؤمنين من قومه « اركبوا فيها باسم الله مجرهاها ومرساها إن ربى لغفور رحيم » <sup>١</sup>

أي على اسم الله ابتداء سيرها وانتهاها ..

وركب نوح السفينة مع المؤمنين وكانوا قليلا فكلهم ثمانون إنسانا <sup>٢</sup>

---

(١) سورة هود - آية ٤١

(٢) الإمام جمال الدين يوسف المقدس ( ابن الميزد ) ، للشجرة النبوية في نسب خير البرية ، ص ٦٨

وارسل الله تعالى من السماء مطرا لم تعهد الأرض قبله ولا تمطره  
بعده كان كأفواه القرب .. وأمر الله الأرض فنبعت من جميع فجاجها  
وسائل أرجانها .. وارتفع الماء على أعلى الجبال أربعين ذراعة فهلك  
كل من في الأرض وكان دوي الماء كصوت الرعد القاصف ..  
والسفينة تشق الماء شقا عنيفا وهي تجري بهم في موج كالجبال ..  
وطافت السفينة بنوح ومن معه الأرض كلها في ستة أشهر من دون  
استقرار على شيء إلى أن وصلت إلى الجودي ، وكان الجودي جبلًا  
بالموصل من أكبر الجبال (قصص الأنبياء للجزائري)

لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم

﴿ونادى نوح ابنيه وكان في معزل يا بني اركب معنا ولا تكون مع  
الكافرين . قال مساوٍ إلى جبل يعصمني من الماء قال لا عاصم اليوم  
من أمر الله إلا من رحم وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾<sup>١</sup>  
و هذا الابن هو يام أخو سام و حام ويافث ..

وقيل اسمه كنعان .. وكان كافرا ( عملا غير صالح ) خالف آباء في  
دينه ، فهلك مع من هلك .. هذا وقد نجا مع نوح الأجانب في النسب لما  
 كانوا موافقين في الدين والمذهب .

وناشد نوح ربـه في ولـده ، وقال : يا رب إنك وعدـتـي بنـجـاهـ أـهـلـيـ مـعـيـ  
وـهـوـ مـنـهـ وـقـدـ غـرـقـ .. فـلـجـابـهـ رـبـهـ : إـنـهـ لـيـسـ مـنـ أـهـلـكـ الذـيـنـ وـعـدـتـكـ أـنـ  
أـنـجـيـهـمـ مـعـكـ .. فـكـانـ هـذـاـ الـابـنـ مـمـنـ سـبـقـ عـلـيـهـ القـوـلـ مـنـهـ بـأـنـهـ سـيـغـرـقـ

---

( ١ ) سورة هود - آية ٤٢ ، ٤٣

بكفره .. ولهذا ساقته الأقدار إلى أن ينفرط عن الإيمان ففرق مع حزبه  
أهل الكفر والطغيان ..

- - -

### هبوط السفينة

يقول الله تعالى « قيل يا نوح اهبط بسلام منا وبركات عليك وعلى أمم  
من معك وأمم سنتهم ثم يمسهم مما عذاب أليم »<sup>١</sup>  
وبعد أن طافت السفينة بنوح ومن معه الأرض كلها في ستة أشهر من  
دون استقرار على شئ إلى أن وصلت إلى الجودي يقول المفسرون :  
إن الله كلام نوحاً قال له : أخرج من الفلك أنت ومن معك ولينموا  
وليكثروا في الأرض .. فخرجوا وابتلى هناك قرية سماها ثمانين لأنها  
كان قد بني فيها لكل من المؤمنين بيبياً وكان عددهم ثمانين شخصاً كما  
ذكرنا ، وعهد الله إليه لا يعيid الطوفان على أهل الأرض ، وجعل  
تذكاراً لميثاقه إليه القوس الذي في الغمام وهو قوس قزح الذي رُوي  
عن ابن عباس أنه أمان من الغرق ..

وقد أجمع أهل الأديان الناقلون عن رسول الرحمن مع ما تواتر عند  
الناس في سائر الأزمان على وقوع الطوفان ، وأنه عم جميع البلاد ،  
ولم يبق الله أحداً من كفرة العباد استجابة لدعوة نبيه المؤيد المعصوم  
وتنفيذاً لما سبق القدر المحتموم ..

---

( ١ ) سورة هود – آية ٤٨

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ولد لنوح : سام وحام ويافت ، فولد لسام العرب وفارس والروم والخير فيهم ، وولد ليافت يأجوج وماجوج والترك والصقالبة ولا خير فيهم ، وولد لحام القبط والبربر والسودان " "

### صوم نوح عليه السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " صام نوح الدهر إلا يوم عيد الفطر ويوم عيد الأضحى ، وصام داود نصف الدهر ، وصام إبراهيم ثلاثة أيام كل شهر ، صام الدهر وأفطر الدهر " ..

### وصية نوح عليه السلام لولده

عندما حضرت نوح الوفاة قال لابنه : إني قاص عليك وصية : أمرك باثنتين وأنهاك عن اثنتين : أمرك بلا إله إلا الله ، فإن السموات السبع والأرضين السبع لو وضعت في كفة ووضعت لا إله إلا الله في كفة لرجحت بهن لا إله إلا الله ، ولو أن السموات السبع والأرضين السبع كن حلقة مبهمة ضمتهن لا إله إلا الله وسبحان الله وبحمده فإن بها صلات كل شيء ، وبها يرزق الخلق .. وأنهاك عن الشرك والكبر .

قيل يا رسول الله ، هذا الشرك قد عرفناه بما الكبر ؟ أن يكون لأحدنا نعلان حستنا لهما شراكان حسنان ؟ قال : لا

قيل : هو أن يكون لأحدنا حلقة يلبسها ؟ قال : لا

قيل : هو أن يكون لأحدنا دابة يركبها ؟ قال : لا

قيل : هو أن يكون لأحدنا أصحاب يجلسون إليه ؟ قال : لا

فهل : يا رسول الله .. فما الكبر ؟

قال صلی الله علیه وسلم : الكبر هو سفة الحق وغمط الناس <sup>١</sup>

وفاته

عاش نوح عليه السلام بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة ، فحج هو وابنه سام ..

ولما رجع من حجة قسم الأرض على أولاده الثلاثة سام وحام ويافث ..  
وجاءه ملك الموت وكان في الشمس فقال : السلام عليك .. فرد عليه نوح السلام وقال : ما جاء بك ؟

قال : جئت لأقبض روحك ..

قال : فدعني أدخل من الشمس إلى الظل ..

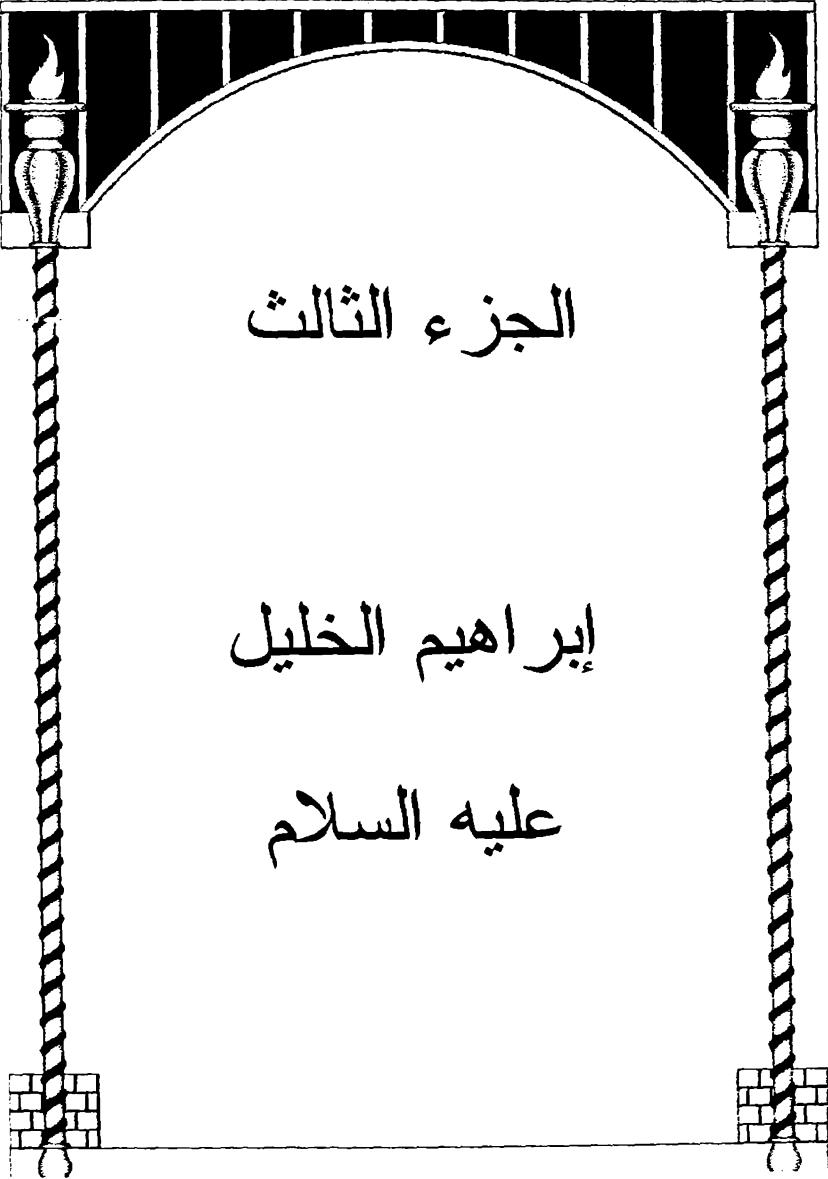
قال له : نعم .. فتحول إلى الظل فقبض روحه ..

وجهزه ابنه سام حسب وصيته وصلى عليه هو وأخوه ودفنوه في الموضع الذي مات فيه ..

ومات نوح عليه السلام أبو الأنبياء ، بل وأبو البشر بعد الطوفان ..  
سلام على نوح في العالمين ..

---

( ١ ) رواه مسلم ، ج ١ ، ص ٦٥



الجزء الثالث

إبراهيم الخليل

عليه السلام

اسم النبي إبراهيم عليه السلام من أكثر أسماء الأنبياء ورودا في القرآن الكريم ، فقد ذكر اسمه ما يزيد عن ستين مرة في خمس وعشرين سورة سميت واحدة منها باسمه .. ويعتبر إبراهيم عليه السلام دون نزاع أبو الأنبياء الأديان السماوية الثلاثة ( اليهودية وال المسيحية والإسلامية ) فقد تتابع أنبياء اليهود من سلالة حفيده يعقوب عليه السلام ، ومن بينهم أيضا ظهر رسول المسيحية عيسى بن مریم عليه السلام ، ثم من سلالة ابنه الأول إسماعيل عليه السلام ظهر النبي العربي محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام ليهدي الناس إلى دين الإسلام الذي جاء جماع الأديان السماوية وخاتمتها كما جاء رسوله خاتم الرسل أجمعين ..

ومع عظمة الإسلام ونبيه ونضج دعوته واكتمالها وملاءمتها لكل زمان ومكان ، فما زال النبي الإسلام العظيم وقرآن الكريم يلهجان بالثناء على أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وعلى ثورته الدينية التي قام بها ، وملة الوحدانية التي دعا الناس إليها ، وحسبنا أن نقرأ من هذا الثناء قول الله تعالى « ومن أحسن دينا من أسلم وجهه لله وهو محسن واتبع ملة إبراهيم حنيفا واتخذ الله إبراهيم خليلا »<sup>١</sup>

---

وقد ظهر خليل الله إبراهيم عليه السلام بين جماعة يقدسون الكواكب ويقيمون لها أصناما وتماثيل يعبدونها ، فأنكر على قومه عبادة الأصنام

---

( ١ ) سورة النساء - آية ١٢٥

وحاول هداية أبيه الذي كان يسهم في صنعها ويشجع على عبادتها ..  
وهنا قرر إبراهيم أن يقوم بثورة دينية يحطم فيها الأوثان ويلزم أباء  
وقومه بالحججة العملية حين يثبت لهم عجز آلهتهم عن الدفاع عن أنفسها  
وقد تمرد قوم إبراهيم على دعوته واغتاظوا لما نال آلهتهم من الهوان  
على يديه فقرروا الانتقام منه والقضاء على حياته ولكن الله أنقذه وحماه  
ولما يئس إبراهيم من هداية أبيه وأهله وسائر قومه قرر أن يهاجر  
بدينه وأن يodus أباء ويأخذ معه من آمن من أهل بيته ..  
وتمضي قافلة الزمان .. ويدعو إبراهيم ربه في كل مكان يصل إليه ..  
ولنبدأ القصة من أولها .. قصة إبراهيم عليه السلام

## إبراهيم الخليل عليه السلام

### أبو الأنبياء

هو إبراهيم بن تارخ بن ناحور بن ساروغ بن راغو بن فالغ بن عابر ابن صالح بن أرفخشذ بن سام بن نوح عليه السلام ١ ولد إبراهيم عليه السلام في مدينة أوز بالعراق .. وكانت أمه قد جاءها في المنام من يقول لها : ستضعين ذكرا .. فإذا وضعته فسميه إبراهيم ولم يكن زوجها موجوداً حين الولادة .. فذكرت ما رأت في نومها لوالد زوجها (ناحور) فقال : اسم عظيم معناه (أبو القبائل .. أو أبو الأمم) وقد رأيت في منامي أن نوراً خرج من صلب ولدي آزر فأضاء السماء سيكون لولدك هذا شأن عظيم .. سيقترب اسمه بنجوم القبة الزرقاء .. وعاد الأب من سفره وفرح بولده وبالاسم الذي أطلق عليه ٢

---

وما أن شب إبراهيم على الطوق حتى رأى أباء يعبد الأصنام التي يصنعها فسألها كيف يسجد لما يصنعه بيديه .. فحاول الأب أن يقنعه بأنها رموز للآلهة .. وأن الآلهة الأصلية في السماء جالسة على عروشها .. فلم يقنع إبراهيم ..  
قال الأب : صبرا يابني حتى تكبر ويتسع أفق فهمك وعندئذ سوف تدرك كل شيء ..

( ١ ) ابن كثير ، مقصص الأنبياء ، الطبعة الثامنة ، دار العلم بيروت لبنان ، ص ١٣٠  
( ٢ ) أمينة الصاوي ، لكتبة المشرفة ، دار عكاظ للطباعة والنشر ، ج ٥ ، ص ١٦

وكبر إبراهيم .. فأرسله أبوه إلى بيت جده (ناحور) ليتعلم اللغة والحساب والفلك وعلم النجوم .. وتميز إبراهيم على رفقاء جمِيعاً وأظهر ميلاً إلى التعمق في دراسة التجيم واللامهوت .. واستطاع إبراهيم بتأملاته الخاصة في الكون الذي يعيش فيه أن يقيم لنفسه حياة خاصة تقوم على التفكير فيما يراه بمجتمعه من صور رهيبة ..

فهو لاء الكبار من قومه وأصحاب الرأي والفكر يعبدون آلهة من الخشب والحجارة يصنعونها بأيديهم .. وهو لاء كهنة المعابد يرتكبون الموبقات .. وهذا ملك البلاد قد تأله على الناس وطالبهم بأن يسجدوا له ولم يطق إبراهيم العيش في هذا المجتمع فاتجه إلى الصحراء وراح يقضى فيها الساعات يفكر في صمت ..

كان ينظر إلى السماء ويقول : لا بد لهذا الكون من إله واحد هو الذي خلقه .. وهو الذي يسيره ..

وذات يوم .. حمله أبوه كمية من الأصنام وطلب منه أن يبيعها أمام المعبد .. فرضخ إبراهيم وسار بحمله إلى المعبد .. وهناك وقف ينادي : أيها الناس .. من يشتري أصناماً لا تضر ولا تنفع وسمع الكهنة نداءه فثاروا عليه وشكوه إلى أبيه الذي حاول ضربه .. فجرى إبراهيم بما بين يديه حتى وصل إلى شاطئ الفرات فوضع التماثيل إلى جواره وجلس يفكر ..

وفجأة خطر له أن يسخر من هذه الأصنام فغمض رعيتها في الماء وقال : اشربوا .. إنه ماء عذب .. لماذا لا تشربون ؟

ورآه بعضهم فنقل هذا إلى الكهنة الذين زادت ثورتهم عليه ..

- - -

واستمر إبراهيم على كراهيته لأصنامهم حتى كبر وتزوج من ابنة عمه سارة ..

واستيقظت سارة في إحدى الليالي فإذا إبراهيم يصلّي ..  
فسألته : مَاذَا تفعل يا إبراهيم ؟

قال : أصلّي لـه

قالت : إلـه غير آلهـنا العـظام ؟

قال إبراهيم : إلـه لا شـريك لـه فـي مـلـكه .. خـلـق السـمـوـات وـالـأـرـض وـمـا بـيـنـهـما وـهـو الـقـادـر عـلـى كـلـ شـئ ..

فـسـأـلـتـهـ : مـن عـلـمـكـ هـذـا يا إـبرـاهـيمـ ؟

قال : هـدـائـي رـبـي إـلـى صـرـاطـ مـسـتـقـيمـ وـشـرـحـ صـدـريـ لـدـينـهـ الـحـقـ ..  
قالـتـ : وـمـن أـدـرـاكـ أـن رـبـكـ هـدـاكـ إـلـى هـذـا الدـينـ ؟

قال إبراهيم في إيمان عميق : إنـما أـتـبعـ ما يـوحـيـ إـلـيـ من رـبـي .. وـقـدـ بـعـثـتـيـ رسـوـلاـ لـأـدـعـوـ النـاسـ لـعـبـادـتـهـ وـحـدـهـ .. وـإـنـي أـدـعـوكـ إـلـى اللهـ الـذـي لا إـلـهـ إـلـاـ هوـ ..

ونظرت سارة إليه في دهشة .. فما ي قوله يختلف عن كل ما عرفته من الكهان ورجال الدين .. ولكنه يدل إلى القلب مباشرة فيرضى جنباته بنور جميل حبيب ١

---

وأخذ إبراهيم يدعو الناس إلى دينه الجديد .. فبدأ بابيه ، ولكنه لم يستجب لدعوته سخر منه وقال له انه لازم بعد الا ما كان بعد آباءه .. ودعا إبراهيم قومه إلى توحيد الله عز وجل وترك عبادة الأصنام .. ولكنه لقي من قومه الجحود والنكران فاتهمه البعض بالكذب واتهمه آخرون بالجنون !!

وقال لقومه : ما هذه التماثيل التي تعبدونها  
قالوا : « وجدنا آباءنا لها عابدين » ٢  
فكان حجتهم أنها صنائع الآباء والأجداد ..

### تحطيم الآلهة

وكان لقوم إبراهيم عبد يحتفلون به في كل عام ، ويقضون يومه المقدس خارج المدينة ، فدعاه أبوه ليحضره فاعتذر لمرضه ..  
ولم يكذب إبراهيم فقد كان سقيم النفس مهموم القلب كاسف البال حزينا على قومه الذين لم يستجيبوا لدعوته واتخذوا أصنامهم أربابا من دون الله ..

( ١ ) أمينة الصاوي ، الكعبة المشرفة ، ص ٢٠

( ٢ ) سورة الأنبياء - آية ٥٣

فلما خرجموا إلى عيدهم ذهب إلى أصنامهم فوجد أمامهم أنواعا من الأطعمة قدموها قربانا إليها .. فقال لها على سبيل التهكم والإزدراء : " إلا تأكلون ما لكم لا تنطقون " ، وطفق إبراهيم في ثوره المخنق المغيظ يوسع الأصنام لطما بيديه وركلا بقدميه ، ثم عمد إلى فاس كان قد أعدها فهوى بها على الأصنام فتهاوت مهشمة محطمها وتناثرت أشلاؤها ، ولم يُعف من بطش فاسه إلا صنما كبيرا يبقي عليه ويضع الفاس في عنقه ..

ولما رجع القوم من عيدهم ووجدوا ما حل بالهتهم هالهم ذلك فقد باعواها حبات قلوبهم واختصوها بكل مظاهر الإجلال والإكبار .. وبعد أن جمعوا أشتات حواسهم وأحساسهم التي اضطربت من شدة الصدمة وهول المفاجأة أقبل بعضهم إلى بعض يتتساولون « من فعل هذا بالهتنا إنه لمن الظالمين » ١

قال أحدهم : سمعنا فتى يذكرهم يقال له إبراهيم ، طالما سفه هنا الأحلام وعاب علينا عبادة الأصنام ولن يجرؤ على إنزال ما نزل بهذه الآلة إلا هذا الفتى الذي ظل كافرا بها ..

وقرروا محاكمة في الملأ الأكبر على رؤوس الأشهاد .. واجتمع القوم شوقا إلى دنو ساعة القصاص من إبراهيم الذي هذ بتحطيم الأصناف كرامتهم وجاءوا به وسط هذا العباب البشري الثائر وسألوه :

النت فعلت هذا بالهتنا يا إبراهيم ؟

---

( ١ ) سورة الأنبياء - آية ٥٩

لم ينخلع قلب إبراهيم لما يرى من هذه الحشود لأنه يعلم أن السماء تؤيده ، وروح القدس تعاضده فرد عليهم بسخرية : " بل فعله كبيرهم هذا فاسألهوهم إن كانوا ينطقون " ..

يا للجواب الحكيم السيد الموجز المفید الموجع لهم .. فيه حکمة وایقاظ من غفلة ، وفي طياته وحواشيه غمز ظاهر وتهكم ساخر ..

ما جانب إبراهيم في جوابه جانب الصدق ، وكيف وهو النبي المرسل أفضـل أولـي العـزم من الرـسل بعد مـحمد صـلـى الله عـلـيـه وـسـلـم .. لا يقول إلا حقا ( بل فعله كبيرهم هذا ) على سبيل التهكم والتعریض .. سـدـ عليهم إبراهـيم بهـذا الجـواب الحـكـيم منـافـذ السـبـل وأـوقـفهم منـ أمرـهم المـضـطـرب فيـ حـيرـة وـاضـطـرـاب ..

أـيـصـدـقـون أـنـ هـذـا الصـنـم الـكـبـير هوـ الذـي جـنـى جـنـايـتـه الـكـبـيرـة عـلـى إـخـوـتـه أوـ أـبـانـائـه الصـغـار ؟ إـذـا فـهـو إـلـه ظـالـم .. وـلـكـن .. كـيـف ؟

وـهـو لاـ يـسـتـطـيـع أـنـ يـتـحـرك مـنـ مـكـانـه ، وـلـاـ يـسـتـطـيـع رـفـع الفـأـس بـيـديـه ؟ إـذـا فـكـيـف يـكـون إـلـهـا وـهـوـ العـاجـزـ أـنـ يـخـطـوـ خطـوـةـ أـوـ يـضـرـبـ ضـرـبةـ .. وـهـذـه الـآـلـهـة الـأـخـرـى كـيـفـ بـلـغـتـ بـهـا الـضـعـةـ وـالـذـلـةـ أـنـ تـعـجزـ حـتـىـ عنـ الدـفـاعـ عـنـ نـفـسـهـا ، وـجـمـيـعـ هـذـهـ الـآـلـهـةـ صـمـ بـكـمـ عـمـيـ لـاـ تـرـىـ وـلـاـ تـسـمـعـ وـلـاـ تـجـبـبـ وـلـاـ تـبـدـىـ وـلـاـ تـعـيـدـ ..

فـيـ هـذـهـ حـيـرـةـ أـوـقـعـ إـبـرـاهـيمـ قـوـمـهـ بـسـدـيدـ جـوابـهـ وـحـكـيمـ خـطاـبـهـ فـلـعـلـهـمـ أـنـ يـخـرـجـواـ مـنـ لـيـلـ هـذـهـ الـعـمـاـيـةـ وـالـغـوـاـيـةـ إـلـىـ وـضـحـ نـهـارـ مـنـ الرـشـادـ وـالـهـدـاـيـةـ ..

شملت القوم لحظة خاطفة أضاعت فيها جوانب عقولهم على أثر هذه الشرارة التي ولدتها إجابة إبراهيم كادوا يميتون فيها العند ويلبون داعي الرشاد ، فاقبل بعضهم على بعض يتلاؤ مون وقالوا ( إنكم أنتم الظالمون ) ..

ثم ما لبثوا أن غرقوا في بحر من الحيرة لا ساحل له فقالوا لإبراهيم قر لا فيه الخبال وفيه الضلال ( لقد علمت ما هؤلاء ينطقون ) .. يا عجبًا كل العجب !! إنه سلاح جديد .. أسلمه هؤلاء البلة المناكيد لخصمهم الفتى الرشيد .. يا للجهالة ويا للضلالة !!

عندما قال إبراهيم بعد إذ ضيق عليهم الخناق وسد عليهم كل منفذ ( أتقعبدون من دون الله ما لا ينفعكم شيئاً ولا يضركم ! أف لكم ولما تعبدون من دون الله أفلأ تعقلون ) !

وإذا أخفق الجهول الغشوم في ميدان الحوار والجدال حاول أن يعطي هزيمته بأساليب العنف والقتال ، ولما لم تسعف القوم في ميدان الحجة والبرهان شقشقة اللسان لجئوا إلى ألسنة النيران ، ( قالوا حرقوه وانصروا آهلكم إن كنتم فاعلين ) إذا فقد أصدروا حكماً بحرق إبراهيم وأقاموا بناء ضخماً أوقدوا فيه النار ، وألقوا إبراهيم فيها بعد أن قيدوه وكتقوه وهو يقول : لا إله إلا أنت سبحانك رب العالمين ، لك الحمد ولك الملك لا شريك لك .. يا الله يا واحد يا أحد يا صمد يا من لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ..

ويروى عن ابن عباس وسعيد بن جبير : جعل ملک المطر يقول : متى  
أوامر فارسل المطر ؟ فكان أمر الله أسرع ..  
**برود النار**

قال الله تعالى « قلنا يا نار كوني بردا وسلاما على إبراهيم » ١  
قال علي بن أبي طالب : أي لا تضره .  
وقال ابن عباس وأبو العالية : لو لا أن الله قال : (سلاما على إبراهيم)  
لآذى إبراهيم بردها ٢

### **مناظرة الخليل إبراهيم والنمرود**

كان النمرود ملكا جباراً أدعى لنفسه الربوبية .. ناظره الخليل إبراهيم  
يوم خروجه من النار سالما ..  
سأله النمرود : من ربك ؟

قال إبراهيم : « ربى الذي يحي ويميت » ٣  
قال النمرود : أنا أحى وأميت ..  
يعني أنه إذا أوتى بالرجلين قد تحتم قتلهما فإذا أمر بقتل أحدهما وعفا  
عن الآخر فكانه قد أحيا هذا وأمات الآخر ..

---

(١) سورة الأنبياء - آية ٦٩

(٢) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ١٤٢

(٣) سورة البقرة - آية ٢٥٨

قال إبراهيم : إن الشمس تطلع كل يوم من المشرق كما سخرها خالقها  
ومسيرها وهو الذي لا إله إلا هو خالق كل شئ ، فإن كنت كما زعمت  
من أنك تحى وتحيي فائت بهذه الشمس من المغرب ..  
فبهت النمرود ..

وهكذا بين إبراهيم عليه السلام ضلاله وجهله وكذبه فيما ادعاه وبطلان  
ما سلكه ..

ونكروا أن النمرود هذا كان أحد ملوك الدنيا ..  
وقالوا : إنه قد ملك الدنيا أربعة : مؤمنان وكافران .. فالمؤمنان : ذو  
القرنين وسليمان .. والكافران : النمرود وبختنصر ..  
ونكروا أن نمرود هذا استمر في ملكه أربعين سنة وكان طغى وبغي  
وأثر الحياة الدنيا ١

**هجرة الخليل إبراهيم إلى الشام ودخوله الديار المصرية  
واستقراره في الأرض المقدسة**

بعد نجاة إبراهيم من النار ، ومحارته للنمرود .. قرر الهجرة من  
مدينة أور مع زوجته سارة وأبن أخيه لوط وأصحابه المؤمنين ..  
ومضت قافلة الإيمان حتى عبرت نهر الفرات وانسابت في بادية الشام  
حيث دعا الناس إلى دين الله الواحد الأحد ، وأمن به الكثير من أهل  
دمشق ..

---

( ١ ) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٤٤

ثم رحل الخليل إبراهيم إلى مصر وعاش فيها يدعو الناس، إلى الوحدانية وكان قوي الحجة يستميل القلوب والعقول معا إلى ما يقول .. فقبل عليه الناس .. وبقي إبراهيم عليه السلام ما شاء الله له أن يبقى في مصر .. ثم استأذن الملك في الرحيل وقد تأكد عنده أن رادي النيل لا يصلح في هذه الفترة لاحتضان الديار التي يدعوا لها ، ولن يتبع الفرصة لرسالته كي تنتشر بسهولة بسبب سيطرة الكهان على الملوك وتحكمون تحكما كاملا في جميع شئون الدولة ، رغم أن في عقيدة المصريين بعض ما في عقيدة التوحيد التي يدعوا لها ..

وحمل الملك الخليل إبراهيم الكثير من الهدايا والعطایا كما أهداى هاجر لسارة التي صادقتها وتعلقت بها وأحبتها خاصة بعد أن اشرح قلب هاجر لدين إبراهيم وأمنت به ..

وتحرك إبراهيم بسارة وهاجر ومن معه من المؤمنين عائدا إلى أرض كنعان ..

### مولد إسماعيل عليه السلام

عاش إبراهيم عليه السلام مدة طويلة دون أن يرزقه الله بولد .. وكانت زوجته سارة حزينة من أجل ذلك ، فحملتها شفقتها على زوجها وحبها له أن تهب له جاريها هاجر ، وقالت له : إني حُرمت من الولد فعسى

الله أن يرزقك منها غلاما تقر به عينيك .. فحملت منه وولدت اسماعيل  
فاشتدت الغيرة بالسيدة سارة وطلبت من الخليل أن يغيب وجهها عنها<sup>١</sup>  
أخذ إبراهيم هاجر وابنها الرضيع إسماعيل وسار بهما حيث وضعهما  
عند البيت ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء .. فوضعهما هناك  
ووضع عندهما جرابة فيه تمر وسقاء فيه ماء<sup>٢</sup>

فلما تركهما هناك وولى ظهره عنهما قامت إليه هاجر وقالت : يا  
إبراهيم .. أين تذهب وتتركنا بهذا الوادي الذي ليس فيه آnis ولا شئ  
وليس معنا ما يكفيانا ، فلم يجبها ..

فلما ألحت عليه وهو لا يجيبها قالت له : الله أمرك بهذا ..  
قال : نعم

قالت : إذن لا يضيعنا .. ثم رجعت ..

وانطلق إبراهيم حتى إذا كان عند الشيبة - مكان عند مدخل مكة -  
حيث لا يرون له استقبال بوجهه البيت .. ودعا الله «ربنا إني أسكنت من  
ذرتي بواد غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل  
أفداة من الناس تهوى إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون»<sup>٣</sup>

(١) د. عبد المقصود نصار د. محمد الطيب النجار ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ١٦

(٢) البخاري ، أنباء ٩ ، مسند الإمام أحمد ج ١ ، ص ٣٤٧

(٣) سورة إبراهيم - آية ٣٧

## زمن

وجعلت أم إسماعيل ترضع إسماعيل وتشرب من ذلك الماء الذي في السقاء حتى إذا ما نفذ عطشت وعطش ابنها ..

وجعلت تنظر إليه وهو يتلوى من الظماء ، فانطلقت كراهية أن تنظر إليه فوجدت الصفا أقرب جبل من الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادي تنظر هل ترى أحدا ؟ .. فلم تر أحدا .. فهبطت من الصفا حتى إذا بلغت الوادي رفعت طرف ذراعها ثم سعت حتى جاوزت الوادي وأنت المروءة فقامت عليها ونظرت هل ترى أحدا ؟ .. فلم تر أحدا .. فعلت ذلك سبع مرات ..

قال ابن عباس : قال النبي صلى الله عليه وسلم : " فلذلك سعى الناس بينهما " <sup>١</sup>

وأعيادها السعي ونال منها التعب والجهد فسقطت على الأرض إلى جوار الطفل وقد أيقنت بالهلاك لها وله ..  
ولكن رحمة الله كانت منها ومن ولدتها قريبة ..

نعم .. لقد تفجرت المياه فجأة من جوف الأرض وكانت بحيرة صغيرة تحت قدمي الطفل .. لقد تحققت الآية وأنسأ أفراح النهاية أحزان البداية ، فيا قدم إسماعيل أرأيت كيف يفجر الله الماء من الصخر ، ويا أم إسماعيل أرأيت أن ظلام الليل آخره الفجر ..

---

( ١ ) السيد حسين العفاني ، الرياض النصرة في فضائل الحج والعمرة ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ص ١٣٩

و هتفت هاجر متسائلة .. رباء .. ماذا أرى .. مياها أم سرابا ..  
فمدت يدها إلى الماء و تأكيدت منه وأسرعت في فزع تبلل شفتي الطفل  
ثم أخذت تسقيه حتى ارتوى و هدأت نفسه .. فشربت هي الأخرى .. ثم  
رفعت رأسها إلى السماء وقالت : أحمد وأشكر فضلك يا إلهي .. حقا  
إنك لن تضيعنا .. فقد هيأ لها الله سبحانه و تعالى ولطفها أسباب الحياة  
بعد أن كانت تظن ألا حياة ولا نجاة ..

وبعد أن شكرت هاجر ربها القادر على كل شيء .. الرحيم بعباده  
اتجهت إلى المياه التي كانت لا تزال تتجذر وقالت وهي تحاول جمعها  
زمي زمي .. أي تجمعي تجمعي ولا تضيعي في الرمال ..  
ولم تتسرب المياه في الرمال .. بل تفجرت بقوة أكبر وأكبر واندفاع  
أشد وأشد .. ولا تزال تتجذر حتى يومنا هذا من عين زمزم التي تقع  
بجوار الكعبة المشرفة وعلى مقربة من جبل الصفا والتي ارتوى منها  
ويرتوى ملايين المسلمين من المسلمين <sup>١</sup>

---

ومرت على مقربة من المنطقة قافلة لقبيلة من اليمن هي قبيلة جرهم  
فلاحظ رئيس القافلة الذي يعرف المنطقة خير المعرفة لكثره ما مر بها  
في رحلاته .. لاحظ أن شيئاً جديداً قد طرأ غير أحوال المنطقة فقال :  
عجب يا قوم .. إنني أرى طيوراً تحوم على جبل أبي قبيس وعهدي  
بهذا المكان أنه لا ماء فيه ولا نبات ..

---

( ١ ) د . أمينة الصاوي ، الكعبة المشرفة ، ص ٤١

فأجاب أحد رجاله : الطيور لا تحلق إلا حيث يوجد الماء .. وأغلب  
الظن أن عينا من العيون قد تفجرت قريبا من هذا المكان ..  
وأرسلت القافلة أحد رجالها يتحقق المكان ويحاول معرفة ما حدث ..  
وانطلق الرجل ثم عاد بعد ساعة يقول : أبشروا بالخير العميم يا آل  
جُرْهم .. لقد وجدت على مقربة منكم عينا يتذوق الماء منها بغزاره وقد  
اخضر المكان حولها وازدان بالثمار الشهية الذكية الراحة ..

فقال رئيس القافلة : وهل وجدت عندها أحدا من الناس ؟  
قال الرجل : وجدت امرأة وطفلها الصغير ، وقد استأنستها في النزول  
بجوارها وال斯基 من ماء العين .. فقلت : نعم .. آذن لكم على أن  
تكونوا ضيوفا مكرّمين لا مختصبين ..

فقال رئيس القافلة : نحن على ارادتها وطوع أمرها .. هيا بنا إليها ..  
وسارت القافلة حتى بلغت مكان زمز .. وتم التقاء مع هاجر على  
البقاء إلى جوار العين ، وأرسلوا في طلب بقية أهلهم فجاءوا وأقاموا  
البيوت ، وأمتلأ المكان بالسكان .. وإذا بالوادي المقرر المجدب  
الموحش ينبض بالحياة ، ويصبح جنة من جنان الأرض ..

---

وشب إسماعيل .. وتعلم العربية منبني جرم .. واستطاع أن يروض  
خيول البرية المتوجحة وأن يستأنسها .. فكان أول من أخضع الخيول  
وركبها واستعملها في تنقلاته .. وقد سرى ذلك إلى الشباب من غير أنه

## الذبيح إسماعيل

ذهب إبراهيم عليه السلام لزيارة ولده إسماعيل وأمه هاجر ، ونقل إليهم بشري وصول ولده اسحق .. ففرحا بمقدمه وبمولده اسحق .. ونام إبراهيم بجوار زمزم .. فرأى في منامه أنه يذبح ولده إسماعيل فهرب من نومه مذعورا .. وأخذ يفكر في هذه الرؤية التي تعتبر في مقام الوحي لأن رؤيا الأنبياء حق ..

وعز على إبراهيم أن يذبح ولده الحبيب .. ولكن حبه لتنفيذ أوامر ربه كان أقوى من حبه للولد .. فقام ببحث عن إسماعيل .. فلما وجده قال له إني أرى في المنام أني أذبحك .. فانتظر ماذا ترى ؟  
قال إسماعيل في استسلام : يا أبا إلهي افعل ما تؤمر .. ستجدني إن شاء الله من الصابرين ..

وقف إبراهيم عليه السلام لحظة يفكّر في الطريقة التي يذبح بها ولده .. وكأنما أحس إسماعيل بما في نفس أبيه فقال له : يا أبا إلهي وثأقي واسمح شفريتك فإن الموت شديد ، وإنني لأخشى أن اضطرب عنده ، وأخشى إن نظرت في وجهي أن تأخذك الرحمة فلا تنفذ أمر الله في وإن أردت أن ترد قميصي على أمي فافعل عسى أن يكون هذا أسلى لها عندي ..

قال إبراهيم : نعم الولد أنت يا إسماعيل .. ونعم العون على أمر الله .. وتهيا إبراهيم للتنفيذ ومد يده بالشفرة إلى ولده .. ولكن .. رحمة الله ادركت الغلام في اللحظة المناسبة ..

رحمة الله أدركت إسماعيل طفلاً وأنقذته من الموت عطشاً بتدفق زمزم  
 وأدركته وقد بلغ السعي مع أبيه .. فأنزلت كبساً كبيراً ذبحه إبراهيم  
 فداء لابنته إسماعيل عليهما السلام ..  
 حقاً إنه البلاء العظيم .. الأب يُوحى إليه أن يذبح ابنه .. والابن يمتثل  
 صابراً ويساعد أبوه على تنفيذ أمر الله ..  
 حقاً إنها الإرادة الإلهية الحكيمية التي شاعت أن تصور إحدى شعائر  
 الحج تصويراً حسياً دقيقاً ليثبت في أذهان الناس على مر العصور ..  
 فكلما أقبل العيد الأكبر نحر المسلمون الضحايا في مني وفي كل مكان  
 نحروها للذكرى العاطرة والعبرة والموعظة ..<sup>١</sup>

### زواج إسماعيل

فكرت هاجر في زواج ولدها إسماعيل .. وكانت تزيد له زوجة صالحة  
 تكون أهلاً لإنجاح الذريعة الصالحة التي وعد الله سبحانه وتعالى بأن  
 يبارك فيها ..  
 وقبل أن تصل هاجر إلى المرأة المناسبة لولدها كان إسماعيل قد اتفق  
 على الزواج من إحدى بنات جيرانهم واسمها صدّا ..  
 ولم تعترض هاجر على ذلك رغم أنها لم تكن في قراره نفسها راضية  
 عن هذا الزواج ..

---

(١) د . أمينة الصاوي ، الكعبة المشرفة ، ص ٤٧

وأحس إبراهيم عليه السلام أن شيئاً غير عادي قد حدث فركب راحلته  
وانطلق إلى مكة .. وما إن وصل حتى أسرع إلى بيت إسماعيل وطرق  
الباب ..

فتحت له صدّاً فقرأ عليها السلام فلم ترد وسألته عما يريد ؟

قال : أين إسماعيل

قالت : خرج يبتغي لنا

قال : وكيف حالكم

قالت : نحن في أسوأ حال .. لا نكاد نجد القوت الضروري والماء قد  
غاظ ، فلم يعد يروينا أو يطفئ ظماناً ..

فساءه أن يكون هذا ردها خاصة وأنه يعلم أن الحياة لم تكن كما ذكرت  
ولم يعجبه أن تكون هذه المرأة زوجاً لولده الذي يعده لحمل الرسالة من  
بعده ..

وهمت صدّاً أن تغلق الباب .. فصاح بها إبراهيم عليه السلام : إذا جاء  
زوجك فأقرئيه السلام وقولي له يغير عنبه بابه ..

فلما عاد إسماعيل من الخارج آنسى شيئاً فسأل زوجته : هل جاعكم من  
أحد ؟

قالت : نعم .. جاعنا شيخ مسن تبدو عليه آثار السفر الطويل فسألني  
عنك فأخبرته ، وسألني عن عيشنا فشكوت له الجهد والشدة ..

فقال إسماعيل : وهل أوصاك بشئ ؟

قالت : نعم ، أمرني أن أقرأ عليك السلام وأقول لك غير عنبه بابك ..

قال إسماعيل : ذاك أبي .. وقد أمرني أن أفارقك حتى الساعة بأهلك  
وعاد إبراهيم إلى سارة واسحق والفتاة المؤمنة في كنعان وأقام هناك ما  
شاء الله له أن يقيم ثم رجع إلى مكة فوجد إسماعيل متزوجاً زوجة  
أخرى فسألها عن إسماعيل : قالت : ذهب يتصدق ..  
فسألها عن عيشهم ..

قالت : نحمد الله على ما نحن فيه من خير وسعة ونعمه كبرى .. وأنت  
له بإناء فاغتنس ..

ثم قال لها : هل عندك ضيافة ؟

قالت : نعم .. وجاءت له باللحم واللبن والشراب .. وأكرمته فادته ..  
فدعى لها بالبركة ..

و قبل أن ينصرف طلب منها أن تقرئ زوجها السلام وتقول له : قد  
استقمت عتبة بابك ..

فلما جاء إسماعيل عليه السلام وجد ريح أبيه فقال لأمراته : هل جاءك  
أحد ؟

قالت : نعم .. شيخ هو أحسن الناس وجها ، وأطيبهم ريلاً فـ قال لي كذا  
وكذا ، وقدمت له كذا وكذا .. وهو يقرئك السلام ويقول لك : قد  
استقمت عتبة بابك ..<sup>١</sup>

قال إسماعيل .. هذا أبي .. وقد أمرني أن أحظ بك زوجة لي .

---

( ١ ) د . عبد المقصود نصار ، د . محمد الطيب النجار ، السيرة النبوية ، ج ١ ،  
ص ١٨

## بناء إبراهيم وولده إسماعيل عليهم السلام الكعبة

لبث إبراهيم عليه السلام بعيداً عن مكة ما شاء الله ثم عاد إليها فوجد ابنه إسماعيل يَبْرِي نبالاً له تحت دوحة قريبة من زمزم ..

فلما رأه إسماعيل أسرع إليه وعائقه في حنان .. وبعد أن استراح إبراهيم عليه السلام نظر إلى ولده متقدحصاً ثم قال :

يا إسماعيل إن الله أمرني بأمر ..

قال إسماعيل : فاصنعني يا أباً ما أمرك الله به ..

قال إبراهيم : وتعينني يا ولدي ؟

قال إسماعيل : وأعينك يا أباً

قال إبراهيم : إن الله أمرني أن أبني هنا بيتي ..

وأشار إبراهيم إلى الربوة الحمراء المرتفعة ذات الأطلال ..

وعلى الفور بدأ إبراهيم عليه السلام ومه ولده إسماعيل يطهران مكان البيت من الصخور والأحجار .. وعندما تم لهما ذلك وظهرت القواعد الأساسية للبيت أخذوا معاً في بنائه وهم يقولان : "ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم".

وكان إبراهيم عليه السلام يبني وإسماعيل ينالله الأحجار إلى أن أقيم البناء واكتمل .. فقال إبراهيم عليه السلام لولده :

إلتقي بحجر أصنعني هنا ليكون علماً للناس منه يبدأون الطواف ..

---

( ١ ) د . أمينة الصاوي ، الكعبة المشرفة ، ص ٥٥

فذهب إسماعيل إلى بطن الوادي يبحث عن حجر مميز يصلح لهذه الغاية .. وتأخر إسماعيل في البحث .. فجاء جبريل عليه السلام بالحجر الأسعد ، وكان الله سبحانه وتعالى قد أودع هذا الحجر جبل أبي قبيس في مكة حين غرق الأرض في طوفان نوح عليه السلام .. فوضعه جبريل عليه السلام في مكانه ..

وعاد إسماعيل فرأى الحجر الأسعد فأخذته الدهشة من شكله وضوئه .. فقد كان حمرا يتلألأ بنور وهاج فأضاء بنوره المكان من حوله .. قال إسماعيل عليه السلام : ما هذا يا أبا ؟ ومن جاءك بهذا الحجر ؟ قال إبراهيم عليه السلام : جاء به جبريل عليه السلام يا ولدي .. وبعد بناء البيت شرح جبريل عليه السلام لإبراهيم المناسك كلها ..

---

### آذن إبراهيم بالحج

روي عن ابن عباس أنه قال : لما فرغ إبراهيم عليه السلام من بناء البيت قيل له : آذن في الناس بالحج ..  
قال : يا رب وما يبلغ صوتي ؟!  
قال : آذن وعلى البلاغ ..

فندى إبراهيم : " أيها الناس كتب عليكم الحج إلى البيت العتيق فحجوا  
قال : فسمعه ما بين السماء والأرض ، أفلأ ترى الناس يجيئون من  
أقصى الأرض يليون " <sup>١</sup>

وعنه : قام إبراهيم خليل الله على الحجر فنادى :  
أيها الناس : كتب عليكم الحج ، فاسمع من في أصلاب الرجال وأرحام  
النساء ، فأجابه من آمن معه ممن سبق في علم الله أن يحج إلى يوم  
القيمة .. لبيك اللهم لبيك ..

قال ابن عباس : يأتيك رجالاً أي مشاة ..  
وقال ابن جرير : وعلى كل ضامر أي الإبل المهازيل .. يأتين من كل  
فج عميق ، يعني مكان بعيد <sup>٢</sup>

أجاب من جرى القدر بحجه ( لبيك اللهم لبيك )  
وما تزال أفتنة الناس تهوي إلى البيت الحرام وترفر إلى رؤيته  
والطواف به .. الغني القادر الذي يجد وسيلة الركوب تنقله ، والفقير  
المعدم الذي لا يجد إلا قدميه وعشرات الآلوف من هؤلاء ينتظرون  
من فجاج الأرض البعيدة ثلبية لدعوة الله التي أذن بها إبراهيم عليه  
السلام منذآلاف الأعوام <sup>٣</sup>

---

( ١ ) أخرجه ابن حجر في المطالب العالية عن أحمد بن منيع بسنده حسن ..

( ٢ ) تفسير الطبرى ، ج ٩ ، ص ١٠٦ ، ١٠٧

( ٣ ) الشيخ سيد قطب ، ظلال القرآن ، ج ٤ ، ص ٢٤١٨

للتوحيد أقيم هذا البيت منذ أول لحظة ، عرف الله مكانه إبراهيم عليه السلام وملكه أمره ليقيمه على هذا الأساس فهو بيت الله وحده دون سواه ، ولبيته للحجيج والقائمين فيه للصلوة ، فهو لاء هم الذين أشئ لهم البيت ..

وهو أول قبلة يتوجه إليها المسلمين ورثة إبراهيم بالإيمان والتوحيد الصحيح ، فالعقيدة هي تراث القلب المؤمن لا تراث العصبية العمياء ..  
(إذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل )

مشهد حاضر كما لو كانت الأعين تراهما اللحظة وتسمعهما في آن واحد ، لا رؤيا الخيال ..

نغمة الدعاء ، وظلال الدعاء ، وجو الدعاء يسمع ويُرى بعد أن كان غائبا ذاهبا ..

وماذا في ثنايا الدعاء ؟ إنه أدب النبوة وإيمان النبوة ، وشعور النبوة بقيمة العقيدة في هذا الوجود ، وهو الأدب والإيمان والشعور الذي يريد القرآن أن يعلم لورثة الأنبياء ، وأن يعمقه في قلوبهم ومشاعرهم ..  
﴿ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم﴾<sup>١</sup>

إنه رجاء العون من ربهما في الهدایة إلى الإسلام والشعور بأن قلبيهما بين أصابع الرحمن ، وإن الهدى هداه ، وأنهما لا حول لهما ولا قوة إلا بإذن الله ..

---

(١) سورة البقرة - آية ١٢٨

( ومن ذريتنا أمة مسلمة لك )

هذا طابع الأمة المسلمة التضامن .. تضامن الأجيال في العقيدة .. وهي دعوة تكشف عن اهتمامات القلب المؤمن .. إن أمر العقيدة هو شغله الشاغل ، وهو همه الأول ، وشعور إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام بقيمة النعمة التي أسبغها الله عليهما ، نعمة الإيمان ، تدفعهما إلى الحرص عليها في عقبهما ، وإلى دعاء ربهما لا يحرم ذريتهما هذا الإنعام الذي لا يكافئه إنعام ، لقد دعوا الله ربهم أن يرزق ذريتهما من الثمرات ، ولم ينسيا أن يدعوا له ليرزقهم من الإيمان ، وأن يرثيم جميعاً مناسكهم ويبين لهم عبادتهم ويتوّب عليهم وأن لا يتركهم بلا هداية في أجيالهم البعيدة ( ربنا وابعث فيهم رسولاً منهم )

وكانت الاستجابة لدعوة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام هي بعثة هذا الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم بعد فردون وفرعون ، بعثه رسول من ذرية إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ..

هذا البيت الحرام الذي قال فيه ابن عباس : لو لم يحج الناس هذا البيت لأطبق الله السماء على الأرض ، وما هذا الشرف إلا لشرف بانيه وهو خليل الرحمن عليه السلام ..

تلك قصة بناء البيت الحرام وأذان الخليل بالحج إليه ليذكروا اسم الله لا أسماء الآلهة المدعاة ..

فهو بيت حرام .. حرمات الله فيه مصونة .. وأولها عقيدة التوحيد ،  
وفتح أبوابه للطائفين والقائمين والركع السجود إلى جانب حرمة الدماء  
وحرمة العهود والمواثيق وحرمة الهدنة والسلام ..  
ذلك قصة البيت .. <sup>١</sup>

- - -

وتمضي بنا قافلة الزمان ..  
ويتأخر إبراهيم عليه السلام في زيارة مكة ..  
ويعلم إسماعيل عليه السلام نبأ وفاة سارة .. ثم زواج أخيه اسحق ..  
فيتجه إلى الشمال .. إلى مدينة الخليل لعزيرية أبيه وتهنئه أخيه ..  
وهناك يعلم أن أخيه قد رُزق بولدين توأميين هما : رعنضو ويعقوب ..  
واحتمل إبراهيم واسحق ومدينة الخليل كلها بإسماعيل مدة بقائه معهم ..  
ثم عاد إسماعيل إلى مكة فوجد أمه على فراش الموت تحضر ..  
فأسرع إليها فإذا هي شاخصة ببصرها إلى الكعبة تبتهل إلى الله في  
صمت والناس من حولها في خشوع رهيب كأنما على رؤوسهم الطير  
وما هي إلا لحظات حتى لفظت أنفاسها الأخيرة ..  
وبكي إسماعيل أمه ، وبكى الناس جمِيعاً تلك المرأة الفاضلة المؤمنة  
الصالحة التي اختارها الله أما للعرب جميعاً ..  
ودفنت هاجر في حجر إسماعيل ..

---

( ١ ) العميد بن حسين الغفاني ، الرياض الناصرة ، ص ٩٧ - ٩٩

ثناء الله ورسوله الكريم على عبده وخليله إبراهيم

اما وفي ابراهيم عليه السلام ما أمره به ربه من التكاليف العظيمة جعله  
للناس اماما يقتدون به ويهتدون بهديه .. وسأل ابراهيم ربه ان تكون  
هذه الامامة متصلة بسببه وباقية في نسيمه وخالدة في عقبه فأجيب إلى  
ما سأله ورام وسلمت إليه الامامة بزمام واستثنى من نيلها الظالمون ،  
واختص بها من ذريته العلماء العاملون ..

يقول الله تعالى « ولقد أرسلنا نوحا وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما  
النبوة والكتاب » <sup>١</sup>

فكلنبي من الأنبياء بعد ابراهيم الخليل فمن ذريته وشيعته ، وهذه  
مرتبة عليا لا تباها ، ذلك أنه ولد له ولدان عظيمان : إسماعيل من  
هاجر ، ثم اسحق من سارة ..

وولد له يعقوب - وهو إسرائيل - الذي ينتسب إليهسائر أسباطهم ..  
أما إسماعيل عليه السلام فكانت منه العرب على اختلاف قبائلها ..

---

يقول الله تعالى « وإذا قال ابراهيم رب أرني كيف تحي الموتى . قال  
او لم تؤمن ، قال بلـى ولكن ليطمئن قلبي . قال فخذ أربعة من الطير  
فصـرهـنـ إـلـيـكـ ثـمـ اـجـعـلـ عـلـىـ كـلـ جـبـلـ مـنـهـنـ جـزـءـاـ ثـمـ اـدـعـهـنـ يـاتـيـنـكـ  
سـعـيـاـ . وـأـعـلـمـ أـنـ اللهـ عـزـيزـ حـكـيمـ » <sup>٢</sup>

( ١ ) سورة الحديد - آية ٢٦

( ٢ ) سورة البقرة - آية ٢٦٠

وقد أجاب الله عز وجل إبراهيم إلى ما سأله فامره أن يعمد إلى أربعة من الطيور وأن يمزق لحومهن وريشهن ويخلط ذلك بعضاً في بعض ثم يقسمه قسماً ويجعل على كل جبل منهن جزءاً ، ففعل ما أمر به .. ثم أمر أن يدعوهن بإذن ربهن .. فلما دعاهن جعل كل جزء يطير إلى صاحبه ، وكل ريشة تأتي إلى أختها حتى اجتمع بدن كل طائر على ما كان عليه .. وهو ينظر إلى قدرة الله الذي يقول للشئ كن فيكون ، فأتين إليه سعياً ليكون أبين له وأوضح لمشاهدته من أن يأتين طيراً .. وقد كان إبراهيم عليه السلام يعلم قدرة الله تعالى على إحياء الموتى علماً يقيناً لا يحتمل النقيض ، ولكن أحب أن يشاهد ذلك عياناً ويترقى من علم اليقين إلى عين اليقين فأجابه الله إلى سؤاله وأعطاه غاية ماموله ..

---

ونزه الله عز وجل خليله إبراهيم عليه السلام عن أن يكون يهودياً أو نصراانياً ، وبين أنه كان حنيفاً مسلماً ولم يكن من المشركين .. يقول الله تعالى ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتَةً لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُنْ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ شَاكِرًا لِّأَنْعَمِهِ . اجْتَبَاهُ رَبُّهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَأَتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً . وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مَلَةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾<sup>١</sup>

---

(١) سورة النحل - آية ١٢٠ : ١٢٣

وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر فمحيت ، ورأى إبراهيم وبسماعيل بآيديهما الأذلام فقال : " قاتلهم الله والله إن استقسا بالاذلام فقط " <sup>١</sup>

وقوله ( أمة ) أي قدوة إماماً مهتدياً داعياً إلى الخير يقتدى به فيه ..  
( قاتلوا ) أي خاشعاً له في جميع حالاته وحركاته وسكناته  
( حنيفاً ) أي مخلصاً على بصيرة ، ولم يكن من المشركين ..  
( شاكراً لأنعمه ) أي قائماً بشكر ربِّه بجميع جوارحه من قلبه ولسانه وأعماله ..  
( اجتباه ) أي اختاره الله لنفسه واصطفاه لرسالته ، واتخذه خليلاً ،  
وجمع له بين خيري الدنيا والآخرة ..  
ويُرَبِّغ الله تعالى في اتباع إبراهيم عليه السلام لأنَّه كان على الدين  
القويم والصراط المستقيم ، وقد قام بجميع ما أمرَّه به ربِّه ..  
ومدحه الله تعالى بذلك فقال « وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَى » <sup>٢</sup>  
وكان إبراهيم هو العبد الذي وفى وزاد على الوفاء بالإحسان  
قالوا : في جميع ما أمرَّ به ، وقام بجميع خصال الإيمان وشعبه ، وكان  
لا يشغله مراعاة الأمر الجليل عن القيام بمصلحة الأمر القليل ، ولا  
ينسيه القيام بأعباء المصالح الكبار عن الصغار ..

---

( ١ ) البخاري ، ج ٥ ، ص ٨٧ كتاب المغازي ، وأحمد المسند ج ١ ، ص ٣٦٥  
( ٢ ) سورة النجم - آية ٣٧

ولهذا اتخذه الله خليلا .. والخلة هي غاية المحبة ..  
 وكذلك نال هذه المرتبة خاتم الأنبياء وسيد المرسلين محمد صلى الله  
 عليه وسلم .. كما ثبت في الصحيحين وغيرهما ..  
 يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أيها الناس .. إن الله اتخذني  
 خليلا " ..  
 وقان صنف الله عليه وسلم في آخر خطبة خطبها : "أيها الناس .. لو  
 كنت متخدنا من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا ، ولكن  
 صاحبكم خليل الله " <sup>١</sup>

---

وقد ذكر الله تعالى إبراهيم عليه السلام في القرآن الكريم كثيرا بالثناء  
 عليه والمدح له .. فقيل إنه مذكور في خمسة وثلاثين موضعا ، منها  
 خمسة عشر في سورة البقرة وحدها ..  
 وهو أحد أولي العزم الخمسة المنصوص على أسمائهم تخصيصا من  
 بين سائر الأنبياء في سورتي الأحزاب والشورى ..  
 يقول الله تعالى «إِذَا أَخْذَنَا مِنَ النَّبِيِّنَ مِثَاقَهُمْ وَمِنْكُمْ وَمِنْ نَوْحٍ  
 وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنَ مَرْيَمَ وَأَخْذَنَا مِنْهُمْ مِثَاقًا غَلِيقًا» <sup>٢</sup>

(١) البخاري ، فضائل الصحابة ، ومسلم ج ٧ ، ص ١٠٨ ، ومسند الإمام أحمد ج ٣ ، ص ١٨ ، ج ٤ ، ص ٤

(٢) سورة الأحزاب - آية ٧

وقوله تعالى ﴿ شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا والذى أوحينا  
إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولا  
تتفرقوا فيه ﴾<sup>١</sup>

ثم هو أشرف أولي العزم من الرسل بعد محمد صلى الله عليه وسلم  
وهو الذي وجده عليه السلام في السماء السابعة مستندا ظهره بالبيت  
المعمور الذي يدخله كل يوم سبعون ألفا من الملائكة ..

قال صلى الله عليه وسلم : " إن الكريم بن الكريم بن الكريم  
يوسف بن يعقوب بن اسحاق بن إبراهيم خليل الرحمن "

رواه الإمام أحمد

أما المقام المحمود الذي أخبر عنه صلوات الله وسلامه عليه بقوله :  
" أنا سيد ولد آدم يوم القيمة ولا فخر " ثم ذكر استشفاع الناس بأدم ،  
ثم بنوح ، ثم بإبراهيم ، ثم موسى ، ثم عيسى ، فكلهم يحيد عنها حتى  
يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم فيقول : " أنا لها ، أنا لها " ..

ولما كان إبراهيم عليه السلام أفضل الرسل وأولي العزم بعد محمد  
صلى الله عليه وسلم أمر المصلى أن يقول في تشهده ما ثبت في  
الصحيحين من حديث كعب بن عجرة قال :  
قلنا يا رسول الله .. هذا السلام عليك قد عرفناه ، فكيف الصلاة عليك ؟

---

( ١ ) سورة الشورى - آية ١٣

قال : " قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صللت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ، وبارك على محمد وعلى آهل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد " <sup>١</sup>

### ذكر قصره في الجنة

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن في الجنة قسرا من لؤلؤة ليس فيه فصم ولا وهي أude الله لخليله إبراهيم عليه السلام نزلا "

رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف إبراهيم عليه السلام

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "رأيت عيسى بن مريم ، وموسى وإبراهيم ، فاما عيسى فاحمر جعد عريض الصدر ، وأما موسى فآدم جسم .. قالوا له : فابراهيم ؟ قال صلى الله عليه وسلم انظروا إلى صاحبكم " يعني نفسه ..

### وفاة إبراهيم عليه السلام

انتشر دين إبراهيم عليه السلام في ربع الأرض وأصبح له في كل بقعة من بقاعها داعية يدعو باسمه إلى عبادة التوحيد ..

وأحس إبراهيم بعد ذلك بأنه قد أدى الرسالة وعمل ما استطاع على تبلیغ دعوة الواحد الأحد .. فرکن إلى الهدوء والراحة في مدينة حبرون أو مدينة الخليل كما كانت تسمى ..

---

( ١ ) البخاري ، ج ٣ ، ص ٣١٥ ، ج ٤ ، ص ١٩٧

وعلم إسماعيل بمرض أبيه فانطلق على جواده إلى حبرون .. وهناك  
وجد إبراهيم عليه السلام قد استسلم إلى مرض الموت .. فدخل عليه  
وسأله :

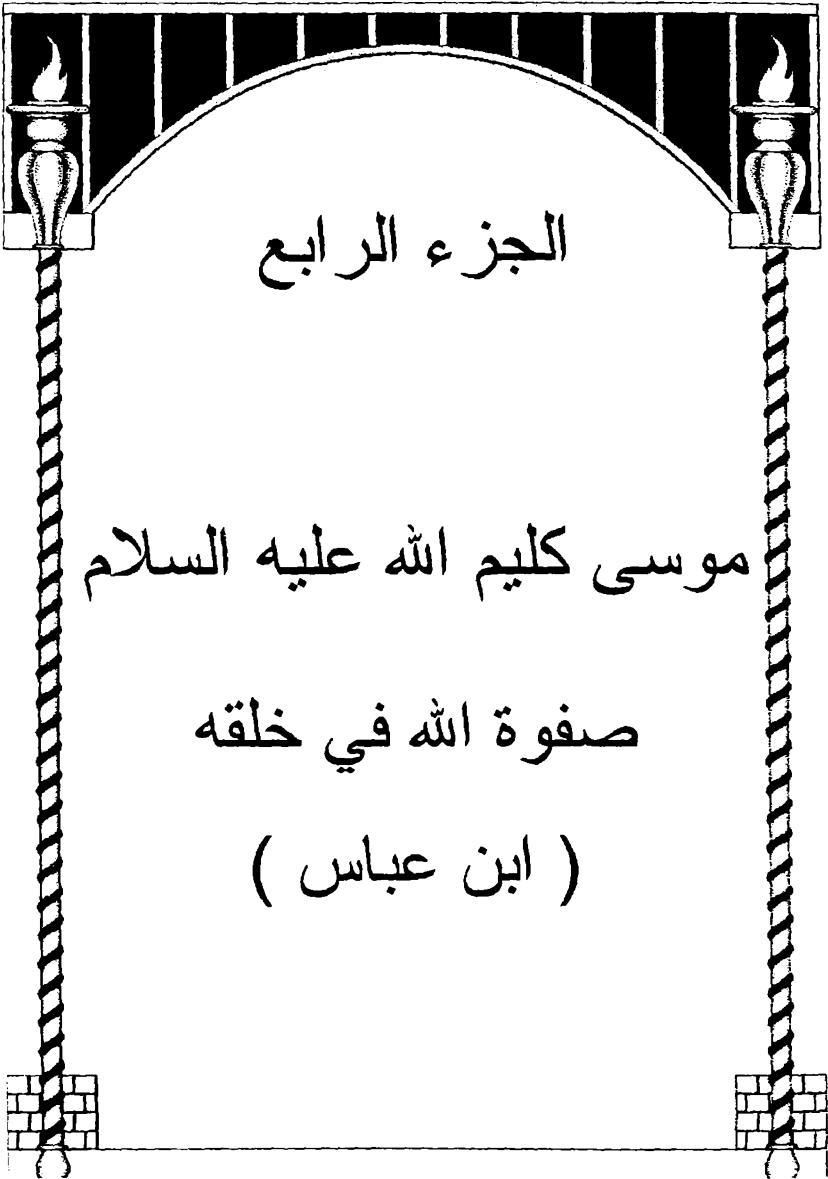
كيف حالك اليوم يا أباه ؟

فابتسم إبراهيم عليه السلام في ارتياح وقال :  
أصبحت اليوم بارئاً بحمد الله تعالى يا بني ..  
ثم جمع إبراهيم أولاده وأحفاده وقال لهم : يا بَنِي إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُم  
الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَ إِلَّا وَأَنْتُم مُسْلِمُونَ .

وسلم الروح إلى خلقها .. ودفن في قرية حبرون بيت المقدس <sup>١</sup>  
ثم المكان باسمه وهو مدينة الخليل ، ونسأله أن يعيدها إلى ديار  
المسلمين ..

---

( ١ ) د . أمينة الصاوي ، الكعبة المشرفة ، ص ٦٤



## الجزء الرابع

موسى كليم الله عليه السلام

صفوة الله في خلقه

( ابن عباس )

هو موسى بن عمران بن قاہث بن عازر بن لاوی بن یعقوب بن اسحاق بن ابراهیم علیهم السلام ..

وقد عاش بنو اسرائیل على ضفاف نیل مصر ينعمون بالخيرات حتى تولی حکم مصر فرعون ، الذي أذاقهم سوء العذاب وجعلهم عبیدا له ، ونصب نفسه إليها من دون الله ، وأمرهم أن يعبدوه وحده ..

يقول الله تعالى ﴿إِنَّ فَرْعَوْنَ عَلَى الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شَيْعَا﴾

أی تجیر وعتا وطغى وبغى ، وآخر الحياة الدنيا ، وأعرض عن طاعة الله تعالى ، وقسم رعيته إلى فرق متعددة ، يستضعف فريقا منهم وهم شعببني اسرائیل الذين هم سلالةنبي الله یعقوب بن اسحاق بن ابراهیم خلیل الله ، وكانتوا إذ ذاك خیار أهل الأرض .. وكان هذا الفرعون الفاجر يذبح أبناءبني اسرائیل ويستحي نساءهم ..

وكانت هناك بشارة مشهورة فيبني اسرائیل من أنه سيخرج من ذرية ابراهیم علیه السلام غلام يكون هلاك ملك مصر على يديه ..

وقد رُؤي أن فرعون رأى في منامه كان نارا قد أقبلت من نحو بيت المقدس فاحرقـت دور مصر وجميع القبط ولم تضربني اسرائیل ، وقد هالـه ذلك ، فجمع الكهنة والـسحرـة وسألـهم عن تفسير رؤيـاه ، فقالـوا له يولد غلام منبني اسرائیل يكون سبـب هلاـك أـهل مصر على يـديـه .. فلهـذا أمر بـقتل الغـلـمان وتركـ الـبـنـات ..

واسـتمر فـرعـون عـلـى قـتـل كلـ مـولـود ذـكر لـبني اـسرـائـيل حتـى قالـ لهـ مـعاـونـوهـ إـنـ الـكـبـارـ مـنـ بـنـي اـسـرـائـيلـ يـمـوتـونـ بـأـجـالـهـمـ وـالـصـغـارـ يـنـبـحـونـ

وإن استمر الحال على ذلك فإنهم سيفنون وسنضطر إلى مزاولة الأعمال الدنيا التي يباشرونها .. فامر فرعون بقتل المواليد الذكور عاماً و عدم القتل عاماً ..

ووضعت أم موسى ابنها هارون في العام الذي لا يقتل فيه الغلمان .. وفي العام التالي حملت بموسى عليه السلام فوق في قلبها الهم والحزن يقول الله تعالى ﴿ وَأَوْهِنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَبِذَٰلِ خَفْتُ عَلَيْهِ فَلَقِيْهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُوهُ إِلَيْكَ وَجَاعَلُوهُ مِنَ الْمَرْسَلِينَ فَالْتَّقْطَهُ آلُ فَرَعُونَ لِيَكُونُ لَهُمْ عُدُواً وَحَزْنًا . إن فرعون وهامان وجندهما كانوا خاطئين . وقالت امرأة فرعون قرة عين لي ولک لا تقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لا يشعرون ﴾ ١

في هذه الآيات المباركات يأمر الله تعالى أم موسى بارضاعه لبألف لبنها فلا يقبل ثدي غيرها بعد وقوعه في يد فرعون ، فلو لم يأمرها بارضاعه ربما كانت تسترضع له مرضعة فيفوت ذلك المقصود .. ثم يقول لها إذا خفت عليه من القتل فألقيه في اليم ولا تخافي عليه من الغرق ..

ففعلت أم موسى ما أمرها الله به .. وسار التابوت الذي وضع فيه موسى حتى مر بدار فرعون ..

كانت امرأة فرعون تجلس في بعض حاشيتها في قصر فرعون المطل على النيل وحانث منها النقاقة فرأت جسماً أسود يتحرك مع دفاع الماء

---

( ١ ) سورة القصص - آية ٧ : ٩

فأمرت الخدم أن يسرعوا بالتقاطه وحمله إليها .. ولم يمض إلا القليل من الوقت حتى كان أمامها ، وتأملته فإذا هو صندوق صنع بإحكام ، وطلي بالقار حتى لا ينفذ الماء إلى داخله ، وأمرت بفتحه فإذا فيه طفل يتلاًًا بتلك الأنوار النبوية والجلالة الموسوية ..

نظرت امرأة فرعون إلى الطفل طويلاً فرأته من قسماته وملامحه ما ملأ قلبها عطفاً وأحبته كثيراً ، واستبشرت أن يقتل مثله فجمعت شجاعتها وتحدثت إلى فرعون في أمره ، وتلطفت في العرض فرجته أن يبقى على حياة الطفل لعل في حياته نفعاً لهما إذ يصنعانه بإرشادهما ويربيانه بتوجيههما وهذا خلائق أن يصله بهما فكراً وعاطفة فحسب أن يجعله بمنزلة الآبن ..

وفرعون وإن كان ملكاً واسع الملك اجتمع له كل أسباب القوة والثروة يحتاج كل رجل إلى الأبناء ، يتلذذ بما يسبغ عليهم من عطف وينعم بتعلقهم به واعتمادهم عليه ، فاستجاب لأمرأته ولنداء الطبيعة في داخل نفسه ..

واستقر موسى في بيت فرعون .. ولكن .. شيئاً حدث سبب كثيراً من الهم والحزن لامرأة فرعون ، ذلك أن الطفل لم يقبل على ثدي أي امرأة من المراضع !!

واستبد القلق بأم موسى وأصبحت ولهمي فقالت لأخته قصي أثره وتسمى خبره .. وعلمت أخت موسى أنه في قصر فرعون وأنه يابى

الرضاعة ، فأسرعت إلى التصر تقول إن لديها علاج لهذا الأمر وأنها  
تلهم على أهل بيته يكفلونه لهم وهم له ناصحون ..

قال ابن عباس : لما قالت ذلك قالوا لها : ما يدريك بنصحهم وشفقتهم  
عليه ..

قالت : رغبة في سرور الملك ورجاء منفعته <sup>١</sup>  
وعرضوا موسى على أمه فأقبلت على تديها حتى ارتوى .. ففرحوا  
بذلك فرحاً عظيماً .. وعرضت آسية ( امرأة فرعون ) على أم موسى  
أن تكون عندها ترضع موسى وتحسن إليها ، فابتليت عليها وقالت : إن  
لي بعلا وأولاداً ولست أقدر على هذا إلا أن ترسليه معي ..  
فارسلته معها ورتب لها راتب وأجرت عليها النفقات والكساوي  
والهبات فرجعت تحوزه إلى رحلها وقد جمع الله شملها بشمله <sup>٢</sup>  
وهكذا رجعت أم موسى إلى بيتها ومعها ابنها موسى .. وأيقنت أن الله  
منجز وعده ..

---

ولما أتم موسى الرضاعة عاد إلى بيت فرعون .. ودخلت آسية به على  
فرعون فجعله في حجره ، تناول موسى لحية فرعون وشدّها ، فقال  
الغواة من أعداء الله لفرعون : ألا ترى ما وعد اللهنبيه إبراهيم أنه  
رغم أنه يرثك ويعلوك ويصررك فأرسل إلى الذابحين ليذبحوه ..

( ١ ) تفسير الطبرى ، ج ٢٠ ، ص ٢٣

( ٢ ) تفسير الطبرى ، ج ٢٠ ، ص ٢٧

وجاءت امرأة فرعون تسعى إليه فقالت : ما بدا لك في هذا الغلام الذي وهبته لي ؟ قال : ألا ترينـه .. يزعم أن يصرعني ويعلوني ؟  
قالـت : اجعلـ بيـني وبيـنكـ أمراـ تعرفـ يـهـ الحقـ .. اـنتـيـ بـثـمرةـ وجـمـرةـ  
فـقـرـبـهـنـ إـلـيـهـ فـإـنـ أـخـذـ الثـمـرـةـ وـاجـتـبـ الجـمـرـةـ عـرـفـتـ أـنـهـ يـعـقـلـ ، وـإـنـ  
تـنـاـولـ الجـمـرـةـ وـتـرـكـ الثـمـرـةـ عـلـمـتـ أـحـدـاـ لـاـ يـؤـثـرـ الجـمـرـةـ عـلـىـ الثـمـرـةـ  
وـهـوـ يـعـقـلـ ..

فـقـرـبـ إـلـيـهـ الجـمـرـةـ وـالـثـمـرـةـ فـتـنـاـولـ الجـمـرـةـ ..

فـانـتـرـعـهـاـ مـنـهـ مـخـافـةـ أـنـ تـحـرـقـ يـدـهـ .. قـالـتـ اـمـرـأـةـ فـرـعـونـ : أـلـاـ تـرـىـ ؟  
فـصـرـفـهـ اللهـ عـنـهاـ بـعـدـمـ كـانـ هـمـ بـهـاـ ..

- - -

وـتـمـضـيـ بـنـاـ الـأـيـامـ .. وـيـكـبـرـ مـوـسـىـ حـتـىـ يـصـبـحـ شـابـاـ ..  
وـبـيـنـمـاـ هوـ يـمـشـيـ بـيـنـ النـاسـ إـذـاـ بـهـ يـرـىـ رـجـلـيـنـ يـتـشـاجـرـانـ أحـدـهـماـ  
إـسـرـائـيلـيـ مـنـ قـوـمـهـ وـالـآـخـرـ مـنـ آلـ فـرـعـونـ فـاسـتـغـاثـهـ وـاسـتـجـدـ بـهـ  
إـسـرـائـيلـيـ فـضـرـبـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ الفـرـعـونـيـ بـقـبـضةـ يـدـهـ فـقـتـلـهـ وـهـوـ  
لـاـ يـرـيدـ قـتـلـهـ ١

وـقـدـ نـدـمـ مـوـسـىـ عـلـىـ فـعـلـتـهـ وـاسـتـغـفـرـ رـبـهـ ، فـغـفـرـ لـهـ .. ذـلـكـ أـنـ مـوـسـىـ لـمـ  
يـكـنـ يـيـغـيـ قـتـلـ هـذـاـ الفـرـعـونـيـ وـإـنـمـاـ كـانـ يـرـيدـ زـجـرـهـ وـرـدـعـهـ ..  
وـأـصـبـحـ مـوـسـىـ فـيـ الـمـدـنـةـ خـانـقـاـ ..

---

( ١ ) دـ. محمدـ سـيدـ طـنـطاـوىـ ، مـصـحـفـ الـأـزـهـرـ وـبـهـامـشـ التـفـسـيرـ الـمـيسـرـ ، هـامـشـ  
صـ ٣٢٤

وبينما هو كذلك إذا بالرجل الإسرائيلي الذي استنصره بالأمس يستغشه  
على آخر قد قاتله فعنده موسى ولا مه على كثرة شره ومخاصمه وقال  
له : إنك لغوي مبين .. ثم أراد أن يبيطش بذلك الفرعوني الذي هو عدو  
لmosى وللإسرائيلي فيرد عليه ويخلصه منه ..

فلما عزم على ذلك وأقبل على القبطي قال يا موسى أتريد أن تقتلني  
كما قتلت نفسا بالأمس ..

القاتل بذلك هو القبطي .. وقد ذهب بعض المفسرين إلى أن القائل هو  
الإسرائيلي لما رأى من غضب موسى عليه السلام ، و قوله له ( إنك  
لغوي مبين ) وهو لا يتفق وسياق النظم الكريم ١

وقد بلغ فرعون أن موسى قتل رجلا من شيعته فأرسل في طلبه وسبق  
جند فرعون رجل صالح جاء موسى مشفقا عليه وأخبره بأن الجند  
يبحثون عنه ليقتلوه ونصحه بأن يخرج من المدينة ..

وخرج موسى من مصر خائفا وهو لا يدرى أين يتوجه ولا إلى أين  
يذهب ..

وسار موسى عليه السلام في طريقه الذي رسّمه الله له حتى ورد ماء  
مدين .. فوجد هناك زحاما أمام النبع .. وشاهد فتاتين بعيدتين عن  
المكان تنتظران دورهما فسألهما عن وقوفهم بعيدا ؟

---

( ١ ) الشيخ محمد محمد عبد اللطيف ، أوضح التفاسير ، الطبعة الثانية ص ٤٧٠

فقالتا : إننا ننتظر هؤلاء الناس حتى ينصرفوا ولا نريد مزاحمة الرجال ، وقد جئنا نسقي الأغnam مضطربين لأن أباهاشيخ كبير ضعيف لا يستطيع الإتيان إلى هنا .. وها نحن ننتظر كما ترى ..

وسقي موسى للفتاتين أغناهم .. ثم تولى إلى ظل شجرة قالوا أنها من السمر وروى ابن جرير عن ابن مسعود أنه رأها خضراء ترف فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير ١

قال ابن عباس : سار موسى من مصر إلى مدين لم يأكل إلا البقل وورق الشجر وكان حافيا فسقطت نعلا قدميه من الحفاء وجلس إلى الظل - وهو صفوة الله من خلقه - وإن بطنه للاصق بظهره من الجوع ، وإن خضررة البقل لترى من داخل جوفه وإن لمحتاج إلى شق ثمرة ..

وعادت المرأةان إلى أبيهما فيقال أنه استكر سرعة رجوعهما فأخبرته بما كان من أمر موسى عليه السلام ، فأمر إدحاهما أن تذهب إليه فتدعوه .. فجاءته تمشي على استحياء وقالت له إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ما سقيت لنا ..

وذهب معها موسى وقص على أبيها ما كان من أمره في خروجه من مصر فرارا من فرعون وطمأنه الشيخ بنحاته من سلطان فرعون ..

---

( ١ ) تفسير الطبرى ، ج ٢٠ ، ص ٣٥ : ٣٧

قالت إحدى الفتايتين «يا أبى استأجره إن خير من استأجرت القوى  
الأمين» ١

قال لها : ما يدريك بقوته وأمانته ؟

قالت : أما قوته فما رأيت منه في الدلو حين سقى لنا لم أر رجلاً قط  
أقوى في ذلك السعي منه ، وأما الأمانة فإنه نظر إلى حين أقبلت إليه  
وشخصت له ، فلما علم أني امرأة صوب رأسه فلم يرفعه حتى بلغته  
رسالتك ، ثم قال لي امشي خلفي وانعنتي لي الطريق ، فلم يفعل هذا إلا  
وهو أمين .. فسرّي عن أبيها وصدقها ..

وقال شعيب لموسى عليهما السلام «إنى أريد أن أنكحك إحدى ابنتي  
هاتين على أن تاجرني ثانية حجج فإن أتممت عشرًا فمن عندك وما  
أريد أن أشق عليك ستجندي إن شاء الله من الصالحين» ٢  
وهذا هو مهر ابنته .. أن يعمل لدى والدها مدة ثانية حجج .. وإن أتم  
عشرًا فمن عنده ..

وقد رُوي عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :  
«سألكت جبريل أي الأجلين قضى موسى ؟ قال : أتمهما وأكملاهما »  
ولما قضى موسى الأجل اشتاق إلى أهله فاستأذن الشيخ في السفر إلى  
مصر فأذن له ..

---

(١) سورة القصص - آية ٢٦  
(٢) سورة القصص - آية ٢٧

ولما سار بأهله تاهوا في الطريق .. وكانت ليلة مظلمة باردة .. وبينما هو كذلك أبصر عن بعد نارا تأجج في جانب الطور ( طور سيناء ) فقال لأهله : امكثوا ، إني آنسست نارا العلي آتي منها بعد عود مشتعل ينير لنا الطريق أو استعلم من عندها عن الطريق ..

قال المفسرون : لما قصد موسى إلى تلك النار التي رآها فانتهى إليها وجدها تأجج في شجرة خضراء من العوسمج ( الشوك ) وكل ما لثالث النار في اضطرام ، وكل ما لخضرة تلك الشجرة في ازدياد .. فوقف متعجبًا ، وكان موسى في واد اسمه ( طوى ) وكان مستقبل القبلة وتلك الشجرة عن يمينه من ناحية الغرب فناداه ربه بالوادي المقدس طوى فأمره الله تعالى أولاً بخلع نعليه تعظيمًا وتكريما وتوقيرًا الثالث البقعة المباركة ولا سيما في تلك الليلة المباركة ..

ثم خاطبه الله تعالى « إني أنا الله رب العالمين » « إني أنا الله لا إله إلا أنا فأعبدني وأقم الصلاة لذكري »

أي أنا رب العالمين الذي لا إله إلا هو الذي لا تصلح العبادة وإقامة الصلاة إلا له ..

ثم أخبره أن هذه الدنيا ليست بدار قرار وإنما الدار الباقية يوم القيمة التي لا بد من وجودها لتجزى كل نفس بما تسعى من خير وشر .. وحضره وحثه على العمل لها ومجانبة من لا يؤمن بها ومن عصى مولاه واتبع هواه

وسأل الله موسى عليه السلام « وما تلك بييمينك يا موسى »

قال موسى : هي عصاي أتوكا عليها وأهش بها على غنمى ولې فيها  
مارب أخرى ..

فإن قيل ما فائدة السؤال في قوله تعالى «وما تلك بيمينك يا موسى»  
وهو أعلم بما في يده ، قلنا فائدته تأنيسه وتخفيض ما حصل عنده من  
دهشة الخطاب وهيبة الإجلال وقت التكلم معه ، كما يرى أحدهنا طفلا  
قد دخلته هيبة وخوف وفي يده فاكهة أو غيرها فيلطفه ويؤانسه بقوله  
ما هذا الذي في يدك ؟ مع أنه عالم به ..

الثاني : أنه أراد بذلك أن يقر موسى عليه السلام ويعرف بكونها عصا  
ويزداد علمه بكونها عصا رسوخا في قلبه فلا يحوم حوله شك إذا قلبها  
شعبانا أنها كانت عصا ثم انقلبت ثعبانا بقدرة الله تعالى ، وأن يقرر في  
نفسه المبادنة البعيدة بين المقلوب عنه والمقلوب إليه فيتبه إلى القدرة  
الباهرة ..

فإن قيل : كيف زاد موسى على حرف الجواب وليس ذلك من شيمة  
البلاغة خصوصا في مخاطبة الملك الأعلى ؟

قال ابن عباس رضي الله عنهم : إنه لما قال عصاي سئل سؤالا آخر  
فقيل له ما تصنع بها فأجاب بباقي الآية .. الثاني إنما عدد فوائدها وبين  
 حاجته إليها خوفا من أن يؤمر بالقائها كما أمر بـ لقاء النعلين .. الثالث  
أنه ذكر ذلك لئلا ينسب إليه العبث في حملها ..

فإن قيل : قد نقل أنها كانت تضى له بالليل وتندفع عنه الهوا وتشمر له  
إذا اشتهى الشمار فيغرسها في الأرض فتثمر من ساعتها ويركتزها فينبع

الماء من مركزها فإذا رفعها نصب (أي الماء ، أي غار في الأرض) وكان يستنقى بها فتطول بطول البئر وتصر بقصره ، فهلا عدد هذه المنافع ..

قلنا : كره أن يشتغل عن سماع كلام الله تعالى بتفصيل منافعها ، ففصل البعض وأجمل الباقي بقوله (ولي فيها مأرب أخرى) والله أعلم بما أجمله .. الثاني : أنه ذكر المنافع التي هي الزم له و حاجته إليها أمس .. وإن كانت المنافع التي أجملها أعجب وأغرب ..

فإن قيل : قد ذكر الله تعالى عصا موسى عليه السلام بلفظ الحية والثعبان والجان ، وبين الثعبان والجان تناف .. لأن الجن (الحياة الصغيرة) والثعبان (الحياة العظيمة) ..

قلنا : أراد الله تعالى أنها في صورة الثعبان العظيم و خفة الحياة الصغيرة وحركتها ويفيد قوله (فلما رأها تهتز كأنها جان) الثاني : أنها كانت في أول انقلابها تتقلب حية صغيرة صفراء دقيقة ثم تتورم ويتراءد جرمها حتى تصير ثعباناً فاريده بالجان أول حالها وبالثعبان مآلها .. ١

---

وبعد أن سأله المولى تعالى نبيه موسى عليه السلام عما في يمينه وقول موسى إنها عصايم ..

---

(١) الإمام زين الدين محمد بن أبي بكر عبد القادر بن عبد المحسن الرازي الحنفي ، غرائب أبي التنزيل ، ج ٤ ، ص ٣٠٢ - ٣٠٦ بتصرف

أمر الله تعالى موسى أن يلقها إلى الأرض  
فاللقاها .. فإذا هي حية عظيمة ضخمة هائلة .. فهرب موسى .. فناداه  
ربه قائلًا له ( يا موسى أقبل ولا تخف إنك من الآمنين )  
فلما رجع أمره الله تعالى أن يمسكها .. فامسک بذنبها فلما استمکن منها  
إذا هي قد عادت عصا كما كانت ..  
ثم أمره الله بإدخال يده في جيبه .. ثم أمره بنزعها فإذا هي تتلاًأ  
كالقمر بياضا من غير سوء ..  
**اذهب إلى فرعون**

أمر الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام بالذهاب إلى فرعون وأن  
يبلغه أن الله هو الإله المعبود .. اذهب يا موسى ومعك معجزتان تؤيد  
بهما كلامك وتعلموا بهما على كل من كفر بالله وعبد فرعون من دون  
رب العالمين ..

وسمع موسى عليه السلام أمر ربه فرفع يديه إلى الله عز وجل وناداه  
متضرعا .. يا رب إنك تعلم إبني كنت في بلدي مصر عند فرعون وأل  
فرعون وإنني قتلت منهم رجلا فأخاف أن يقتلون ولا أتمكن من دعوتي  
وأخي هارون هو أفعح مني لسانا فاجعله معي وزيرا يساعدني  
ويعينني على أداء رسالتك إليهم ..

ولم يكن مراد موسى بقوله ( ردءا يصدقني ) أن يقول له صدقت في  
دعوى الرسالة ، فإن ذلك لا يفيده عند فرعون وقومه الذين كانوا لا  
يصدقونه مع وجود تلك الآية الباهرة والمعجزات الظاهرة بل مراده أن

يلخص حججه بلسانه ويبيّن القول فيها ببيانه ويجادل عنه بالحق  
فيكون ذلك لتصديقه ١

قيل إنه أصابه في لسانه لثغة بسبب تلك الجمرة التي وضعها على  
لسانه ، والتي كان فرعون أراد اختبار عقله حين أخذ بلحيته وهو  
صغير فهم بقتله ، فخافت عليه آسية زوجة فرعون وقالت إنه طفل  
فاختبره بوضع ثمرة وجمرة بين يديه فهم بأخذ الثمرة فصرف ، إنما يده  
إلى الجمرة فأخذها ووضعها على لسانه فأصابه لثغة بسببها فسأل الله  
زوال بعضها بمقدار ما يفهمون قوله ، ولم يسأل زوالها بالكلية ..  
قال الحسن البصري : والرّسل إنما يسألون بحسب الحاجة ولهذا بقيت  
في لسانه بقية .. ٢

وقد أنعم الله تعالى على موسى عليه السلام بإجابة دعوته فقال تعالى  
﴿ ستشد عضدك بأخيك ﴾ فالمراد أنه جعله عضدا له وناصرا ومعينا  
ثم قال الله تعالى له اذهب أنت وأخوك إلى فرعون وقولا له ما أمرتكما  
به برفق ولين وادعواه إلى عبادة الله تعالى وحده لا شريك له وأن يفك  
أسارىبني إسرائيل من قبضته وقهره وسطوته ويتركهم يعبدون ربهم  
ويتقرّبون لدعائهما وتتوحّيداه

---

---

( ١ ) الإمام الرازى الحنفى ، غرائب أبي التنزيل ، ص ٣٦٠

( ٢ ) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٣٦

فذهب موسى وأخيه هارون إلى فرعون ودعاه إلى عبادة الله الواحد  
وقالا له إنا رسولا رب العالمين ..

فتذكر فرعون في نفسه وطغى ، ونظر إلى موسى بعين الازدراء قائلا  
له ألم نربك في منزلنا وأحسنا إليك وأنعمنا عليك مدة من الدهر ؟ ثم  
قال له : قتلت الرجل القبطي وفررت منا وحدثت نعمتنا ..

قال موسى : فعلتها قبل أن يُوحى إلي .. ثم قال محببا لفرعون عما  
امتن به من التربية والإحسان إليه .. إن هذه النعمة التي ذكرت من أنك  
أحسنت إلي وأنا رجل واحد منبني إسرائيل تقابل ما استخدمت هذا  
الشعب العظيم بكماله واستعبدتهم في أعمالك وخدمتك ..

قال فرعون لموسى على سبيل الإنكار لرسالته ( وما رب العالمين ) ..  
فأجابه موسى رب العالمين خالق هذه السموات والأرض وما بينهما  
من المخلوقات المتعددة .. وهو الله الذي لا إله إلا هو رب العالمين ..

قال فرعون لمن حوله من أمرائه ووزرائه على سبيل التهم والتقصص  
لما قرره موسى عليه السلام .. لا تستمعون كلامه هذا .. ؟

قال موسى مخاطبا له ولهم : ربكم ورب آبائكم الأولين . الذي خلقكم  
والذين من قبلكم من الآباء والأجداد والقرون السالفة . فإن كل واحد  
يعلم أنه لم يخلق نفسه ولا أبوه ولا أمه ، وإنما أوجده وخلقه رب  
العالمين ..

ومع هذا لم يستفق فرعون ويعود إلى رشده ، وإنما استمر في طغيانه  
وعناده وكفره ، وعمد إلى استعمال سلطانه وسلطوته ، فقال لموسى لمن  
اتخذت إليها غيري لأجعلنك من المسجونين ..

ولم يهتز موسى لها التهديد بل قال لفرعون أو لو جئتكم بمعجزة  
ظاهرة أمام عينيك ثبتت لك أنني رسول من رب العالمين !  
قال فرعون فأت بها إن كنت من الصادقين ..

ونظر فرعون .. فإذا بموسى عليه السلام يلقي عصاه فتحول إلى  
ثعبان عظيم في الضخامة والهول والمنظر العظيم الباهر ..  
فأخذ فرعون رهب شديد وخوف عظيم ..

ثم أدخل موسى يده في جيبه واستخرجها فإذا هي كفالة القمر تتلاأ  
نورا يبهر الأبصار فإذا أعادها إلى جيبه واستخرجها رجعت إلى  
صفتها الأولى ..

ومع هذا لم يرتدع فرعون بل استمر في عناده وأعلن أن هذا كله سحر  
وقال موسى نحن نعارضك بمثله ثم طلب من موسى أن يواعده إلى  
وقت معلوم ومكان معلوم لمناظرة السحرة الذين سيأتي بهم فرعون ..  
وكان هذا من أكبر مقاصد موسى عليه السلام أن يظهر آيات الله  
وحجه وبراهينه جهرا يحضره الناس .. ولهذا قال موعدكم يوم  
الزينة وكان يوم عيد من أعيادهم مجتمع لهم وأن يحضر الناس من  
أول النهار في وقت اشتداد ضياء الشمس فيكون الحق أظهر وأجل ..

وطلب موسى أن يكون الموعد نهاراً جهرة لأنه على بصيرة من ربه  
ويقين بأن الله سيظهر كلمته ودينه وإن رغمت أنوف القبط ١

---

وجمع فرعون من كان ببلاده من السحرة ، وكانت مصر في ذلك  
الزمان تعج بهم ..

وحضر فرعون وأمراؤه وأهل بلده عن بكرة أبيهم ..  
وتقى موسى عليه السلام إلى السحرة فوعظهم وزجرهم عن تعاطي  
السحر الباطل الذي فيه معارضته لآيات الله وحججه .. وقال لهم  
سترون أتنى أحمل الحق وأدعوه إليه فلا تكذبوا على الله فقد خاب من  
كذب ولن ينساه الله من عقابه وعذابه ..

واصطف السحرة .. ووقف موسى وهارون عليهما السلام تجاههم ..  
قالوا له : إما أن تلقي قبلاً وإما أن نلقك قبلاً ..  
فقال لهم موسى عليه السلام : بل القوا أنتم ..  
وكانوا قد عدوا إلى حبال وعصي فأودعوا الزئبق وغيره من الآلات  
التي تضطرب بسببها تلك الحال والعصي اضطراباً يخيل للرأي أنها  
تسعى باختيارها وإنما تتحرك بسبب ذلك ، فعند ذلك سحروا أعين  
الناس واسترعبوهم عندما ألقوا حبالهم وعصيهم وهم يقولون « بعزة  
فرعون إننا لنحن الغالبون » ٢

---

(١) تاريخ الطبرى ، ج ١ ، ص ٢٨٧

(٢) سورة الشعراء - آية ٤٤

وخف موسى أن يفتن الناس بسحرهم قبل أن يلتقي ما في يده .. فاوحى الله إليه أن يلقي بعصاه ، فلما ألقاها صارت حية ضخمة ذات عنق عظيم وشكل هائل مزعج فخافها الناس وتآخروا عن مكانها .. وأقبلت الحياة على ما ألقاه السحرة من الحال والعصي فجعلت تلتفه واحدا واحدا في أسرع ما يكون من الحركة والناس ينظرون إليها وينتعجبون منها ..

### إيمان السحرة

أما السحرة فإنهم رأوا ما هالهم وحيرهم في أمرهم ، واطلعوا على أمر لم يكن في جدهم ، ولا يدخل تحت صناعاتهم وأشغالهم .. فعند ذلك تتحققوا بما عندهم من العلم أن هذا ليس بسحر ولا شعوذة ولا خيال ولا زور ولا بهتان ، بل حق لا يقدر عليه إلا الحق الذي ابتعث هذا المؤيد به بالحق ..

وكشف الله عن قلوبهم غشاوة الغفلة وأنارها بما خلق فيها من الهدى وأزاح عنها الغشوة .. فأنابوا إلى ربهم وخرموا ساجدين لرب العالمين وقالوا جهرة للحاضرين أمنا برب هارون وموسى وأفزع فرعون ما رأى من أمر السحرة فقال لهم : أمنتم له قبل أن آذن لكم ، إنتي سأعقلكم عقبا لم تعرفوه من قبل ، فسوف أقطع أيديكم وأرجلكم وسوف أصلبكم في جذوع النخل .

وثبت السحرة على إيمانهم وردوا على تهديد فرعون دون خوف من بطشه .. إنهم لن يفضلوا بشرًا على الله وأنهم لن يعبدوه من دون الله

وأنهم آمنوا بربهم ليغفر لهم خطاياهم وسحرهم .. وقالوا لفرعون إن  
الذي يأتي ربه يوم القيمة كافرا فإن له جهنم وبئس المصير .. أما الذي  
يأتيه مؤمنا قد عمل الصالحات فله الجنة ..

وازداد فرعون غضبا وحددا على الفتاة المؤمنة فأمر جنوده بتعذيب  
وقتل وصلب كل من آمن بموسى وهارون  
ونفذ الجنود ما أمر به فرعون ..

وقال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا وبشرهم بقوله إن العاقبة  
للمتقين وإن الله سينصرهم وإن لهم الجنة في النهاية ..

---

وجلس فرعون يفكر في الأمر .. وانتهى إلى قراره بقتل موسى ..  
وسكت القوم ولم يتكلموا ..  
**مؤمن آل فرعون**

ولما سكت قوم فرعون انطلق واحد منهم يقول : أنتلون رجالاً أن يقول  
ربى الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم ، وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن  
يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم ، إن الله لا يهدي من هو مسرف  
كذاب .. يا قوم لكم الملك اليوم ظاهرين في الأرض فمن ينصرنا من  
بأس الله إن جاعنا ..

وهذا الرجل هو ابن عم فرعون ، وكان يكتم إيمانه عن قومه خوفاً منهم على نفسه ، وزعم بعض الناس أنه كان إسرائيلياً وهو بعيد ومخالف لسياق الكلام لفظاً ومعنى .. ١

ويدعو الرجل المؤمن قومه إلى طريق الرشاد الحق ، وهو متابعة نبي الله موسى وتصديقه فيما جاء به من عند ربه ، ثم زهدهم في الدنيا الفانية المنقضية لا محالة ، ورغبتهم في طلب التواب عند الله الذي لا يضيع عمل عامل لديه ، القدير الذي ملكوت كل شيء بيده ، الذي يعطي على القليل كثيراً ، ومن عمله لا يجازي على السيدة إلا مثلاها ، وأخبرهم أن الآخرة هي دار القرار التي من وافقها مؤمناً قد عمل الصالحات فله الدرجات العالىات والخيرات الكثيرة والأرزاق الدائمة التي لا تبدي .. ثم شرع في إبطال ما هم عليه وتخويفهم مما يصيرون إليه ..

كان يدعوهم إلى عبادة رب السموات والأرض الذي يقول للشيء كن فيكون وهم يدعونه إلى عبادة فرعون الجاهل الضال الملعون .. ثم بين لهم بطلان ما هم عليه من عبادة ما سوى الله من الأوثان ، وأنها لا تملك من نفع ولا أضرار .. أما الله عز وجل فإنه الخالق الرزاق للأبرار والفحار ، وهو الذي أحيا العباد ويميتهم ويعذبهم فيدخل طائعهم الجنة وعاصيهم النار .. ثم توعدهم إن هم استمروا على العناد بقوله فستذكرون ما أقول لكم ، وأفوض أمرى إلى الله إن الله بصير بالعباد ..

---

(١) تفسير الطبرى ، ج ٢٨ / ٢٣

ولم يؤمن آل فرعون ولم يستحببوا لموسى عليه السلام ولا لمؤمن آل فرعون ..

وقد ابتلاهم الله بالسنين وهي أعوام الجدب التي لا يستغل فيها زرع ولا ينفع بضرع ، وقلة التمار فلم يرتدعوا ..

بل تمردوا واستمروا على كفرهم وعنادهم .. قلوبهم منكرة نافرة عن الحق .. إذا جاء الشر أسندوه لغيرهم ، وإن رأوا خيراً دعوه لأنفسهم .. وقلوا لموسى مهما جئتنا من الآيات ( وهي الخوارق للعادات ) فلن نؤمن بك ولا نتبعك ولا نطيعك ..

يقول الله تعالى « فَارسلنا عليهم الطوفان والجراد والقمل والضفادع آيات مفصلات فاستكروا و كانوا قوماً مجرمين »

أما الطوفان .. فعن ابن عباس هو كثرة الأمطار المغرقة المختلفة للزرع والتمار .. وقد لبسنهم الضفادع حتى كانت تسقط في أطعمةهم وأوانفهم حتى إن أحدهم إذا فتح فاه لطعام أو شراب سقطت فيه ضفدعه من تلك الضفادع .. وأما الدم فقد مزج ما ذرهم كله به فلا يستقون من النيل أو نهراً وبئر إلا وجدوه دماً طرياً ..

هذا كله ولم ينزلبني إسرائيل من ذلك شئ بالكلية ..

اما عدو الله فرعون فقد استشاط غضباً حين آمنت السحرة كما رأينا وأبى إلا الإقامة على الكفر والتمادي في الشر ..

فتتابع الله عليه وعلى آل الله بالآيات فأخذهم بالسنين وأرسل عليهم الطوفان ثم الجراد ثم القمل ثم الضفادع ثم الدم آيات مفصلات ..

فَلَمَّا بَلَغُهُمْ ذَلِكَ قَالُوا يَا مُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَاهَدَ لَنَّنَا كَشَفْتَ  
عَنَا الرُّجُزَ لِنَؤْمِنْنَ لَكَ وَلِنَرْسِلَنَ مَعَكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ..

فَدَعَا مُوسَى رَبَّهُ فَكَشَفَ عَنْهُمْ ، فَلَمَّا لَمْ يَقُولُهُ بِشَيْءٍ مَا قَالُوا أَرْسَلَ اللَّهُ  
عَلَيْهِمُ الْجَرَادَ فَأَكَلَ الشَّجَرَ حَتَّىٰ إِنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ مَسَامِيرَ الْأَبْوَابِ مِنَ  
الْحَدِيدِ فَتَقَعُ دُورُهُمْ وَمَسَاكِنَهُمْ .. قَالُوا مِثْلُ مَا قَالُوا ..

وَكَلَّمَا شَاهَدُوا آيَةً وَعَايَنُوهَا حَفَّوْا وَعَاهَدُوا مُوسَى لَنَّنَا كَشَفْتَ عَنْهُمْ هَذِهِ  
لِيَؤْمِنُنَّ بِهِ وَلِيُرْسِلَنَ مَعَهُ مَنْ هُوَ مِنْ حَزْبِهِ ، فَكَلَّمَا رَفَعْتَ عَنْهُمْ تِلْكَ  
الْآيَةَ عَادُوا إِلَى شَرِّ مَا كَانُوا عَلَيْهِ وَأَعْرَضُوا عَمَّا جَاءَهُمْ بِهِ مِنَ الْحَقِّ  
وَلَمْ يَلْقَفُوا إِلَيْهِ ، فَيُرْسِلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ آيَةً أُخْرَىٰ هِيَ أَشَدُّ مَا كَانَتْ قَبْلَهَا  
وَأَقْوَىٰ .. فَيَقُولُونَ ، وَيَكْذِبُونَ ، وَيَعْدُونَ ، وَلَا يَوْفُونَ ، وَيَعُودُونَ إِلَى  
جَهَنَّمِ الْعَرِيضِ الطَّوِيلِ ..

هَذَا وَالْعَظِيمُ الْحَلِيمُ الْقَدِيرُ يَنْذِرُهُمْ وَلَا يَعْجِلُ عَلَيْهِمْ ..  
ثُمَّ أَخْذُهُمْ بَعْدَ إِقَامَةِ الْحَجَةَ عَلَيْهِمْ وَالْاعْذَارَ إِلَيْهِمْ أَخْذُ عَزِيزٍ مُقْنَدِرٍ  
فَجَعَلَهُمْ عَبْرَةً وَنَكَالًا وَمِثْلًا لِمَنْ اتَّعَظَ بِهِمْ مِنْ عَبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ..  
ثُمَّ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْ تَبْجُحِ فَرْعَوْنَ بِمُلْكِهِ وَعَظَمَةِ بَلْدَهُ وَحَسَنَهَا  
وَتَخْرُقَ الْأَنْهَارَ فِيهَا وَأَخْذَ يَتَنَقَّصُ رَسُولُ اللَّهِ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ  
وَيَزِدُرِيهِ بِسَبِبِ مَا كَانَ فِي لِسَانِهِ مِنْ بَقِيَّةِ تِلْكَ اللَّثْعَةِ ..

وَيَخْبُرُ اللَّهُ تَعَالَىٰ أَنَّهُمْ لَمَّا اسْتَكَبُرُوا عَنْ اتِّبَاعِ الْحَقِّ وَأَدْعَى مُلْكَهُمْ  
فَرْعَوْنَ الْبَاطِلَ وَوَافَقُوهُ عَلَيْهِ وَأَطَاعُوهُ فِيهِ اشْتَدَ غَضْبُ الرَّبِّ الْقَدِيرِ  
الْعَزِيزُ الَّذِي لَا يَغْلِبُ وَلَا يَمْأُنُ عَلَيْهِمْ فَاتَّقُمْ مِنْهُمْ أَشَدُ الْإِنْتَقَامِ وَأَغْرِقُهُمْ

هو وجنوده في صبيحة واحدة فلم يفلت منهم أحد بل كل قد غرق كما سُنرى بعد قليل وكلهم دخلوا النار لأنهم ماتوا على كفرهم ، واتبعوا في هذه الدار لعنة بين العالمين .. ويوم القيامة بئس الرفد المرفود ويوم القيامة هم من المقوبحين ..

### خروج المؤمنين من مصر

أوحى الله إلى موسى أن يترك الأرض الظالمة وأن يأخذ معه المؤمنين إلى فلسطين ليقيموا دولة الإيمان هناك ..

ولما تحرك موسى حيث أمره الله تعالى حشد فرعون جنوده وسار خلف موسى ومن معه من المؤمنين يريد اللحاق بهم وقتلهم .. ووصل المؤمنون إلى البحر ..

وإنه لموقف عظيم .. أصبح المؤمنون بين البحر والعدو .. فإن تقدموا غرقوا وإن تراجعوا قتلتهم فرعون وجنوده ..

قالوا : إننا لمدركون .. ويجيئكم موسى المؤمن الصادق الصدوق ( كل إن معى ربى سيهدىني )

ووقف المؤمنون حيارى .. ونظروا إلى موسى .. وهذا تتدخل العناية الإلهية فيأمر الله تعالى نبيه موسى عليه السلام أن يضرب البحر بعصاه .. ويضرب موسى البحر بالعصا فينشق البحر بإذن الله وصار الماء من ها هنا وها هنا كالجبلين وصار وسطه ييسا طريق طويل على أرض البحر ويمشي فيه المؤمنين ..

سار المؤمنون فرحين مدحشين من معجزة الله .. ولكن .. !!؟؟؟

نظروا وراءهم فرأوا فرعون وجنوده يتبعوهم أيضا فعاد إليهم الفلق  
والخوف ..

ويخرج موسى وقومه من البحر .. وينجيهم الله .. وكان فرعون  
وجنوده في منتصف الطريق ..

ويضرب موسى البحر بعصاه فيرجع الماء إلى ما كان عليه ويصرخ  
فرعون ( آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل )  
ولم ينفعه إيمانه الآن بعدما ارتكب من المعاشي والشرك بالله ..  
ويموت فرعون وجنوده ..

وغرق الجنود إلى قاع البحر .. أما فرعون فلقياه الله طافيا على سطح  
الماء .. وتندفه الأمواج إلى الشاطئ ليراه المؤمنون .. فقد كانوا لا  
يتصورون أن فرعون يموت ..

- - -

ما كان من أمربني إسرائيل بعد هلاك فرعون  
أهلk الله تعالى فرعون وجنوده وأورثبني إسرائيل جميع أموالهم  
وأملاكهم ولم يبق بمصر سوى العامة ..

وبعد أن عبر موسى والذين آمنوا معه البحر مرروا على قوم يعبدون  
أصناما فسالوا نبيهم موسى أن يجعل لهم آلة كما لأولئك آلة ..  
فذكرهم بنعمة الله عليهم في تفضيله إياهم على عالمي زمانهم بالعلم  
والرسول المرسل إليهم .. وما أحسن الله به إليهم وما امتن به عليهم  
من إنجانهم من قبضة فرعون الجبار العنيد ، وإهلاكه إياه وهم

ينظرون ، وتوريثه اياهم ما كان فرعون وملوء يجمعونه من الأموال  
وما كانوا يعرشون .. وبين لهم أنه لا تصلح العبادة إلا الله وحده لا  
شريك له ، لأنه الخالق الرزاق القهار ..

---

ولما ترك موسى عليه السلام مصر وواجه بيت المقدس أمر أتباعه  
بالجهاد ودخول بيت المقدس فأبوا وقالوا يا موسى إن فيها قوما جبارين  
وإننا لن ندخلها حتى يخرجوا منها ..

قال لهم موسى عليه السلام : إذا توكلتم على الله واستعنتم به ولجأتم  
إليه فإنه سينصركم على عدوكم ..

فصمموا على النكول عن الجهاد وقالوا يا موسى إننا لن ندخلها أبدا  
ماداموا فيها فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا قاعدون ..

قال موسى عليه السلام يا رب إني لا أملك إلا نفسي وأخي هارون  
فأقض بيني وبينهم .. فعاقبهم الله على نكولهم بالتيهان في الأرض  
يسيرون إلى غير مقصد ليلا ونهارا وصباحا ومساء ولا يخرجون منه  
إلى أربعين سنة ..

**دخول بنى إسرائيل التيه وما جرى لهم فيها من الأمور**

نزل بنو إسرائيل طور سيناء وصعد موسى عليه السلام الجبل فكلمه  
الله تعالى وأمره أن يذكر بنى إسرائيل بما أنعم به عليهم من إنجانه  
اياهم من فرعون وقومه وأمره أن يأمر بنى إسرائيل بأن يتظهروا  
ويغسلوا ويغسلوا ثيابهم ، فإذا كان اليوم الثالث فليجتمعوا حول الجبل

ولا يقتربن أحد منهم إليه .. فمن دنا منه قتل ماداموا يسمعون صوت  
البوق فإذا سكن فقد حل لهم أن يرثقوه .. فسمع بنو إسرائيل ذلك  
وأطاعوا واغسلوا وتطيبوا ..

فلما كان اليوم الثالث ركب الجبل غمامه عظيمة وفيها أصوات وبروق  
ففرزع بنو إسرائيل من ذلك فزعا شديدا وخرجوا فقاموا في سفح الجبل  
وخشى الجبل دخان عظيم في وسطه عمود نور زلزل الجبل كله زلزلة  
شديدة ، واستمر صوت البوق وأشتد ، وموسى عليه السلام فوق الجبل  
يناجي ربه ..

وقد أنعم الله تعالى على بنى إسرائيل فيسر لهم المن والسلوى وهم  
طعامين شهرين بلا كلفة ولا سعي لهم فيه .. فينزل الله المن باكرا  
ويرسل عليهم طير السلوى عشا ، وأنبع الماء لهم بضرب موسى عليه  
السلام الحجر فتنفجر منه اثنتا عشرة عينا لكل سبط عين ينفجر منها  
ماء زلا لا فيشربون منه ويستقوندوا بهم وظلل عليهم الغمام من الحر ..  
وهذه نعم من الله عظيمة فما رأوها حق رعايتها ولا قاموا بشكرها ..  
ثم ضجر كثير منهم منها وتبرموا بها وطلبو استبدالها بما تبت  
الأرض من بقلها وفتاها وفومها وعدسها وبصلها .. فقال لهم موسى  
عليه السلام إن هذا الذي تطلبونه وتريدونه بدل هذه النعم التي أنتم فيها  
حاصل لأهل الأمصار ، موجود بها ، وإذا هبطتم إليها تجدون بها ما  
تشتهون من المأكولات الدنية ..

وتدل تصرفاتهم على أنهم لم ينتهوا عما نهوا عنه فعل عليهم غضب من الله .. أما من أتاب وتاب فقد غفر الله له .. إن الله غفار لمن تاب وأمن وعمل صالحا ثم اهتدى ..

### طلب موسى رؤية ربه

كلم الله موسى عليه السلام .. وهذا مقام رفيع ومنصب شريف ومنزل منيف .. ولما أعطي هذه المنزلة العلية والمرتبة السنوية وسمع الخطاب سأله ربه رفع الحجاب فقال للعظيم الذي لا تدركه الأبصار ( رب أرني أنظر إليك قال لن تراني ) ثم بين الله تعالى لموسى عليه السلام أنه لا يستطيع أن يثبت عند تجليه تبارك وتعالى لأن الجبل الذي هو أقوى وأشد ثباتا من الإنسان لا يثبت عند التجلي من الرحمن ، ولهذا قال ( ولكن أنظر إلى الجبل فإن استقر مكانه فسوف تراني ) ..

ولما رأى موسى ما حل بالجبل خرّ مغضيا عليه .. ولما أفاق قال سبحانك تنزيه وإجلال أن يرى الله بعظمته أحد ، وتاب إلى الله وقال بأنه لن يسأل الله بعد هذه الرؤية وأنه أول المؤمنين وقد ثبت في الصحيحين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " لا تخironي من بين الأنبياء ، فإن الناس يصعقون يوم القيمة فـأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى أخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدرى أفق قبلي أم جوزي بصعقة الطور " ١

---

( ١ ) البخاري ، ج ٣ ، ص ٢٤٤ الخصومات رقم ( ١ )

وقوله صلى الله عليه وسلم : " فاكون أول من يفيق فاجد موسى أخذنا بقائمة العرش فلا أدرى أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور " دليل على أن هذا الصعق الذي يحصل للخلائق يوم القيمة حين يتجلى رب لفصل القضاء بين عباده ، فيصعدون من شدة الهيبة والعظمة فيكون أولهم إفادة محمد خاتم الأنبياء ومصطفى رب العالمين والسلام على سائر الأنبياء فيجد موسى عليه السلام أخذ بقائمة من قوائم العرش قال الصادق المصدوق ( فلا أدرى أصعق فأفاق قبلي ) ؟ أي وكانت صعقته خفيفة ، لأنه قد ناله بهذا السبب في الدنيا صعق ( أو جوزي بصعقة الطور ) يعني لم يصعق بالكلية ..

وهذا فيه شرف كبير لموسى عليه السلام من هذه الحيثية وقوله تعالى ( قال يا موسى إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي ) أي في ذلك الزمان ، لا ما قبله – لأن إبراهيم الخليل أفضل منه – ولا ما بعده – لأن محمد صلى الله عليه وسلم أفضل منها – كما ظهر شرفة ليلة الإسراء والمعراج على جميع المرسلين والأنبياء ، كما ثبت أنه قال

( سأقوم مقاما يرحب إليَّ الخلق حتى إبراهيم ) ١

وأنزل الله تعالى على موسى عليه السلام التوراة وقال الله تعالى لموسى يا موسى إني اصطفتك على الناس فخذ ما آتتنيك وكن من الشاكرين .. وشكر موسى ربه على نعمة الرسالة والكتاب ..

---

( ١ ) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٣٧٤ – ٣٧٥

## عبادة بنى إسرائيل العجل في غيبة موسى عليه السلام

لما ذهب موسى عليه السلام إلى ميقات ربه فمكث على الطور ينادي ربـه .. عمـد رـجـل من بـنـى إـسـرـائـيل يـقـال لـه السـامـري فـاخـذ ما كـانـوا اسـتـعـارـوـهـ من الـحـلـيـ فـصـاغـ مـنـهـ عـجـلاـ جـسـداـ لـهـ خـوارـ عـبـدـهـ بـعـضـهـ .. وـلـمـ رـجـعـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ إـلـىـ قـوـمـهـ وـرـأـيـ ماـ هـمـ عـلـيـهـ مـنـ عـبـادـةـ العـجـلـ وـمـعـهـ الـأـلـوـاـحـ المـتـضـمـنـةـ التـوـرـاـةـ الـقـاـهـاـ .. وـأـقـبـلـ عـلـيـهـمـ وـعـنـفـهـمـ وـوـبـخـهـمـ فـاعـتـزـرـوـاـ لـهـ ..

ثـمـ أـقـبـلـ عـلـىـ أـخـيـهـ هـارـونـ قـائـلاـ لـهـ لـمـ أـرـأـيـتـ مـاـ صـنـعـوـاـ لـمـ لـمـ تـتـبـعـنـيـ فـتـخـبـرـنـيـ بـمـاـ فـعـلـوـاـ .. فـقـالـ لـهـ هـارـونـ إـنـيـ خـشـيـتـ أـنـ أـتـرـكـهـمـ وـقـدـ اـسـتـخـلـفـتـيـ فـيـهـمـ ..

وـشـهـدـ اللـهـ لـهـارـونـ أـنـ نـهـاـهـمـ وـزـجـرـهـمـ عـنـ ذـلـكـ فـلـمـ يـطـيـعـهـ ..

وـظـلـبـ مـوـسـىـ عـلـيـهـ السـلـامـ مـنـ رـبـهـ أـنـ يـغـفـرـ لـهـ وـلـأـخـيـهـ فـغـفـرـ لـهـمـ ..

ثـمـ أـقـبـلـ مـوـسـىـ عـلـىـ السـامـريـ وـسـأـلـهـ مـاـ حـمـلـكـ عـلـىـ مـاـ صـنـعـتـ فـقـالـ السـامـريـ : رـأـيـتـ جـبـرـائـيلـ وـهـوـ يـرـكـبـ فـرـسـاـ فـقـبـضـتـ قـبـضـةـ مـنـ أـثـرـ فـرـسـ جـبـرـيلـ ، فـلـمـ أـقـيـنـهـاـ فـيـ هـذـاـ عـجـلـ الـمـصـنـوـعـ مـنـ الذـهـبـ كـانـ مـنـ أـمـرـهـ مـاـ كـانـ .. ثـمـ عـمـدـ مـوـسـىـ إـلـىـ هـذـاـ عـجـلـ فـحـرـقـهـ ثـمـ ذـرـاهـ فـيـ الـبـحـرـ وـأـمـرـ بـنـىـ إـسـرـائـيلـ فـشـرـبـوـاـ ، فـمـنـ كـانـ مـنـ عـابـدـيـهـ عـلـقـ فـيـ شـفـاهـهـمـ مـنـ ذـلـكـ الرـمـادـ مـاـ يـدـلـ عـلـيـهـ وـقـيـلـ بـلـ اـصـفـرـتـ الـوـانـهـ <sup>١</sup>

( ١ ) تاريخ الطبرى ، ج ١ ، ص ٢٩٨ - ٣٠٠

ثم أخبر تعالى عن حلمه ورحمته بخلقه وإحسانه على عبيده في قبوله  
توبه من تاب إليه بتوبته عليه ..

لكن لم يقبل الله توبة عابدي العجل إلا بالقتل .. فيقال إنهم أصبحوا يوماً  
وقد أخذ من لم يعبد العجل في أيديهم السيف والقى الله عليهم ضباباً  
حتى لا يعرف القريب قريبه ثم مالوا على عابديه فقتلوهم .. فيقال إنهم  
قتلوا في سبيحة واحدة سبعين أنا <sup>١</sup>

- - -

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قال موسى : يا رب علمني  
 شيئاً أذكرك به وأدعوك به .. قال : قل يا موسى لا إله إلا الله ، قال :  
يا رب كل عبادك يقول هذا .. قال رب العزة قل لا إله إلا الله قال :  
إنما أريد شيئاً تخصني به ، قال : يا موسى لو أن أهل السموات السبع  
والأرضين السبع في كفة ولا إله إلا الله في كفة مالت بهم لا إله إلا الله  
وروى عن ابن عباس أنبني إسرائيل قالوا لموسى : هل ينام ربكم ؟  
قال : اتقوا الله فناداه ربه عز وجل : يا موسى .. سألك هل ينام ربكم  
فخذ رجاجتين في يديك فقم الليل .. ففعل موسى .. فلما ذهب من الليل  
ثلاثة نسсы موسى فوقع لركبتيه ، ثم انتعش فضبطهما حتى إذا كان آخر  
الليل نسسى فسقطت الزجاجتان فانكسرتا .. فقال يا موسى : لو كنت أنام  
لسقطت السموات والأرض فهلكن كما هلكت الزجاجتان في يديك ..  
قال : وأنزل الله على رسوله آية الكرسي ..

---

( ١ ) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٢٨٠ - ٢٨١

## قصة بقرة بنى إسرائيل

كان رجل من بنى إسرائيل عقيما لا يوجد له أبناء وله مال كثير ، وكان ابن أخيه وارثه فقتلته ثم احتمله ليلا فوضعه على باب رجل منهم فلما أصبح الناس اختصموا فيه ، وجاء ابن أخيه فجعل يصرخ .. فقال رجل منهم من ذوي الرأي علام تختصمون ولا تأتون نبى الله موسى ..

فأتوا موسى عليه السلام فذكروا ذلك فقال ( إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة .. قالوا : أتتخذنا هزوا ) يعنيون نحن نسألكم عن أمر هذا القتيل وأنت تقول لنا هذا سخرية منا .. قال لهم : أعوذ بالله أن أقول عنه غير ما أوحى إلي ، وهذا هو الذي أجابني به ربِّي حين سأله عما سألتُموسي أن أسأله فيه ..

قال ابن عباس وغير واحد : فلو أنهم عمدوا إلى أي بقرة فذبحوها لحصل المقصود منها ، ولكن شددوا فشدد الله عليهم <sup>١</sup> وهذا بيان لضرب من مساوى بنى إسرائيل في تعنتهم وعدم مسارعتهم لامتثال الأوامر وجفائهم في مخاطبة موسى عليه السلام .. فسألوا عن صفتها ثم عن لونها ، ثم عن سنها ، فأجببوا بما عز وجوده عليهم ..

ويقال أنهم لم يجدوا هذه البقرة بهذه الصفة إلا عند رجل منهم فطلبوها منه فأبى عليهم إلا بوزنها ذهبا ، فاشتروها بوزنها ذهبا ..

---

( ١ ) تفسير القرطبي ، ج ١ ، ص ٢٦٧

وأمرهم نبى الله موسى بذبحها .. ثم أمرهم عن الله أن يضربوا ذلك  
القتيل ببعضها .. فلما ضربوه ببعضها أحياه الله تعالى ققام .. فسألة  
نبى الله موسى .. من قتلك ؟ قال : قتلني ابن أخي .. ثم عاد ميتا كما  
كان .. <sup>١</sup>

## قصة موسى والخضر

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إن موسى قام خطيبا فيبني إسرائيل فسئل : أي الناس أعلم ؟ فقال : أنا .. فعتب الله عليه إذ لم يرد  
العلم إليه فأوحى الله إليه : إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك .."  
ورحل موسى إلى الخضر في طلب ما عنده من العلم اللدني فسلم عليه  
ورد الخضر السلام وسأله من أنت ؟

قال موسى : أنا موسى .. أتيتك لتعلمك ما علمت رشدا ..  
قال الخضر : يا موسى إني على علم من علم الله علمته الله لا تعلم  
أنت ، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمك .. وإنك لن  
 تستطيع معك صبرا ..

قال موسى : ستجدني إن شاء الله صابرا ولا أعصي لك أمرا ..  
قال له الخضر : فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أحدث لك منه  
 ذكر ، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر ، فمررت بهما سفينة فكلمومهم  
 أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر فحملوهم بغير أجر ، فلما ركبوا في  
 السفينة فوجئ موسى بالخضر يخلع لوها من الواح السفينة بالقدوم ..

---

( ١ ) تفسير الطبرى ، ج ١ ، ص ٢٨٥

قال له موسى : قوم حملونا بغير أجر .. عمدت إلى سفينتهم فخرقتها  
لتغرق أهلها .. لقد فعلت شيئاً عجيباً ..

قال الخضر : ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً ..

قال موسى : لا تؤاخذني بما نسيت ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة فنقر في الماء نقرة فقال الخضر لموسى : ما علمي وعلمك وعلم الخلاق من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور بمنقاره من هذا البحر " <sup>١</sup>

ثم خرجا من السفينة ، وبينما هما يمشيان على الساحل أبصر الخضر غلاماً يلعب مع الغلمان فقتله ..

قال له موسى : أقتلت نفساً ذكية بغير نفس لقد فعلت شيئاً فظيعاً جداً

قال الخضر : ألم أقل لك إنك لن تستطيع معي صبراً

قال موسى : إن سألك عن شيء بعدها فلا تصاحبني ، قد بلغت من لدني عذراً ..

ثم دخلتا قرية وقد أصابهما الجوع فطلبا من أهلها طعاماً فلم يطعموهم ووجد جداراً يوشك أن ينهدم فأصلحه وبناه .. دون أجر .. قال موسى لو شئت لأخذت عليه أجرًا ..

قال الخضر : هذا فراق بيني وبينك .. سأبئنك بتأويل ما لم تستطع عليه صبراً ..

(١) صحيح البخاري ، ج ٦ ، ص ١٦٩ - ١٧٠

أما السفينة فهي لمساكين وكان هناك ملك يأخذ كل سفينة صالحة  
غصبا ، وإن رأى فيها عيبا تركها .. لذلك خلعت منها خشبة صغيرة  
حتى لا يأخذها الملك منهم ..

واما الغلام فقتلته لأنه سيصبح شقيا ، وأراد ربك أن يبدل أبويه  
الصالحين خيرا منه ..

واما الجدار فهو لطفلين يتيمين وكان تحته كنز لهما وأراد ربك أن  
يكترا ويستخرجا هذا الكنز بيديهما .. وكل ما فعلته من الأمور الثلاثة  
لم يكن إلا بأمر الله ووحيه ..

وهذا تأويل ما لم تستطع عليه صبرا  
وعندها علم موسى الحكمة من لقائه بالخضر .. وأدرك أن علم الله  
واسع لا يحيط به أحد من خلقه .. ومهما وصل الإنسان إلى درجة  
كبيرة من العلم فإن هناك من هو أعلم منه .. وأن هناك الكثير من  
المعلومات يجهلها ولا يدركها ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ليت أخي موسى صبر على  
الخضر .. فلو صبر لتعلمنا من الخضر الكثير "

الخضر الذي تعلم علما من لدنه .. علمه الله وآتاه رحمة من عنده ..  
يقول الله تعالى في لقاء موسى بالخضر **﴿فوجد عبدا من عبادنا آتيناه  
رحمة من عندنا وعلمناه من لدنا علما﴾**<sup>١</sup>

قال القرطبي في تفسير هذه الآية :

---

( ١ ) سورة الكهف - آية ٦٥

إن العبد هو الخضر عليه السلام وسمى بذلك لأنه كان إذا صلى أخضر ما حوله وروى الترمذى عن أبي هريرة أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنما سمي الخضر لأنه جلس على فروة بيضاء فإذا هي تهتز تحته خضراء " <sup>١</sup>

والخضر نبى عند الجمهور ، وقيل هو عبد صالح ..  
قال ابن عباس : ما بعث الله نبى إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حى ليؤمن به ولينصرنه .. وأمره أن يأخذ على أمته الميثاق ، لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمن به ولينصرنه ..  
فالخضر إن كان نبى أو وليا فقد دخل في هذا الميثاق .. فلو كان حيا في زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم لكان أشرف أحواله أن يكون بين يديه يؤمن بما أنزل الله عليه وينصره ..  
يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنه على رأس مائة سنة لا يبقى من على ظهر الأرض أحد " رواخ البخاري ومسلم  
قالوا : فالخضر إن لم يكن قد أدرك زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم كما هو المظنون الذى يترقى في القوة إلى القطع فلا إشكال وإن كان قد أدرك زمانه ، فهذا الحديث يقتضى أنه لم يعش بعد مائة سنة ، فيكون الآن مفقودا لا موجودا لأنه داخل في هذا العموم ، والأصل عدم المخصص له حتى يثبت بدليل صحيح يجب قبوله <sup>٢</sup>

---

( ١ ) القرطبي في تفسيره الجامع لأحكام القرآن ، ج ١١

( ٢ ) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٤٦١ - ٤٦٤ بتصريف

## من فضائل موسى عليه السلام

قال الله تعالى «وأذكر في الكتاب موسى إنه كان مخلصاً وكان رسولاً نبياً . وناديناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً . ووهبنا له من رحمتنا أخيه هارون نبياً » <sup>١</sup>

وقال تعالى « قال يا موسى إني اصطفتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين » <sup>٢</sup>

وقد رُويَ أَنَّه لَمَّا فَرِضَ عَلَى مُحَمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآمَّتْهُ خَمْسِينَ صَلَّةً فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ مِنْ مُوسَى قَالَ لَهُ : ارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَسَلِّهِ التَّخْفِيفَ لِآمَّتْكَ فَبَأْنَى قَدْ عَالَجَتْ بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَكَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ ، وَإِنَّ آمَّتَكَ أَصْعَفَ أَسْمَاعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْنَدَهُ ، فَلَمْ يَزُلْ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ مُوسَى وَبَيْنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَيَخْفَفُ اللَّهُ عَنْهُ فِي كُلِّ مَرَّةٍ حَتَّى صَارَتْ إِلَى خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ .. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى هِيَ خَمْسٌ وَهِيَ خَمْسُونَ ، أي بالمضاعفة ..

وقد رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ : « عَرَضْتُ عَلَى الْأَمْمَ فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ وَمَعَهُ الرَّهْطُ وَالنَّبِيَّ مَعَهُ الرَّجُلُ وَالرَّجُلُانِ ، وَالنَّبِيُّ وَلَيْسَ مَعَهُ أَحَدٌ ، إِذْ رَفَعَ لِي سَوَادَ عَظِيمٍ فَقَلَّتْ : هَذِهِ آمَّتِي ؟ فَقَبَلَ : هَذَا مُوسَى وَقَوْمُهُ ، وَلَكِنْ انْظُرْ إِلَى الْأَفْقِ ، فَإِذَا سَوَادٌ

(١) سورة مریم - آية ٥١ - ٥٣

(٢) سورة الأعراف - آية ١٤٤

عظيم ، ثم قيل انظر إلى هذا الجانب فإذا سواد عظيم ، فقيل هذه أمتك  
ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ..

ثم نهض رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل ، فخاض القوم في ذلك

قالوا : من هؤلاء الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب ؟

فقال بعضهم : لعلهم الذين صحبوا النبض صلى الله عليه وسلم ، وقال

بعضهم لعلهم الذين ولدوا في الإسلام ولم يشركوا بالله شيئاً فقط ،

وذكروا أشياء ..

فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : " ما هذا الذي كنتم  
تخوضون فيه ؟ فأخبروه بمقالتهم ..

فقال صلى الله عليه وسلم : " هم الذين لا يكتون ولا يستردون ولا

يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون " .. فقام عكاشة بن محسن الأصي

قال : أنا منهم يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : " أنت منهم "

ثم قام آخر فقال : أنا منهم يا رسول الله ؟ فقال صلى الله عليه وسلم :

" سبقك بها عكاشة " <sup>١</sup>

وقد ذكر الله تعالى موسى عليه السلام في القرآن كثيراً وأثنى عليه ثناء  
عظيماً .

---

( ١ ) أخرجه البخاري في كتاب ( الطلب ) ٥٧٠٥ - ومسلم ( إيمان ) ٣٧١ و ٣٧٢  
والترمذني ( قيامه ) - ومسند أحمد ١ / ٢٧١ و ٤٠١ و ٤٤٣ و ٤٥٤

وبالجملة فشرعية موسى عليه السلام كانت شريعة عظيمة وأمته كانت  
أمة كثيرة ، ووجد فيها أنبياء وعلماء وعباد وزهاد وملوك وأمراء  
وسدات وكبار ..

وقد ذكرت قصة موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة في سورة  
الأعراف ثم في سورة طه ثم في سورة الشعرا .. فما فائدة تكرارها  
وتكرار غيرها من القصص ؟

قلنا .. فائدته تأكيد التحدي وإظهار الإعجاز ، كما أن المبارز إذا خرج  
من الصف قال : نَزَّالَ نَزَّالاً ، هل من مبارز ، هل من مبارز مكررا  
ذلك

يقال : ولهذا سمي الله تعالى القرآن مثنى لأنه ثُبِّت في الأخبار  
والقصص ..

الثاني : أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كان بعضهم حاضرين  
وبعضهم غائبين في الغزوات وكانوا يحبون حضور مهبط الوحي ،  
وكانوا إذا رجعوا من غزوهم أكرموا الله تعالى في بعض الأوقات  
بإعادة الوحي تشريفا لهم وتفضيلا ..

فإن قيل .. كيف كرر الله تعالى ذكر قصة موسى عليه السلام أكثر من  
قصص غيره من الأنبياء ..

قلنا .. لأن أحواله كانت أشبه بأحوال النبي صلى الله عليه وسلم من  
أحوال غيره منهم ، في إقامته الحجج وإظهاره المعجزات لأهل مصر

وإصرارهم على تكذيبه والجفاء عليه كما كان حال النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل مكة<sup>١</sup>

## وفاة موسى عليه السلام

توفي موسى بعد أخيه هارون بستين ، وعمره مائة وعشرون سنة ..  
وقد رُوي أن ملك الموت كان يأتي الناس عيانا فاتى موسى عليه السلام  
فلطمته ففلا عينه ، فأتى ربه فقال : يا رب عبدي موسى فقا عيني ولو لا  
كرامته عليك لعنتك عليه ، فرد الله لملك الموت عينه وقال له : اذهب  
إلى عبدي وقل له فليوضع يده على جلد ثور فله بكل شعرة وارت يده  
سنة فأتاه فقال له : فقال موسى : ما بعد هذا .. قال : الموت .. قال  
موسى : فالآن ..

فسمه ملك الموت شمة فقبض روحه ( رواه الإمام أحمد )  
وبعد ذلك أصبح ملك الموت يأتي الناس خفية ..

---

( ١ ) الرازى الحنفى ، غرائب آى التنزيل ، ج ٤ ، ص ٣٤٤

مكتبة دار المعارف

أدوات مدرسية - لعب أطفال

شارع حاتم رشدي ببني سويف

٣٣٩٠١٥ ت :

مكتبة أرزاق

أدوات مدرسية - تصوير وتكعيب

شارع البشري

٠١٠٣٦٠١٤٨٣ ت :

يوجد لدينا مؤلفات

الأستاذ محمد حمدي عبد الحميد

( أبو حاتم )

## الجزء الخامس

عيسى بن مريم عليه السلام

روح الله وكلمته

نكر الله فضل آل عمران .. هذا البيت الطاهر الطيب .. والمراد  
بعمران والد مريم العذراء الطاهرة .. البتول  
وقال القاسم بن عساكر مريم بنت عمران بن ماثان بن العازر بن اليد  
ابن اخنذ بن صادوق بن عيازوز بن الياقيم بن ايبد بن زريابيل بن  
شالتان بن يوحينا بن برشا بن أمون بن ميشا بن حزقيا بن احاز بن  
موثام بن عزريا بن يورام بن يوشافاط بن ايسا بن ابيا بن رحبعام بن  
سليمان بن داود عليه السلام .

ولا خلاف إنها من سلالة داود عليه السلام ، وكان أبوها عمران  
صاحب صلاةبني إسرائيل في زمانه .. أما أمها فهي حنة بنت فاقود  
ابن قبيل من العابدات .. وكان زكريا نبي ذلك الزمان زوج أخت مريم  
(أشياع) في قول الجمهور وقيل زوج خالتها<sup>١</sup>

وقد نذرت أم مريم إن حملت أن تهب ولدها لخدمة بيت المقدس ولما  
وضعتها قالت (رب إبني وضعتها أنشى والله أعلم بما وضعت) وليس  
الذكر كالأنثى في خدمة بيت المقدس .. وإنني سميتها مريم .. (وابني  
أعيذها بك من الشيطان الرجيم) ..

وقد استجاب الله لها .. كما تقبل نذرها ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم (ما من مولود إلا والشيطان  
يمسه حين يولد فيستهل صارخاً من مس الشيطان إلا مريم وابنها)  
وقد عصم الله مريم وابنها عيسى من الشيطان بفضل دعاء أم مريم ..

---

(١) تفسير الطبرى ، ج ٣ ، ص ١٥٧

ذكر كثير من المفسرين أن أم مريم حين وضعتها خرجت بها إلى المسجد فسلمتها إلى العباد المقيمين به .. فتنازعوا أيهم يكفلها .. واقتربوا فيما بينهم فخرجت قرعة زكريا غالبة عليهم .. وكفلها زكريا .. فاتخذ لها مكاناً شريفاً في المسجد لا يدخله سواها ، فكانت تعبد الله فيه ليل نهار .. وتقوم بما يجب عليها من سدنة البيت في نوبتها ..

وكان نبي الله زكريا كلما دخل عليها موضع عبادتها يجد عندها رزقاً غريباً في غير أوانه .. فكان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهه الشتاء في الصيف فيسألها ( أنى لك هذا ؟ ) فتقول : رزق رزقني الله ( إن الله يرزق من يشاء بغير حساب )

---

وقد ظهرها الله واصطفاها على نساء عالمي زمانها .. يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران وأسيمة امرأة فرعون و Dixie بنت خوبلد وفاطمة بنت محمد رسول الله " <sup>١</sup>

وقال صلى الله عليه وسلم : " أفضل نساء أهل الجنة Dixie بنت خوبلد وفاطمة بنت محمد ومريم بنت عمران وأسيمة بنت مزاحم امرأة فرعون " <sup>٢</sup>

( ١ ) السيوطي في الجامع الصغير - حديث رقم ٤٠٨٨

( ٢ ) السيوطي في الجامع الصغير - حديث رقم ١٣١٧

## ميلاد عيسى عليه السلام

ذكرنا أن زكريا عليه السلام كفل مريم واتخذ لها محاربا لا يدخله أحد عليها سواه .. وأنها لما بلغت اجتهدت في العبادة وظهر عليها من الأحوال ما غبطها به زكريا عليه السلام .. وقد بشرتها الملائكة باصطفاء الله لها وبأنه سيهب لها ولدا زكريا يكوننبيا طاهرا مكرما مؤيدا بالمعجزات .. فتعجبت من وجود ولد لها من غير والد لأنها لا زوج لها ولا هي من تنزوج ، فأخبرتها الملائكة بأن الله قادر على ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون .. فاستكانت لذلك وأنابت وسلمت لأمر الله ..

وذات يوم خرجت لبعض شئونها وانفردت بنفسها شرق المسجد إذ بعث الله إليها الروح الأمين جبريل عليه السلام فتمثل لها في صورة إنسان ، فلما رأته استعادت بالله ..

فخاطبها جبريل عليه السلام قائلة إنه ملك بعثه الله إليها ليهب لها غلاما زكريا ..

قالت : كيف يكون لي غلام ولست ذات زوج وما أنا ممن يفعل الفاحشة .. فأجابها الملك بأن الله يصنع ما أراد ويخلق ما يشاء من بشر أو غير بشر ( إذا قضى أمرا فإنه يقول له كن فيكون )

و جاء موعد الوضع .. ووضعت مريم طفلها .. ماذا قالت ؟؟ ( قالت يا ليتني مت قبل هذا و كنت نسيانا منسيا ) .. لماذا ؟؟ لأنها خافت أن يتهمها قومها بفعل الفاحشة .. وأنهم لن يصدقواها حين تأتיהם بغلام

على يدها مع أنها كانت من العابدات الناسكات المعتنفات في المسجد  
ومن بيت النبوة .. فحملت بسبب ذلك من الهم ما تمنى أن لو كانت  
ماتت قبل هذا الحال أو لم تخلق بالكلية ..

وهنا تحدث المعجزة .. يخاطبها طفلها الذي وضعته منذ قليل .. فيطلب  
منها ألا تحزن ويشير إليها بأن الله قد جعل تحتها نهرا ، وأن تهتز جذع  
النخلة فيتساقط عليها رطبا جنبا ، وقال ( فكلي واشربي وقرني عينا )  
ولما رأها قومها تحمل ولدها قالوا لها : يا مريم لقد فعلت أمرا منكرا  
فأشارت إليه .. أي خاطبوه وكلموه .. فقالوا لها : كيف تحيليننا في  
الجواب على رضيع في مهده لا يعقل الخطاب .. أتهزئين منا  
وتسخفين بعقولنا .. وهذا تكرر المعجزة فينطق عيسى في مهده ..  
( قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلنينبيا وجعلني مباركا أين ما  
كنت وأوصاني بالصلة والزكاة ما دمت حيا . وبرا بوالدي ولم  
 يجعلني جبارا شقيا . والسلام على يوم ولدت ويوم الموت ويوم أبعث  
 حيا .. )

وهكذا اعترف عيسى عليه السلام لربه تعالى بالعبودية وبأنه عبده  
ورسوله وابن أمته وأنه برا بوالدته التي برأها الله وأخبر عنها أنها  
صيّدة واتخذ ولدهانبيا مرسلا واحد أولي العزم الخمسة .. ولهذا قال  
 يجعلني مباركا أين ما كنت  
 وقد خصه الله تعالى بالكلام في مهده آية لنبوته وتعريفا للعباد بمواقع  
 قدرته ..

## نشأة عيسى عليه السلام

ولد عيسى بن مريم ببيت لحم قريبا من بيت المقدس ..

روى عن أبي هريرة أنه قال : أن عيسى بن مريم أول ما أطلق الله لسانه بعد الكلام الذي تكلم به وهو طفل فمجد الله تمجيدا لم تسمع الأذان بمثله ، لم يدع شمسا ولا قمرا ولا جبلا ولا نهرا ولا عينا إلا ذكره في تمجيده فقال :

اللهم أنت القريب في علوك ، المتعال في دنوك ، الرفيع على كل شيء من خلقك ، أنت الذي خلقت سبعا في الهواء بكلماتك مستويات طياباً أجبنَ وَهُنَّ دخان من فرقك فأتين طائعات لأمرك ، فيهن ملائكتك يسبحون قدسك لتقديسك وجعلت فيهن نورا على سواد الظلام وضياء من ضوء الشمس بالنهار ، وجعلت فيهن الرعد المسبح بالحمد ، فبغزتك يجلو ضوء ظلمتك ، وجعلت فيهن مصابيح يُهتدى بهن في الظلام الحيران ، فتباركت اللهم في مفطور سماواتك وفيما دحوت من أرضك دحوتها على الماء فسمكتها على تيار الموج الغامر ، فأذلتها إذلال النظاهر فذل لطاعتك صعبها واستحيا لأمرك أمرها ، وخضعت لعزيزتك أمواجهها ، ففجرت فيها بعد البحور الأنهر ومن بعد الأنهر الجداول الصغار ، ومن بعد الجداول ينابيع العيون الغزار ، ثم أخرجت منها الأشجار والثمار ، ثم جعلت على ظهرها الجبال فوتتها أوتادا على ظهر الماء ، فأطاعت أطواها وجلمودها ..

فتبارك اللهم ! فمن يبلغ بنعمة نعمتك ، أم من يبلغ بصفة صفاتك ؟  
تنشر السحاب وتفاك الرقاب وتقضى بالحق وأنت خير الفاصلين ، لا  
إله إلا أنت سبحانك .. أمرت أن تستغفرك من كل ذنب ، لا إله إلا أنت  
سبحانك ، سترت السموات عن الناس ، لا إله إلا أنت سبحانك ، إنما  
يخشاك من عبادك الأكياس ، تشهد بأنك لست بإله استحدثك ، ولا  
رب يبيد ذكره ، ولا كان معك شركاء فندعوهم ونذرك ، ولا أعانك  
على خلقنا أحد فشك فيك ، نشهد أنك أحد صمد لم تلد ولم تولد ولم  
يكن لك كفوا أحد .

وكان عبد الله بن عمر يقول :

كان عيسى بن مريم وهو غلام يلعب مع الصبيان فكان يقول لأحدهم :  
تريد أن أخبرك ما خبات لك أمه ؟ فيقول نعم .. فيقول : خبات لك كذا  
وكذا .. فيذهب الغلام منهم إلى أمه فيقول لها أطعميني ما خبات لي ،  
فتقول له : من أخبرك ؟ فيقول : عيسى بن مريم ..

قالوا : والله لن تركتم هؤلاء الصبيان مع ابن مريم ليفسدنهم فجمعوهم  
في بيت وأغلقوا عليهم ، فخرج عيسى يلتمسهم فلم يجدتهم ، فسمع  
ضوضاءهم في بيت فسأل عنهم فقالوا : إنما هؤلاء قردة وخنازير ..  
قال : اللهم كذلك .. فكانوا كذلك ..

وروى عن ابن عباس أنه قال : وكان عيسى يرى العجائب في صباه  
إلهاما من الله ففشا ذلك في اليهود ..

وترعرع عيسى .. فهمت به إسرائيل .. فخافت أمه عليه ، فأوحى الله  
إليها أن تطلق به إلى أرض مصر ..

فاحتملته وذهبت به إلى مصر ، وأقامت بها حتى بلغ عمره الثنتي  
عشرة سنة ، وظهرت عليه كرامات ومعجزات في حال صغره فذكر  
منها أن الدهقان الذي نزلوا عنده افتقد مالا من داره وكانت داره لا  
يسكنها إلا القراء والضعفاء والمحاويج فلم يدر من أخذها .. وعز ذلك  
على مريم وشق على الناس وعلى رب المنزل وأعيادهم الأمر  
فلما رأى عيسى عليه السلام ذلك عمد إلى رجل أعمى وآخر مقعد من  
جملة من هو منقطع إليه ..

قال للأعمى : احمل هذا المقعد وانهض به فقال : إني لا أستطيع ذلك  
قال : بلـي .. كما فعلت أنت وهو حين أخذتمـا هذا المال من تلك الكوة  
من الدار .. فلما قال ذلك صدقة فيما قال وأتيـا بالمال .. فعظم عيسى  
في أعين الناس وهو صغير جدا ..

ومن ذلك أن ابن الدهقان عمل ضيافة للناس بسبب ظهور أولاده ، فلما  
اجتمع الناس وأطعمهم ثم أراد أن يسقيهم شرابا - يعني خمرا - كما  
كانوا يصنعون في ذلك الزمان لم يجد في جراره شيئاً فشق ذلك عليه  
فلما رأى عيسى ذلك منه قام فجعل يمر على تلك الجرار ، ويمرر يده  
على أفواهها فلا يفعل بحـرة منها ذلك إلا امتلتـشـرابـا من خـيارـ

الشراب .. فتعجب الناس من ذلك وعظموه وعرضوا عليه وعلى أمه  
مala جزيلا فلم يقبله وارتاحلا قاصدين بيت المقدس <sup>١</sup>

### نزول الوحي على عيسى عليه السلام

أوحى الله عز وجل إلى عيسى بن مريم : يا عيسى جد في أمرِي ولا  
تهن ، واسمع وأطع يا ابن الطاهرة البكر البتول ، إني خلقتك من غير  
فحل آية للعالمين .. إياي فاعبد ، وعلى فتوكل ، خذ الكتاب بقوة ، بلغ  
من بين يديك أنني أنا الحق الحي القائم الذي لا أزول ..

وقد رُوي عن ابن عباس وسلمان الفارسي أنه لما بُعث عيسى بن مريم  
وجاءهم بالبينات جعل المنافقون والكافرون من بنى إسرائيل يعجبون  
منه ويستهزئون به فيقولون : ما أكل فلان البارحة وما ادخل في منزله  
فيخبرهم فيزداد المؤمنون إيماناً والكافرون والمنافقون شكا وكفراناً ..  
ولم يكن لعيسى منزل يأوى إليه إنما كان يسبح في الأرض ليس له  
قرار ولا موضع يعرف به ، وقيل إنه سُمي المسيح لمسحه الأرض  
وسياحته فيها وفراره بيده من الفتنة في ذلك الزمان

- - -

مرّ عيسى عليه السلام ذات يوم على المقابر فوجد امرأة تبكي عند قبر  
فقالها عن حالها قالت : ماتت ابنة لي لم يكن لي ولد غيرها ، وإنني  
عاهدت ربِّي أن لا أُبرح عن موضعِي هذا حتى أذوق ما ذاقت من

---

( ١ ) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٥٨٥ - ٥٨٨

الموت او يحييها الله لي فانتظر إليها .. فقال لها عيسى : ارأيت إن  
نظرت إليها أراجعة أنت ؟ قالت : نعم  
قالوا : فصلى عيسى ركتعين ثم جاء فجلس عند القبر فنادى : يا فلانة  
قومي بإذن الله الرحمن فاخرجي  
قال : فتحرك القبر ، ثم نادى الثانية فتصدعاً القبر بإذن الله ثم نادى  
الثالثة فخرجت وهي تنفس رأسها من التراب ، فقال لها عيسى عليه  
السلام : ما أبطأك عنِّي ؟ قالت : لما جاءتني الصيحة الأولى بعث الله  
لي ملكاً فركب خلقي ثم جانستي الصيحة الثانية فرجع إلى روفي ، ثم  
جانستي الصيحة الثالثة فخفت أنها صيحة القيامة فشَاب رأسي وحاجبائي  
وأشفار عيني من مخافة القيامة ، ثم أقبلت على أمها قالت : يا أماه ..  
ما حملك على أن أذوق كرب الموت مرتين ؟ يا أماه .. اصبري  
واحتسبي فلا حاجة لي في الدنيا .. ثم خاطبت عيسى عليه السلام :  
يا روح الله وكلمته .. سل ربي أن يردني إلى الآخرة وأن يهون علي  
كرب الموت .. فدعا ربها فقبضها إليه واستوت عليها الأرض ..

---

ولما أقام عيسى عليه السلام الحجج والبراهين على صدق دعوته  
استمر أكثر قومه على كفرهم وضلالهم وعنادهم وطغيانهم ، وأمنت به  
طائفة صالحة فكانوا له أنصاراً وأعوااناً قاموا بمتابعته ونصرته وهم  
الحواريون

وعيسى عليه السلام هو خاتم الأنبياء بنى إسرائيل ، وقد قام فيهم خطيباً فأخبرهم أن النبوة قد انقطعت عنهم وأنها بعده في النبي العربي الأمي خاتم الأنبياء على الإطلاق أحمد ، وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم الذي هو من سلالة إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه السلام ..

وقد سُئل النبي محمد صلى الله عليه وسلم من أصحابه :  
يا رسول الله ، أخبرنا عن نفسك ..

قال صلى الله عليه وسلم : " أنا دعوة أبي إبراهيم ، وبشرى عيسى ، ورأت أمي حين حملت بي كأنه خرج منها نور أضاءت له قصور  
بصري من أرض الشام "

وقد رُوي أن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " أنا أولى الناس بابن مريم والأنبياء أولاد علات ( ضرائر )  
ليس بيدي وبينينبي <sup>١</sup>

وقال صلى الله عليه وسلم : " من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك  
له وأن محمداً عبده ورسوله وأن عيسى عبد الله ورسوله ، وكلمة التي  
لقاها إلى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على  
ما كان من العمل " <sup>٢</sup>

( ١ ) البخاري ، ج ٢ ، ص ٢٧٦ ، كتاب البر

( ٢ ) البخاري ، ج ٥ ، ص ١٥٥ ومسلم ، ج ٢ ، ص ٣٠١ ، كتاب القدر

## ذكر خبر المائدة

أمر عيسى عليه السلام الحواريين بصيام ثلاثة أيام ..  
فلما أتموها سألاها عيسى إنزال مائدة من السماء عليهم ليأكلوا منها  
وتطمئن بذلك قلوبهم أن الله قد تقبل صيامهم وأجبهم إلى طلبهم وتكون  
لهم عيدا يفطرون عليها يوم فطرهم وتكون كافية لأولهم وأخرهم  
لغنيهم وفقيرهم .. فوعظهم عيسى في ذلك وحاف عليهم أن لا يقوموا  
بشكرا ، ولا يؤدوا حق شروطها فأبوا عليه إلا أن يسأل ذلك من ربه  
عز وجل .

فلما لم يقلعوا عن ذلك قام إلى مصلاه وتضرع إلى الله في الدعاء  
والسؤال أن يجابوا إلى طلبهم ..  
فأنزل الله تعالى المائدة من السماء والناس ينظرون إليها حتى استقرت  
بين يدي عيسى عليه السلام وهي مغطاة بمنديل فقام عيسى يكشف  
عنها وهو يقول : باسم الله خير الرازقين .. ثم أمرهم بالأكل منها فقالوا  
لا نأكل حتى تأكل .. فقال : إنكم الذين ابتدأتم السؤال لها ، فأبوا أن  
يأكلوا منها ابتداء ، فأمر الفقراء والمرضى فأكلوا منها فبرا الله كل من  
به عاهة أو مرض مزمن ، فندم الناس على ترك الأكل منها لمارأوا  
من إصلاح حال أولئك ثم قيل إنها كانت تنزل كل يوم مرة فيأكل الناس  
منها ..

ثم كانت تنزل يوماً بعد يوم .. ثم أمر الله عيسى أن يقصرها على القراء دون الأنبياء فشق ذلك على كثير من الناس .. وتكلم مناقوهم في ذلك فرفعت بالكلية ومسخ الذين تكلموا في ذلك إلى خنازير وقد رُوي عن عمار بن ياسر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "نزلت المائدة من السماء خبز ولحم وأمروا أن لا يخونوا ولا يدخلوا ولا يدفعوا للعد ، فخانوا وادخلوا ورفعوا ، فمسخوا قردة وخنازير " <sup>١</sup>

### من أقوال السيد المسيح

- اللهم اني أصبحت لا استطيع دفع ما أكره ولا املك نفع ما أرجو ، وأصبح الأمر بيد غيري ، وأصبحت مرتهنا بعملي ، فلا فقير أفقر مني اللهم لا تشمئ بي عدوي ولا تؤبى صديقي ، ولا تجعل مصيبي في ديني ولا تسلط على من لا يرحمني ..  
- اعبروا الدنيا ولا تعمروها ..

- حب الدنيا رأس كل خطيئة ، والنظر يزرع في القلب الشهوة

- يا ابن آدم الضعيف .. اتق الله حيث ما كنت ، وكن في الدنيا ضيفا ، واتخذ من المساجد بيتك ، وعلم عينيك البكاء ، وجسدك الصبر وقلبك التفكير ، ولا تهتم برزق غد فإنها خطيئة ..

- كما أنه لا يستطيع أحدكم أن يتخذ على موج البحر داراً فلا يتخذ الدنيا قرارا ..

---

( ١ ) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٦٠١ - ٦٠٣

- لا يستقيم حب الدنيا وحب الآخرة في قلب مؤمن ، كما لا يستقيم الماء والنار في إثناء ..
- طوبى لمن قرأ كتاب الله واتبعه ..
- طوبى لمن بكى من ذكر خطيئة وحفظ لسانه ووسعه بيته ..
- طوبى لعين نامت ولم تحدث نفسها بالمعصية .. وانتبهت إلى غير إثم
- لا تكثروا الحديث بغير ذكر الله فتفسوا قلوبكم ، فإن القلب القاس بعيد من الله ولكن لا تعلمون ، ولا تنظروا في ذنوب العباد كأنكم أرباب وانظروا فيها كأنكم عبيد ، فإنما الناس رجال معافى ومبتلى فارحموا أهل البلاء واحمدو الله على العافية ..
- تعجبت من ثلاثة أساس : طالب الدنيا والموت يطلبها .. وباني القصور والقبور منزله .. ومن يضحك ملء فيه والنار أمامه !!
- يا ابن آدم لا بالكثير تشبع ولا بالقليل تقنع .. تجمع مالك لمن لا يحمدك ..
- من تعلم وعلم دعى عظيمًا في ملوك السماء
- يا معاشر الحواريين .. لا تحدثوا بالحكم غير أهلها فتظلموها ولا تمنعوا أهلها فتظلموهم ، والأمور ثلاثة : أمر تبين رشده فاتبعوه وأمر تبين غيه فاجتبوه ، وأمر اختلف عليكم فيه فردو علمه إلى الله تعالى
- وقال أبو عمر الضرير : بلغني أن عيسى كان إذا ذكر الموت يقتصر جلده دما ..

## رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

يقول الله تعالى «ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين . إذ قال الله يا عيسى إني متوفيك ورافعك إلى مطهرك من الذين كفروا وجعل الدين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيمة ثم إلى مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون »<sup>١</sup>

فأخبر الله تعالى أنه رفعه إلى السماء وخلصه ومن كان أراد أدبيته من اليهود الذين وشوا به إلى أحد الملوك الكفرة في ذلك الزمان

قال الحسن البصري ومحمد بن اسحاق .. كان اسمه داود بن نورا فامر بقتله وصلبه ، فحصروه في دار بيت المقدس وذلك عشية الجمعة ليلة السبت ، فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من ذلك البيت إلى السماء وأهل البيت ينظرون ودخل الشرط فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقى عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ، ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له ، وسلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب وضلوا بسبب ذلك ضلالاً مبيناً كثيراً فاحشاً بعيداً .. وبقيت مريم بعد عيسى خمس سنين وماتت ولها ثلاثة وخمسون سنة .. وروى عن سعيد بن المسيب أنه قال .. رفع عيسى وهو ابن ثلاثة وثلاثين سنة <sup>٢</sup>

(١) سورة آل عمران - آية ٥٤ ، ٥٥

(٢) ابن كثير ، قصص الأنبياء ، ص ٦١٢ - ٦١٧ بتصرف

مكتبة مصر

كتب دينية ومدرسية وقصص أطفال وأدوات مدرسية

شارع ٢٣ يوليو أمام بنك مصر

٣٢٣٠٧٤ ت :

يوجد لدينا مؤلفات الأستاذ حمدي عبد الحميد

( أبو حاتم )

## الجزء السادس

محمد بن عبد الله بن عبد المطلب

وَسَلَّمَ  
عَلَيْهِ  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : " مثلي ومثل الأنبياء من قبلـي كـمـلـ رـجـلـ اـبـنـيـ بـيـتـاـ فـأـحـسـنـهاـ - وـأـجـمـلـهاـ وـأـكـمـلـهاـ - إـلاـ مـوـضـعـ لـبـنـةـ مـنـ زـاوـيـةـ مـنـ زـوـاـيـاـهـاـ فـجـعـلـ النـاسـ يـطـوـفـونـ وـيـعـجـبـهـمـ الـبـنـيـانـ فـيـقـولـونـ أـلـاـ وـضـعـتـ هـاـ هـنـاـ لـبـنـةـ فـيـتـمـ بـنـيـانـكـ ،ـ فـكـنـتـ أـنـاـ الـلـبـنـةـ " رـوـاهـ الـبـخـارـيـ ( ٢٥٣٥ ) وـمـسـلـمـ (ـ الـفـضـائـلـ )

---

ويقول صلى الله عليه وسلم : " أنا أول الناس خروجا إذا بُعثروا ، وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشر لهم إذا ينسوا ، لواء الحمد بيدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربى ولا فخر " رواه الترمذى ( ٣٦١٠ )

---

ويقول صلى الله عليه وسلم : " بينما أنا بين النائم واليقظان إذ رأيت جبريل وميكائيل في المنام ، فقال جبريل لميكائيل زنه يا ميكائيل .. يقول الرسول : والذي بعثني بالحق نبيا ، وزنبي ميكائيل بعشرة رجال فرجمت بهم ، قال جبريل : زنه بمائة رجل فوزبني بمائة رجل فرجمت بهم .. قال جبريل : زنه بألف رجل فوزبني بألف رجل فرجمت بهم .. قال ميكائيل : لو وزناه بأهل الأرض جميعا لرجح بهم إنه محمد "

---

حياة الرسول صلى الله عليه وسلم حديقة عطرة في حياء ممتلئة بالزهور والرياحين يفوح منها شذى النبل والطهارة والوفاء والصدق والتواضع

والغفو عند المقدرة .. وغير ذلك من صفات الكمال الإنساني .. إنها  
أخلاق النبي وسجاياه ترتفع به إلى عنان السماء .. فلا يدرك أحد أيها  
أعلى مكانا .. تتلقفها القلوب فلا تدرى ليها أعظم أثرا ..

في هذا الجزء من كتابنا أولو العزم من الرسل نتناول بعض إنسانيات  
الرسول الكريم وبعض مواقفه الإيمانية الخالدة ..  
فمن أين نبدأ ونحن في رحاب الرسول الأعظم ..

إننا عندما نستضيف السيرة العطرة نحار كثيرا .. كيف نبدأ .. ما  
أصعب البداية .. إنها مائدة حافلة وعامرة بزاد العقول والوجدان ..  
ما أصعب البداية .. كيف لي في ضعفي الإنساني وقلة حيلتي أن  
أتحدث عن النبي الأكرم .. البحر الأعظم والنهر المتذوق ..

كيف لأي إنسان أن يقترب من كماله الإنساني .. ماذا يخط القلم ..  
وكيف يستطيع البيان أن يعبر عن حب كبير يعيش في أعماق الوجдан  
وعن محبوب يجري حبه في عروقى مجرى الدم والماء ..

قطرة الماء لا تعبر عن عظمة النهر .. وذرة الرمل لا تعطي انطباعا  
عن شموخ الجبل .. والنفس الشاردة الحائرة في صحراء الحياة تتكسر  
ريشتها فتعجز عن رسم ملامح العظمة والسمو في بعض صفات القائد  
الذي صنع أمة ..

وهذه السطور ما هي إلا ومضات سريعة لا ترسم الصورة الكاملة  
لحياة الرسول صلى الله عليه وسلم ولكنها لمحه وفاء وحب نحو النبي  
الصادق الأمين الطاهر النقى النقى ..

مضت منات السنين والأحداث التي قادها الرسول والآثار التي تركها  
لا تزال قائمة .. فالآمة التي صنعوا ، والصحابة التابعون وتابعوهم  
إلى يوم الدين مازالوا يحملون أمانة تبليغ الرسالة بتوسيع الله ورعايته .  
وصدق رسول الله إذ يقول : " أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديت "

### حديث الشفاعة

جاء في الصحيحين ( البخاري ومسلم )

يقول صلى الله عليه وسلم : " إذا كان يوم القيمة ماج الناس في بعض  
فيأتون آدم فيقولون اشفع لنا إلى ربك ، فيقول : لست لها ، ولكن عليكم  
بابراهيم فإنه خليل الرحمن ، فيأتون إبراهيم فيقول : لست لها ، ولكن  
عليكم بموسى فإنه كليم الله فيأتون موسى فيقول : لست لها ولكن  
عليكم بيعيسى فإنه روح الله وكلمته ، فيأتون عيسى فيقول : لست لها ،  
ولكن عليكم بمحمد فيأtonي فأقول : أنا لها ، فأستاذن على ربي فيؤذن  
لي ويؤذنني الله محامد أحمده بها ، فاحمدته بتلك المحامد وأخر له  
ساجدا فيقول : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك ، وسلن تعط واسفع  
تشفع فأقول : يا رب أمتي أمتي فيقول : انطلق فاخرج من النار من  
كان في قلبه متقال شعيرة من إيمان ، فانطلق فأفعل ، ثم أعود فاحمد  
بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقول : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع  
لك وسل تعط واسفع تشفع فأقول : يا رب أمتي أمتي فيقول : انطلق  
فاخرج منها من كان في قلبه متقال ذرة أو خردلة من إيمان ، فانطلق  
فأفعل ، ثم أعود فاحمد بتلك المحامد ثم أخر له ساجدا فيقول : يا محمد

ارفع رأسك وقل يسمع لك وسل ثعط واسفع شفيع فأقول : يا رب أمتى  
أمتى فيقول : انطلق فاخرج منها من كان في قلبه أدنى متقى حبة  
خردل من إيمان فاخرجه منها فانطلق فأفعل ، ثم أعود الرابعة فأحمده  
بتلك المحامد ثم آخر له ساجدا فيقول : يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع  
لك وسل ثعط واسفع شفيع فأقول : يا رب ائذن لي فيمن قال : لا إله إلا  
الله ، فيقول : وعزتي وجلالي وكبرياتي وعظمتي لأخرجن منها من  
قال لا إله إلا الله "

---

والآن تعالوا نستضيف السيرة الطيبة العطرة ..

### مولد الرسول صلى الله عليه وسلم

تسامعت ببيوت مكة النبا السعيد .. مولد الرسول الكريم .. فتوافت  
عقائل قريش لتهنئة آمنة ويصغين إلى ما سمعت من بشرى ..  
وكان مولده صلى الله عليه وسلم الاثنين في شهر ربيع الأول عام الفيل  
وكان هذا التاريخ يوافق في التاريخ الميلادي أبريل سنة ٥٧١ م ..  
وكثير الحديث عما ملا الجزيرة من أقوال عننبي منظر تقارب زمانه  
يتحدث الأحبار من يهود والرهبان من النصارى والكهان من العرب ..  
ومضت مدة قصيرة بعد يوم الفيل حتى ذاعت بشري المولد النبوى  
ولد الهدى فالكائنات ضياء  
وفم الزمان تبسم وثناء  
للدين والدنيا به بشراء  
الروح والملاك الملائكة حوله  
والمنتهى والسدرة العصماء  
والعرش يزهو والحظيرة تزدهي  
شعر احمد شوقي

وقد روی الترمذی أن رسول الله صلی الله علیه وسلم قال :  
”إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل ، واصطفى من ولد  
إسماعيل بنی کنانة ، واصطفى من بنی کنانة قریشا ، واصطفى من  
قریشا بنی هاشم ، واصطفاني من بنی هاشم ، فهو صلی الله علیه  
وسلم من أشرف قریش ، ومن نخبة بنی هاشم ، ومن خيرة العرب من  
قیل أبيه وأمه ..

وعن ابن عباس أن المولد كان يوم الفیل .. واکتفی آخرون بأن ذکروا  
أنه كان في عام الفیل ..

وكانت سعادة الہاشمی بهذا المولود فوق الوصف حتى أن عبد  
العزی بن عبد المطلب (أبو لهب ) عم النبي قد اعتق جاریته (ثوبیة  
الاسلمیة ) حين وافته ببشری المولد النبوی الشریف .

ویروی أن ابن العباس بن عبد المطلب رأى أخاه عبد العزی (أبو  
لهب ) في المنام بعد موته بسنة فسأله عن حاله فأحاب أبو لهب إنه في  
النار ، إلا أنه يخف عن العذاب كل ليلة اثنين بماء يمسنه من بين  
إصبعيه وذلك لأنه اعتق ثوبیة حين بشرته بمولد محمد صلی الله علیه  
وسلم ..

وقد روی أن عبد المطلب رأى في منامه كان سلسلة من فضة خرجت  
من ظهره لها طرف في السماء وطرف في الأرض ، وطرف في  
المشرق وطرف في المغرب .. ثم عادت كأنها شجرة على كل ورقة  
منها نور ، وإذا أهل المشرق والمغرب يتلقون بها .. وأراد عبد

المطلب أن يعرف تفسير الرؤيا فقيل له إنه سيكون له مولود من صلبه  
يتبعه أهل المشرق والمغرب ويحمده أهل السماء والأرض ..

وسالت قريش شيخها عبد المطلب عن سبب تسميته لحفيده محمدا  
فأجاب الشيخ أردت أن يكون محمودا في الأرض وفي السماء ..

**إرضاع الحبيب ومراضعه صلى الله عليه وسلم والخير الذي  
أصاب حليمة**

إن أول من تشرفت برضاعته صلى الله عليه وسلم هي والدته آمنة بنت  
وهب ثم أرضاعته ثوبية مولاة أبي لهب التي أرضاعت عمه حمزة فكان  
أخًا للنبي صلى الله عليه وسلم من الرضاعة .. ثم أرضاعته حليمة بنت  
ذئيب السعدية من بنى سعد بن بكر .. وقد رأت في إرضاعه صلى الله  
عليه وسلم آيات ..

فلنذكرها تحدثنا بنفسها عما شاهدت من آيات نبوية صلى الله عليه وسلم  
قالت : خرجت من بلدي مع زوجي وأبن صغير لنا نرضعه في نسوة  
من بنى سعد نلتمس الرضعاء ، وذلك في سنة شهباء لم تبق لنا شيئا ..  
خرجنا على آتان ( حمار ) لنا قمراء ، ومعنا شارف لنا والله ما تبطن  
بقطرة .. وما ننام ليلنا أجمع من بكاء صبينا الذي معنا من الجوع إذ ما  
في ثديي ما يغنيه وما في شارفنا ما يغذيه ، ولكننا كنا نرجو الغيث  
والفرج .. خرجنا نلتمس الرضعاء في مكة ..

فما منا امرأة إلا وقد عرض عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فتباهاه إذا قيل لها إنه يتيم ، وذلك أنا كنا نرجو المعروف من أبي  
الصبي ..

فما بقيت امرأة قدمت معي إلا أخذت رضيعا .. فلما أجمعنا على العودة  
إلى بلدنا قلت لزوجي : والله إبني لأكره أن أرجع ولم أخذ رضيعا ..  
والله لأذهبن إلى ذلك اليتيم فأخذه ، فقال لي : لا عليك أن تشغلني ،  
عسى الله أن يجعل لنا فيه بركة .. فذهبت فأخذته .. وما حملني على  
ذلك إلا أنني لم أجد غيره ، فلما رجعت به إلى رحلي ووضعته في  
حجرى أقبل عليه ثدياي بما شاء من لبن فشرب حتى روى وشرب  
معه أخوه حتى روى ثم نام .. وقام زوجي إلى شارفنا تلك فإذا هي  
حافل فحلب منها ما شرب وشربت معه حتى انتهينا رياً وشبعا فبتنا  
بخير ليلة .. فلما أصبحنا قال لي زوجي : تعلمين يا حلية ، لقد أخذت  
نسمة مباركة .. قلت والله إبني لأرجو ذلك .. ثم خرجننا وركبت أتاني  
وحملته عليها معي .. فوالله لقطعت بالركب ما يقدر عليها شئ من  
حرهم حتى أن صواحتي قلن لي : يا ابنة أبي ذؤيب ، ويحك أربعين  
 علينا ، أليست هذه أتانك التي كنت خرجت عليها ؟ فقلت لهن : بلـى  
والله ! إنها الـهي هي .. فقلن والله إن لها لـشـانا .. ثم قـدمـنا منازـلـنا من  
بلادـ بـنـيـ سـعـدـ وـمـاـ أـعـلـمـ أـرـضاـ مـنـ أـرـضـ اللهـ أـجـدـبـ مـنـهاـ ،ـ فـكـانـتـ غـنـمـيـ  
تـرـوحـ عـلـىـ شـبـاعـاـ لـبـنـاـ فـنـحـلـبـ وـنـشـرـبـ ،ـ وـمـاـ يـحـلـبـ إـنـسـانـ قـطـرـةـ لـبـنـ وـلـاـ  
يـجـدـهـ فـيـ ضـرـعـ حـتـىـ كـانـ الـحـاضـرـونـ مـنـ قـومـنـاـ يـقـولـونـ لـرـعـيـانـهـ :

ويلكم اسرحوا حيث يسرح راعي حليمة ، فتروح أغناهم جياعا ما  
تبص بقطرة لبن ، وتروح غنمى شباعا لبنا ، فلم نزل نتعرف من الله  
الزيادة والخير حتى مضت سنتاه ، وكان يشب شبابا لا يشبه الغلمن  
فلم يبلغ سننته حتى كان غلاما خفرا ( غليطا شديدا ) فقدمنا به على  
أمه ، ونحن أحرص شئ على مكثه فيما لمانى من بركته .. فكلمنا  
أمه .. وقتلت لها : لور تركت بنى عندي حتى يغاظ ، فإني أخشى عليه  
وباء مكة ، فلم نزل بها حتى ردته معنا فرجعنا به ..

وبعد مقدمنا بأشهر وإنه لفي بعهم لنا مع أخيه خلف بيوتنا أتانا أخوه  
يشتد فقال لي ولأبيه ذاك أخي القرشي قد أخذه رجلان عليهما ثياب  
بيض فأضجعاه فشقا بطنه ..

قالت : فخرجت أنا وزوجي نحوه فوجدناه قائما منتقبا ( متغيرا )  
 وجهه ، فالترمناه وقلنا له : مالك يا بنى  
 قال : جاء لي رجلان عليهما ثياب بيض فأضجعاني وشقا بطني  
 فالتمسا فيه شيئا لا أدرى ما هو .. فرجعنا به إلى دارنا .. وقال لي  
 زوجي :

يا حليمة لقد خشيت أن يكون هذا الغلام قد أصيب فالحقيقة باهله قبل أن  
يظهر ذلك له فاحتمناه فقدمنا به على أمه فقالت : ما أقدمك به وقد  
 كنت حريصة عليه وعلى مكثه عندك قلت لها : قد بلغ النذ بابني ،  
 وقضيت الذي على وتخوفت الأحداث عليه فأدته إليك كما تحبين ،

قالت : ما هذا شأنك .. فأصدقيني خبرك ، فلم تدعني حتى أخبرتها ..

قالت : أفتخافين عليه الشيطان

قلت : نعم .. قالت : كلا ، والله ما للشيطان عليه من سبيل ، وإن ليتني لشأنها ، أفلأ أخبرك به ؟ قلت : بلى ..

قالت : رأيت حين حملت به أنه خرج مني نور أضاء لي قصور بصري من أرض الشام ، ثم حملت به فوالله ما رأيت من حمل قط كان أخف على ولا أيسر منه ، ووقع حين ولدته وإنه لواضع يديه بالأرض رافع رأسه إلى السماء .. دعيه عنك وانطلقي راشدة ..

---

وهكذا كان استرضاعه صلى الله عليه وسلم في بادية بني سعد شأنه شأن أبناء سادات قريش يررضعون أولادهم في البوادي ليصحوا أجسامهم ويفصحوا لساناً ويقووا حناناً .. ولقد قال حين مرة ، معتبر بشرف أصله واسترضاعه في البادية :

"أنا أعربيكم ، أنا قرشي ، واسترضعت في بني سعد بن بكر " ١

---

وعاش محمد صلى الله عليه وسلم طفلاً في مكة مع حنان أمه ورعايتها جده عبد المطلب .. فكان يجلس معه على فراشه الذي كان يُعد له عند الكعبة وكان بعض أعمامه يحاول أن يمنعه من الجلوس فيقول : دعوا

---

( ١ ) أبو بكر الجزارى ، هذا الحبيب محمد يا محب ، دار الفجر للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ھ - ٢٠٠٣م ، ص ٥٩

ابني فابن له لشأنا ويجلسه إلى جواره على الفراش ويمسح ظهره بيده ،  
ويسره ما يراه يصنع ، وكان يوهي أم أيمن ( بركة الحبشية ) فيقول  
لها يا بركة لا تغلي عنـه فإنـ أهـل الـكتـاب يزـعمـونـ أنـ اـبـنـيـ نـبـيـ هـذـهـ  
الأمة ..

وهكذا عاش صلـى الله عـلـيه وـسـلـمـ معـ أـمـهـ فيـ رـعـاـيـةـ جـدـهـ مـحـفـوفـاـ  
برـعـاـيـةـ اللهـ وـحـفـظـهـ

ولما بلـغـ السـادـسـةـ منـ عمرـهـ بـدـتـ عـلـيـهـ بوـادرـ النـضـجـ المـبـكـرـ وـرـأـتـ أـمـهـ  
فيـهـ مـخـاـيلـ الرـجـلـ العـظـيمـ الذـيـ طـالـمـاـ تـمـثـلـهـ وـوـعـدـتـ بـهـ مـنـ رـؤـاـهـ .  
عـنـدـئـذـ أـدـرـكـتـ أـنـ الـأـوـانـ قـدـ آـنـ لـكـيـ تـؤـدـيـ وـاجـبـاـ مـفـرـوضـاـ وـتـحـقـقـ رـغـبةـ  
طـالـ اـنتـظـارـهـ ،ـ فـحـدـثـ اـبـنـهـ عـنـ رـحـلـةـ يـقـومـانـ بـهـ مـعـاـ إـلـىـ يـثـربـ كـيـ  
يـزـورـ قـبـرـ الـحـبـيـبـ التـاـوـيـ هـنـاكـ ..ـ قـبـرـ وـالـدـهـ ..

وـهـشـ الـابـنـ لـفـكـرـةـ السـفـرـ وـسـرـهـ أـنـ يـصـبـ أـمـهـ فـيـ زـيـارـةـ قـيـدـهـاـ ،ـ وـأـنـ  
يـتـعـرـفـ عـلـىـ أـخـوـالـ أـبـيـهـ الـمـقـيـمـينـ بـيـثـربـ ..

وـشـغـلتـ أـمـنـةـ أـيـامـاـ بـتـجهـيزـ رـاحـلـتهاـ وـإـعـدـادـ مـكـوـنـةـ الـطـرـيقـ ،ـ ثـمـ زـوـدـتـ  
نـاقـتهاـ بـهـوـدـجـ مـنـ أـغـصـانـ مـجـدـودـةـ ذـيـ مـظـلـةـ مـرـفـوعـةـ تـحـبـ الشـمـسـ  
عـنـ الـابـنـ العـزـيزـ الغـالـيـ ..

وـأـقـامـتـ بـعـدـ ذـلـكـ تـنـتـظـرـ أـوـلـ قـافـلـةـ تـخـرـجـ مـنـ مـكـةـ نـحـوـ الشـمـالـ فـيـ رـحـلـةـ  
الـصـيفـ الـموـسـمـيـ ،ـ فـلـمـ آـذـنـ الـمـؤـذـنـ بـالـرحـيلـ ضـمـتـ إـلـيـهـ ولـهـاـ  
وـرـكـبـتـ رـاحـلـتهاـ بـصـحـبـةـ الـجـارـيـةـ الـوـفـيـةـ بـرـكـةـ (ـ أـمـ أيـمنـ )

وشارفت الرحلة منتهاها فجمعت آمنة نفسها وأقبلت على ولدها تحثه عن أبيه ، ثم دعته أن يتطلع معها إلى المدينة البيضاء التي بدأت تكشف من وراء جبل أحد حيث تبسط الأرض ويتموج عشبها الأخضر ، وتحنو عليها ظلال النخل الباسقات ..

وأناخ الركب رواحله في يثرب .. ثم استأنف مسيره شمالاً بعد أن ترك آمنة ولدها وجاريتها في حمىبني التجار ..

ولم يكدر يستقر بها المقام بين ترحيب القوم واحتقانهم حتى خلت بين ولدها مع أبناء أخواله فانطلقوا إلى ملاعبهم يلعبون ويمرحون .. ومضت هي إلى قبر الحبيب تناجيه وت بكيه ..

وطاب لها العيش شهراً كاملاً نقصت فيه عن حزنها المكتوب ، وأسعفتها عينها بما شاعت من دمع ، وتمتع ولدها بصحبة رفقاء من بنى الحال ..

وحان موعد الرحيل .. وودعت آمنة مضييفها شاكرة لهم ما لقيت ولدها من جميل ترحابهم وكرم ضيافتهم .. ثم ركبت راحلتها وركب معها ولدها وجاريتها فعرجت على القبر تزور صاحبه للمرة الأخيرة ثم أسلمت نفسها إلى أشجارها والناقة تمضي بها وبين معها نحو مكة .. وتشبّث بوحيدها تعانقه وقد انهرت الدموع من عينيها .. فأخذ يجف دمعها بيده ..

وفجأة تراخت ذراعها عنه فحدق فيها .. فراعه أن بريق عينيها يوشك أن ينطفئ وأن صوتها يخفت رويداً رويداً حتى يصير إلى حشرجة

خامسة .. ثم همست .. كل حي ميت ، وكل جديد بال ، وكل كبير يفني  
وأنا ميّتة ونكري باق ، فقد تركت خيرا ، وولدت طهرا .. وذاب  
صوتها في سكون العدم ..

وخيّم على الكون صمت رهيب .. وانحنى الصبي على جثة أمه في  
العراء يناديها فلا تلبِي النساء ..

واللقت إلى أم أيمن .. فضمتها إلى صدرها ..

وعلا نحيب القوم من إشراق وتأثير ، وخلوا بينه وبين أمه ساعة .. ثم  
نحوه عنها في رفق وأضجعواها في لحدتها وهالوا عليها الرمال ..

وتم دفنهَا في قرية الأبواء ..

وعاد الحبيب إلى مكة في صحبة أم أيمن ..

وشهدت مكة هذا الصبي الحزين الذي خرج من مكة مع أمه منذ شهر  
بادي الغبطة والتهال والإشراق يعود إليها اليوم وحيدا مضاعف اليتيم قد  
ذاق الحزن المر ورأى بعينيه مشهد الموت في أعز من له<sup>١</sup>

وفي مكة عاش محمد في رعاية جده عبد المطلب ..

وفي الثامنة من عمره توفي الجد الذي كان قد أوصى ابنه أبا طالب  
بمحمد صلى الله عليه وسلم .. فكفل أبو طالب ابن أخيه فكان معه كاحد  
أبنائه .. وكان أبو طالب فقيرا فاثرى وكثير ماله ببركة محمد صلى الله  
عليه وسلم اليتيم ..

---

(١) د . عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ ) ، ترجم سيدات بيت النبوة ، دار  
الريان للتراث ، القاهرة ١٩٨٧ ، ص ١٦١ - ١٦٨ بتصرف

ولما بلغ محمد الثانية عشرة من عمره خرج مع عمه أبي طالب إلى الشام في قافلة لتجارة قريش حيث أخذه عمه معه وقال :

والله لأخرجن به معي لا يفارقني ولا أفارقه ..

### نزول أبو طالب ورسول الله ببحيري

لما نزل الركب بصرى من أرض الشام وبها راهب يقال له بحيري في صومعة له ، وكان إليه علم النصرانية ، وكانتوا كثيراً ما يمرون به قبل ذلك فلا يكلهم ولا يعرض لهم حتى كان ذلك العام .. فنزلوا في ظل شجرة قريبة منه فنظر إلى العمامة حين أظللت الشجرة ومالت أغصان الشجرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى استظل تحتها .. فلما رأى بحيري ذلك نزل من صومعته إليهم فقال :

إني صنعت لكم طعاماً يا معاشر قريش فأنا أحب أن تحضروا كلكم صغيركم وكبيركم ، فقال له رجل منهم والله يا بحيري إن لك لشأننا اليوم ، فما كنت تصنع لنا هذا وقد كنا نمر بك كثيراً ، فما شأنك اليوم ؟ قال له بحيري : صدقت ، فقد كان ما تقول ، ولكنكم ضيوف ، وقد أحببت أن أكرمكم وأصنع لكم طعاماً فتأكلوا منه كلكم ، فاجتمعوا إليه ، وتختلف رسول الله صلى الله عليه وسلم من بين القوم - لحداثة سنها - في حال القوم تحت الشجرة ، فلما نظر بحيري في القوم لم ير الصفة التي يعرف ويجد عنده ..

قال : يا معاشر قريش ، لا يتخلقن أحد منكم عن طعامي ، قالوا له : يا بحيري ما تختلف عنك أحد ينبغي له أن يأتيك إلا غلام ، وهو أحدث

ال القوم سنا فتختلف في رحال القوم .. فقال : لا تفعلوا ، ادعوه فليحضر  
هذا الطعام معكم ..

قال رجل من قريش مع القوم : واللات والعزى إن كان للؤم بنا أن  
يتخلف ابن عبد الله بن عبد المطلب عن طعام بيننا ثم قام إليه فاحتضنه  
وأجلسه مع القوم ..

---

وجعل بحيرى يلحظ محمدا وينظر إلى أشياء في جسده قد كان يجدها  
عنه في صفتة ، حتى إذا فرغ القوم من طعامهم وتفرقوا قام إليه  
بحيرى فقال : يا غلام .. أسألك بحق اللات والعزى إلا أخبرتني عما  
أسألك عنه .. وإنما قال له بحيرى ذلك لأنه سمع قوله يحللون بهما ..  
قال صلى الله عليه وسلم : لا تسألني باللات والعزى شيئا .. فوالله ما  
أبغضت شيئاً قط بغضهما .. قال له بحيرى : فبالله إلا ما أخبرتني عما  
أسألك عنه .. قال له صلى الله عليه وسلم : سلني عما بدا لك  
فجعل يسأله عن أشياء من حاله ، من قومه ، وهنته ، وأموره ، فجعل  
صلى الله عليه وسلم يخبره فيوافق ذلك ما عند بحيرى من صفتة .. ثم  
نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بيت كتفيه على موضعه من صفتة  
التي عنده ..

فلما فرغ بحيرى أقبل على أبي طالب فقال له : ما هذا الغلام منك ؟  
قال : ابني

قال له بحيرى : ما هو ابنك ، وما ينبغي لهذا الغلام أن يكون أبوه حيا

قال : إنّه ابن أخي

قال : فما فعل أبوه

قال : مات وأمه حبلى به

قال : صدقت .. فارجع بابن أخيك إلى بلده وأحذر عليه يهود ، فوالله لئن رأوه وعرفوا منه ما عرفت ليبغنه شرا ، فإنه كائن لابن أخيك هذا شأن عظيم فأسرع به إلى بلاده ..

فخرج به عمّه أبو طالب سريعاً حين فرغ من تجارتة بالشام وعاد به إلى مكة ..

وشب رسول الله صلى الله عليه وسلم والله تعالى يكلؤه ويحفظه ويحوطه من أقدار الجاهلية ، لما يريد به من كرامته ورسالته حتى بلغ أن كان رجلاً أفضل قومه مروءة وأحسنهم خلقاً وأكرمهم حسناً وأحسنهم جواراً وأعظمهم حلماً ، أصدقهم حديثاً ، وأعظمهم أمانة ، وأبعدهم عن الفحش والأخلاق التي تensus الرجال تتزها وتكرماً ، حتى ما اسمه في قومه إلا الأمين ، لما جمع الله فيه من الأمور الصالحة ١

### خروجه إلى الشام في تجارة لخديجة

جلس النبي في بيته عمّه أبي طالب يفكّر .. سرت أمامه صورة أمّه التي ماتت وتركته .. وتذكر أبيه الذي لم يره .. وجده الذي كان يحبه كثيراً ثم مات وتركه يواجه الحياة والوحدة والفراغ ..

---

( ١ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ج ١ ، ص ١٨٣ -

وبينما هو كذلك إذ بعنه أبي طالب يقبل عليه متحرجاً فيقول له : يا ابن أخي هذه غير قومك قد حضر خروجها إلى الشام ، وخدية تبعث رجالاً من قومك يتجرون في مالها ويصيرون منافق ، فلو جئته لفضلتك على غيرك لما يبلغها عنك من طهارتك وأمانتك ..

فقال لعمه : لعلها ترسل إليَّ

وحدث بالفعل .. فأرسلت إليه خديجة ..

وأقبل إليها محمد بن عبد الله .. واستقبلته مرحبة .. ومدحت فيه ما كانت سمعته عن صدقه وأمانته وحسن سيرته .. ثم عرضت عليه أن يخرج في مالها إلى الشام وتعطيه أفضل ما كانت تعطي غيره ..

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في رحلة الصيف إلى الشام بمال خديجة ومعه غلامها ميسرة ولما بلغا بصرى من الشام نزلوا في ظل شجرة قريبة من صومعة راهب يقال له نسطورا ، فاطلع الراهب إلى ميسرة وسأله : من هذا الرجل الذي نزل تحت هذه الشجرة ؟ قال ميسرة : هذا رجل من قريش من أهل الحرم .. فقال له الراهب : ما نزل تحت هذه الشجرة قط إلانبي ..

ثم باع رسول الله صلى الله عليه وسلم سلعاته التي خرج بها ، واشتري ما أراد أن يشتري ، ثم أقبل قائلاً إلى مكة ومعه ميسرة ..

وكان ميسرة إذا كانت الهاجرة واشتد الحر يرى ملكين يظلانه من الشمس ..

وعادت القافلة إلى مكة .. وكانت خديجة تقف في شرفة دارها تطل على القافلة المقبلة مع بعض جواريها ، وإذا لاح محمد من بين الرجال أحسست بقلبها يخفق فجأة وينفتح له وأدركت أنها إنما كانت تنتظره هو حقا .. محمد نفسه .. لا الأجير الذي سيسلمها ربحها من التجارة .. وحدثها ميسرة عن قول الراهب عن محمد ، وما كان يرى من إظلال الملوكين أيامه ..

### زواج الرسول صلى الله عليه وسلم بخديجة

كانت خديجة من خيرة نساء قريش شرفا وأكثرهن مالا وأحسنهن جمالا .. وكانت تدعى في الجاهلية الطاهرة .. ويقال لها سيدة قريش وقد تطلع الكثير من سادات مكة إلى السيدة خديجة يبغون الزواج منها ولكنها رفضتهم جميعا .. وقد وجدت ما تتشده وما تبغيه في هذا الرجل الأمين محمد ..

وهذا أفضت عما يدور في نفسها إلى صديقتها نفيسة بنت منية ذهبت نفيسة إلى النبي صلى الله عليه وسلم وسألته : ما يمنعك أن تتزوج ؟

قال صلى الله عليه وسلم : ما يبدي ما أتزوج به  
قالت : فإن كفيت ودعيت إلى الجمال والمال والشرف والكفاءة ألا تجب ؟

قال صلى الله عليه وسلم : فمن هي ؟

قالت : خديجة بنت خويلد

قال صلى الله عليه وسلم : وكيف لي بذلك ؟

قالت : على أنا هذه المسألة

قال صلى الله عليه وسلم : فأنا أفعل

ورجعت نفيسة إلى الطاهرة خديجة تحمل خبر نجاحها في مهمتها وزفت إليها نبأ موافقة محمد على الزواج .. فأرسلت خديجة إلى عمها عمرو بن أسد ليزوجها فحضر ..

وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيت خديجة في آل عبد المطلب

قام أبو طالب خطيبا فقال :

الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل ، وجعلنا حضنة بيته وسوساس حرمته ، وجعل لنا بيتا محظيا وحرما آمنا ، ثم إن ابن أخي محمد بن عبد الله لا يوزن به رجل من قريش شرفًا ونبلًا وفضلا إلا راجح به ، ومحمد من عرفتم قرابته وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك ، وما أحببتم من الصداق فعلى

ووافق عم خديجة عمرو بن أسد .. وكان شيخا كبيرا .. وتم الزواج

---

### إعادة بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود

همت قريش أن تعيد بناء الكعبة ، حتى إذا بلغت موضع الحجر الأسود اختلفت أحياء قريش فيمن يضع هذا الحجر في موضعه ، فمن يباح له ذلك سيظفر بشرف أي شرف ، وما هي إلا أن يتحول الخلاف إلى

خصوصة تشد وتعنف حتى يخشى شرها ، وأشار أولي الرأي فيهم بالتحكيم وبيان يحكموا أول داخل عليهم فيحكمونه وكان أول من دخل عليهم محمد صلى الله عليه وسلم فقال كبيرهم : هذا الأمين .. رضينا به حكما .. فحكموه فيما شجر بينكم .. ويقضي صلى الله عليه وسلم قضاء يرضيهم ..

بسط رسول الله صلى الله عليه وسلم رداءه ووضع الحجر في وسطه ثم أمرهم بأن يأخذوا أطراف الرداء فيحملوه ويمشوا به حتى إذا بلغوا البناء أخذ الحجر فوضعه بيده الشريفة في موضعه ١

ميل الرسول إلى العزلة وبداية الوحي

روي عن عائشة أن أول ما ابتدئ به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة .. وكان لا يرى رؤيا إلا جاعت مثل فلق الصبح ..

ثم بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم يميل إلى العزلة شيئاً فشيئاً حتى اشتد عليه حب العزلة فجعل يترك مكة بين حين وحين ويمضي حتى إذا بلغ غار حراء خلافه إلى نفسه الأيام والليالي متقدراً في خلق الله متقدراً في هذا الكون وما فيه .. وكان هذا الغار بعيداً عن العمران .. كان على رأس جبل يلفه السكون والهدوء ..

وأصبحت هذه الخلوة له عادة .. ولكن يعود إلى أهله ذات يوم ولها مفاجأة شديدة الأضطراب ويقص على خديجة شيئاً عجباً ..

---

( ١ ) الإمام محمد أبو زهرة ، خاتم النبّين ، ج ١ ، ص ١٧٣ ، ١٧٤

قال صلى الله عليه وسلم إنه كان خاليا إلى نفسه في غار حراء فرأى شخصاً أمامه يقول : اقرأ .. قال : ما أنا بقارئ فضمه ضماً شديداً حتى بلغ منه الجهد .. ثم أسلمه وقال له للمرة الثانية اقرأ .. قال : ما أنا بقارئ .. فضمه ضماً شديداً حتى بلغ منه الجهد ثم أرسله وقال له ( اقرأ باسم ربك الذي خلق . خلق الإنسان من علق . اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم . علم الإنسان ما لم يعلم ) ..

ثم استخفى حتى لا يرى النبي صلى الله عليه وسلم شيئاً ولا يسمع شيئاً فيخرج من الغار واجماً إلى أهله مرتاعاً مذعوراً ، وأخبر زوجته خديجة بما حدث وأنه قد خشي على نفسه فقالت له : والله ما يخزيك الله أبداً ، إنك لتصل الرحم وتحمل الكل ، وتكتسب المعدوم ، وتقرى الضعيف ، وتعين على نواب الحق ..

---

انطلقت الزوجة الصالحة برسول الله صلى الله عليه وسلم إلى ابن عمها ورقة بن نوفل بن أسد وكان قد تنصر في الجاهلية وسمع من أهل التوراة والإنجيل .. وقص عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ما حدث .. قال ورقة والذي نفسي بيده إنك لنبي هذه الأمة .. هذا الناموس الذي نزل الله على موسى .. ليتني أكون حياً فأنصرك إذ يخرجك قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أو مخرجي هم ؟ قال : نعم لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عودي

ثم بدأ نزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم وتکلیفه بالرسالة .. والنبوة أفعال ومؤنة لا يحملها ولا يستطيعها إلا أهل القوة والعزّم من الرسل بعون الله وتوفيقه لما يلقون من الناس وما يُرِدُ عليهم مما جاءوا به عن الله سبحانه وتعالى .. فمضى رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يلقى من قومه من الخلاف والأذى ١  
وببدأ بالدعوة سراً لمدة ثلاثة سنوات قبل أن يأمره الله تعالى بالجهر بالدعوة ..

وصدقت خديجة بما جاء لرسول الله صلى الله عليه وسلم من ربه وكانت أول من استضاء بنور النبوة وأول من آمن بالله ورسوله .. ولموافقتها الكريمة الجليلة مع رسول الله ووقوفها بجانبه كرمها الله وفضلها على نساء العالمين ..

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أُمرت أن أبشر خديجة بيبيت من قصب في الجنة لا صخب فيه ولا نصب" ٢  
وكان أول من آمن برسول الله صلى الله عليه وسلم وصلى معه من الصبية علي بن أبي طالب بن عبد المطلب ..  
وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الكعبة يحدث الناس عن رسالته في رفق كمن يتحسس طرقه بينهم ..

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ١ ، ص ٢٤١

(٢) الإمام محمد أبو زهرة ، خاتم النبيين ، ج ١ ، ص ٣٢٧

وكان في الكعبة بعض فتيان ورجال يكررونها سنا ويعرفون فيه الصدق والشجاعة .. وعجبوا لما يدعوا إليه ، ما هو هذا الإله الواحد الذي يتحدث عنه ؟ أ يكون إيثاره للخلوة قد أثر عليه ؟ إنه لعاقل وحكيم .. فما من حقه أن يدعو إلى غير ما يعبد قومه أين حكمته ..

وأشفق عليه نفر منهم قاموا بتصحونه .. ولكنهم رأوا إصراره فلثروا أن يرسلوا إلى أبي بكر أحب أصدقائه إليه وأكرمهم عنده ..

فأبو بكر بن قحافة تاجر غني يكسب من الأشهر الثلاثة التي يحج فيها الناس إلى آلة الكعبة ، وسيبور جزء من تجارتة لا ريب إذا شاعت دعوة صديقه محمد بن عبد الله فشك العرب في آلة الكعبة واتجهوا إلى هذا الإله الواحد الذي لا يحده مكان وأبو بكر واحد من عشرة رجال يحكمون مكة .. ولم يقل محمد منزلة خاصة .. فلعله يستطيع أن يرجعه عما أخذ فيه ..

وانطلق العقلاة منهم جزعين إلى أبي بكر فقالوا له : يا أبو بكر إن صاحبك .. فقاطعهم في قلق : وما شأنه ؟ قالوا : هو ذاك في المسجد يدعو إلى عبادة إله واحد ويزعم أنهنبي ..

ففكر أبو بكر قليلا قبل أن يسألهم ( أقال ذاك ) قالوا نعم .. وانصرفوا مشفقين ..

اندفع أبو بكر - لم يكلم أحدا ولم يلتفت إلى أحد - إلى الكعبة حتى أتى محمدا فقال له يا أبو القاسم ، ما الذي بلغني عنك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : وما بلغك عنني يا أبو بكر ؟

قال أبو بكر : بلغني أنك تدعوا إلى توحيد الله وزعمت أنك رسول الله  
قال صلى الله عليه وسلم : نعم يا أبو بكر إن ربي جعلني بشيراً ونذيراً  
وجعلني دعوة إبراهيم ، وأرسلني إلى الناس جميعاً ..  
وأبو بكر إذ ذاك هو أكثر رجال قريش علماً بتاريخ العرب وأعمقهم  
ثقافةً يعرف الأنساب والسير والديانات التي عاشت في الجزيرة ومن  
 حولها على مدى القرون ..

ولم يتردد أبو بكر .. وقال : والله ما جربت عليك كذباً ، وإنك لخليق  
بالرسالة لعظيم أمانتك وصلاتك لرحمك وحسن فعالك مد يدك فإني  
مباعيك .. وأسلم أبو بكر .. أسلم الصديق مبكراً وكان أول من أسلم من  
الرجال الأحرار .. وقد قال عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم : " ما  
دعوت أحداً إلى الإسلام إلا كانت فيه عنده كبوة ونظر وتردد ، إلا ما  
كان من أبي بكر بن قحافة ما عكم عنه حين ذكرته له وما تردد فيه "

وشاعت دعوة محمد صلى الله عليه وسلم بين الأجراء المستضعفين  
والعبد يوماً بعد يوم .. أخذوا يعتقدونها .. إنها تمنح العبد حق الحرية  
وتحل للفقير حقاً معلوماً في مال الغني ..

هذه التعاليم تنهي الآباء والأزواج على إكراه فتياتهم على البغاء وهي  
تكلف للمرأة حياة متكافئة مع زوج يسكن إليها وينفق عليها ، ويعاشرها  
بالمعرفة ويسرحها بإحسان ، ويدفع لها مهراً عند الزواج ونفقة بعد  
الطلاق ..

وهكذا انتشرت التعاليم الجديدة بين النساء والعبد والأجراء ..

وسادة فريش ينظرون إلى محمد مستخفين .. فما اتبعه إلا الأرزال ..  
ولم يرق هذا لأبي بكر .. من الحق أن هؤلاء قد وجدوا خلاصهم في  
الدين الجديد .. ولكن مكة مع ذلك حافلة بغير العبيد والمستضعفين  
والإجراءات .. وما يجب أن يكون كل أعونان محمد من الذين تجوز عليهم  
سخرية سادة مكة .. ومن سادتها رجال يأنسون إلى أبي بكر وبالغونه .  
وصمم أبو بكر على أن يعزز تعاليم محمد ببعض الصحابة الذين يتقوون  
به ليس كل أغنياء مكة غرقى في الخطايا ، فمنهم من يرفض الربا مثله  
وينكر مثله أسلوب الحياة في مكة ، والقلب الطيب يتوجه إلى الخير  
ويرفض الأذى ويضيق بالآخرين مهما يكن ضغط المصالح المالية  
فليست المصلحة دائمًا هي التي تحرك الرجال ..  
واتجه أبو بكر إلى أعز أصدقائه عليه .. عثمان بن عفان .. وهو من  
أشراف فريش .. ومن كبار أغنيائها .. وحدثه عن محمد و تعاليم محمد  
وسمع عثمان طويلا .. أليس هو محمد الأمين ؟ أليس هو والد رقية ..  
لقد وقع منها في قلب عثمان شيء .. ولكن أباها زوجها لابن عمه .. أبي  
لهب ..  
وخفق قلب عثمان .. ولكنه أخذ يفتح لل تعاليم الجديدة .. فطالما ضاق  
باستكبار أصدقائه الأغنياء وتعنتهم مع الفقراء والمساكين .. ولطالما  
اشتاز من فسوق الحياة الآثمة في فريش ..  
وأمن عثمان بعد أن أقنعه أبو بكر ..

ومازال أبو بكر باصدقائه حتى آمن الزبير بن العوام ، وعبد الرحمن  
ابن عوف ، وسعد بن أبي وقاص ، وطلحة بن عبيد الله .. وكلهم تاجر  
غني يسلك أسلوب الطهر في التجارة ، ويألف الربا والظلم ، وما  
عرفوا كبار قومهم مبادل الليل في مكة ..

كلهم له المال والقول ، وكلهم سادات في قومهم .. فلن يسخر أحد منهم  
وما من حق أحد أن يسخر بتعاليم محمد صلى الله عليه وسلم ..  
 فهو لاء هم الصفوة الذين أسلموا على يد أبي بكر الصديق رضي الله  
عنهم يضاف إليهم علي بن أبي طالب ، زيد بن حارثة ، أبو بكر  
الصديق .. فهو لاء النفر الثمانية هم أهل السبق في الإسلام إذ آمنوا  
وصلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل أي أحد من الناس  
باستثناء السيدة خديجة إذ كانت أول المؤمنين .

## الجهر بالدعوة

بعد ثلاثة سنوات من بدء الدعوة أمر الله رسوله أن يجهر بالدعوة على  
أن يبدأ بعشيرته الأقربين ..

يقول البخاري في صحيحه عن ابن عباس : لما نزلت الآيات ( وأنذر  
عشيرتك الأقربين . واحفظ جناحك لمن اتبعك من المؤمنين ) صعد  
النبي صلى الله عليه وسلم على الصفا فجعل ينادي ، يا بنى فهد ، يا  
بنى عدي ، لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الذي لا يستطيع أن  
يخرج يرسل رسولا لينظر ما هو ، ف جاء أبو لهب وقريش ..

قال النبي صلى الله عليه وسلم : " أرأيتم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي ترید أن تغير عليكم أكتنتم مصدقى ؟ " قالوا : نعم ، ما جربنا عليك كذباً قال صلى الله عليه وسلم : " فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد ، أنقذوا أنفسكم من النار " ..

فقال أبو لهب : تبا لك سائز اليوم بهذا جمعتنا فنزل قوله تعالى ﴿تَبَتْ يَدُّ أَبِي لَهْبٍ وَتَبَ . مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالٌ وَكَسْبٌ سِيَصْلِي نَاراً ذَاتَ لَهْبٍ . وَامْرَأَهُ حَمَّةُ الْحَطْبِ . فِي جَيْدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسْدٍ﴾ ١

---

وبهذا يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد استجاب لأمر ربه .. فبعد أن كان يدعو من يدعوه في مناجاة ، ثم اقتصرت الدعوة العلنية على عشيرته الأقربين بعدئذ أخذ يدعو كل من يلقاه ، وأخذ يغشى الأسواق التي حول مكة المكرمة يدعو إلى دينه وتبلیغ رسالته ربه وجهراً لا يصرفه عن ذلك صارف ، وتسلط عليه وعلى من اتبעהه من أحد الناس من ضعفائهم الأشداء الأقوباء ٢

وكان أشدتهم إغلاضاً عليه عمه عبد العزى (أبو لهب) وثانيهم عمرو ابن هشام الذي لقبه التاريخ الإسلامي بحق بلقب أبي جهل ٣

(١) سورة المسد - آية ١ - ٥

(٢) ابن كثير ، البداية والنهاية ، ج ٣ ، ص ٤٠

(٣) محمد أبو زهرة ، خاتم النبيين ، ج ١ ، ص ٣٤٨

وعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم لأهله لم يرفضون كلامه وكلهم  
يعرف فضائله وأمانته ، وأنه صادق لا يدعو إلا إلى الخير ..  
لكم تمنى لو أنهم آمنوا بتعاليمه كما صنع علي بن أبي طالب ..

---

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بيته ذات مساء وقلبه متعلق  
بما يعانيه الذين اتبعوه .. وفي أعماقه رغم كل شئ تندد شعلة الإصرار  
التي يجب ألا تنطفع أبدا ..

وفجأة فتح الباب .. وأقبلت رقية بنت محمد .. وبكت إلى أمها .. لقد  
طلقتها عقبة بن أبي لهب ، واعتدى عليها أبو لهب فضربها ، ومزقت  
امرأته ثيابها ، وأقسموا جميعاً ألا تبقى في بيتهم مadam أبوها يسلك من  
قريش ومن أبي لهب هذا السلوك ، وأقسموا أنهم سيمعنون الرجال من  
الزواج ببنات محمد ..

وواست خديجة ابنتهما التي أصبحت الآن امرأة صغيرة طريدة ومسح  
أبوها دموعها ..

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى صديقه أبي بكر يشكوا له ما  
صنعه آل بيت أبي لهب به وما صنعواه بابنته .. فروى له أبو بكر أن  
عثمان بن عفان كان قد دخلته الحسرة لأن عتبة بن أبي لهب سبقه إلى  
رقية وأن عثمان ليرنو إليها ..

وما هي إلا أيام حتى زوجها عثمان بن عفان التاجر الذي ذو الخلقة ..

---

وتتابع أشراف قريش يدخلون في الإسلام فأسلم أبو عبيدة بن الجراح والأرقم بن أبي الأرقم وعثمان بن مظعون وأخويه وعبيدة بن الحارث وسعيد بن زيد وامرأته فاطمة بنت الخطاب وأسماء وعائشة ابنتي أبي بكر وخباب بن الارت وعبد الله بن مسعود .. وغيرهم ..  
وأسلم عمر بن الخطاب .. فكثير الرسول وكثير المسلمين من ورائه ، وكانوا نحو أربعين إلا واحدا فاكتملوا بعمر بن الخطاب أربعين ونصحه رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يستر إسلامه كيلا تؤذنه قريش وليس له فئة ينصرونه ، فقال عمر : والذي بعثك بالحق لأعلن الإسلام كما أعلنت الشرك ..

وأقبل المسلمون بعضهم على بعض فرحين بإسلام عمر .. منذ ثلاثة أيام أسلم حمزة فعز به الإسلام ، وها هو ذا عمر يسلم الليلة ليزداد الإسلام والمسلمون عزا ومنعة ..

قال عمر : يا رسول الله أنسنا على الحق إن متنا وإن حيينا ؟  
قال صلى الله عليه وسلم : " بلى ، والذي نفسي بيده إنكم على الحق إن متم وإن حييت " ..

قال عمر : فقيم الأخقاء ؟ والذي بعثك بالحق لنخرجن ..  
يروي عمر : فخرجنا في صفين ، حمزة على رأس أحدهما ، وأنا على الآخر ، حتى دخلنا المسجد ، فنظرت إلى قريش وإلى حمزة فأصابتهم كآبة لم يصبهم مثلها ، فسماني رسول الله الفاروق ..

كما سماه أبا حفص ، وحفص هو الأسد .. ١

---

أقض هذا الموقف الجديد مضاجع المشركين وأفزعهم وزادهم هولا  
وفزعاً تزايده عدد المسلمين وعدم مبالاتهم بعداء المشركين لهم الأمر  
الذى جعل رجالات قريش يساومون رسول الله صلى الله عليه وسلم  
فبعثوا إليه عتبة بن ربيعة يقول له :

يا ابن أخي إنك منا من الشرف العشيرية والمكان في النسب وأنك قد  
أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم وسفهت به أحلامهم وعبت  
آهاتهم ودينهم فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل  
منها بعضها فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : " قل يا أبا الوليد  
أسمع "

قال : يا ابن أخي ، إن كنت تزيد بما جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا  
لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً ، وإن كنت تزيد به شرفاً سويناً لك  
 علينا حتى لا نقطع أمراً دونك ، وإن كنت تزيد به ملكاً ملكتاك علينا ..  
 وإن كان هذا الذي يأتيك ربّيّاً تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك  
الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه ..

---

( ١ ) عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب ، مركز الأهرام  
للترجمة والنشر ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٨٧ ، ص ١٤

وكان رد المصطفى صلى الله عليه وسلم : " بسم الله الرحمن الرحيم  
حِمَ تَنْزِيلٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كِتَابٌ فَصَلَتْ آيَاتُهُ قَرآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ  
يَعْلَمُونَ "

ومضى رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ ، وعتبة يستمع منصتا  
حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد ، ثم قال  
" قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فانت وذاك "

وعاد عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض لقد جاءكم أبو الوليد بغير  
الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس قال لهم : إني قد سمعت قولًا والله ما  
سمعت مثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة ..  
أطیعونی واجعلوها لي وخلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه فاعتلزوه  
فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم ، فإن تصبه العرب فقد  
كيفتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملكم وعزه عزكم ،  
وكنتم أسعد الناس ، فما كان جوابهم إلا أن قالوا : سحرك يا أبا الوليد  
بلسانه .. فقال : هذا رأي فيه فاصنعوا ما بدا لكم ١

وبعد أن استمعوا إلى عتبة بن ربيعة كونوا وفدا من أعظم رجالاتهم  
وبعثوا به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ليساوموه بنفس المساومة  
قال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إنه ما بي ما تقولون ، ما  
جيئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ،

---

( ١ ) ابن هشام ، السيرة النبوية ، المكتبة التوفيقية ، القاهرة ، ج ١ ، ص ٢٨١ - ٢٨٢

ولكن الله بعثي إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فأبلغكم رسالات ربى .. ونصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة ، وإن تردوه على أصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم " ..

ولما سمعوا هذا الرد الكريم فقدوا صوابهم وجن جنونهم وطلبوها من النبي أن يدعوه ربه ليحيي لهم من مات من آبائهم ، وأن يزيل عنهم الجبال المحيطة بمكة ، وأن يفجر خلالها الأنهار لتصبح حدائق من نخيل وأعناب ..

وهذا أمره ربه أن يقول لهم : " سبحان ربى هل كنت إلا بشرأ رسولًا " ..

واستمر الرسول في دعوته .. فذهب وفد من قريش إلى عمه فقالوا له إن ابن أخيك قد سب آلهتنا وعاد ديننا وسفه أحلامنا ، وضلل آبائنا فإما أن تكتفه عنا وإما أن تخلي بيننا وبينه فإنك على مثل ما نحن عليه من خلافه فنكفيك .. فقال لهم أبو طالب الكيس قوله رقيقاً ورد لهم ردًا جميلاً فانصرفو عنده ..

واستمر الرسول في دعوته .. فعاد وفد قريش إلى أبي طالب مرة أخرى فقالوا يا أبو طالب إن لك شأنًا وشرفًا ومنزلة فينا وإننا قد استأذنناك من ابن أخيك فلم تنته عنا ، وإنما والله لا نصبر على هذا من شتم آبائنا وتسفيه أحلامنا وعيوب آلهتنا حتى تكتفه عنا أو نننزله وإياك في ذلك حتى يهلك أحد الفريقين .

فعظم على أبي طالب فراق قومه وعداوتهم ولم يطُب نفساً بإسلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا خذلانه ، وأراد أبو طالب أن يعرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أصابه من ضيق ويشركه في أمر قومه الذي تقاعم .. فبعث إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال له : يا ابن أخي إن قومك قد جاءوني فقالوا لي كذا وكذا فابق علىّ وعلى نفسك ولا تحملني من الأمر مالاً أطيق ، فظن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن عمه خاذله ومسلمه ، وإنه قد ضعف عن نصرته والقيام معه .. فقال صلى الله عليه وسلم مقالة أولي العزم من الرسل : " يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله أو أهلك فيه ما تركته " .. ثم استعبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فبكى ثم قام .. فناداه عمه أبو طالب وقال : أقبل يا ابن أخي فأقبل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : اذهب يا ابن أخي فقل ما أحببت ، فوالله لا أسلمك لشئ أبداً ..

ولما عرفت قريش أن أبا طالب قد أبى خذلان رسول الله صلى الله عليه وسلم ذهبوا إليه ومعهم عمارة بن الوليد بن المغيرة فقالوا له : يا أبا طالب هذا عمارة بن الوليد أشد فتنى في قريش وأجملها فخذه فلما عقله ونصره ..

واتخذه ولدا فهو لك وأسلم إلينا ابن أخيك هذا الذي قد خالف دينك ودين  
آبائك ، وفرق جماعة قومك وسفه أحلامهم فقتله فإنما هو رجل برجل  
قال أبو طالب : والله لبيس ما تسمونني ..  
اعطوني ابنكم أغذوه لكم وأعطيكم ابني لتقتلوه ! هذا والله مala يكون  
أبدا .. <sup>١</sup>

ولما أعيت الحيل قريشا ولم تجد ما تدفع به دعوة الحق بعثت وفدا إلى  
يثيرب يجلي لها حقيقة الموقف بواسطة أخبار اليهود لأنهم أهل كتاب  
وذو علم بالأديان .. وذهب الوفد إلى يثيرب فسأل أخبار يهود عن  
رسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفو لهم أمره .. فقالت لهم أخبار  
يهود : سلوه عن ثلاثة أمور فإن أخبركم بهن فهونبي مرسل ، وإن لم  
يفعل فالرجل متقول ..

سلوه عن فتية ذهبوا في الدهر الأول ما كان من أمرهم ؟ فإنه قد كان  
لهم حديث عجب .. وسلوه عن رجل طواف قد بلغ مشارق الأرض  
ومغاربها ما كان نبوة ؟ وسلوه عن الروح ما هي ؟ فإن أخبركم بذلك  
فتابعوه فإنهنبي ، وإن لم يفعل فهو متقول فاصنعوا في أمره ما بدا لكم  
وعاد الوفد إلى قريش فأخبروهم بما قال أخبار يهود ..  
وسألت قريش النبي صلى الله عليه وسلم وقال غدا أخبركم ولم يستثن  
( أي لم يقل إن شاء الله ) وانصرفوا عنه ..

---

( ١ ) الإمام محمد أبو زهرة ، خاتم النبىين ، ج ١ ، ص ٤١٩ - ٤٢٠

وحبس الوحي عنه لعدم استثنائه قرابة نصف الشهر حتى حزن رسول الله صلى الله عليه وسلم وفرحت قريش .. وقالوا الكثير من القول حتى قالوا : قلاه شيطانه الذي كان يأته .. ثم أنزل الله تعالى سورة الضحى ينفي فيها ما قالته قريش وإدعاء بعضهم من غلبة المبغضين له صلى الله عليه وسلم من أن الله تعالى قد قلاه أي تركه وأضعاه مبغضا له ، وأنزل سورة الكهف وفيها بيان حديث أصحاب الكهف تفصيلا وفيها خبر الرجل الطواف وهو الإسكندر ذو القرنين ، ونزل في شأن الروح قوله تعالى في سورة الإسراء ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربى وما أتيتكم من العلم إلا قليلا .<sup>١</sup>

## عدوان المشركين على المستضعفين ومن أسلم بالأذى والفتنة

بعد أن فشلت قريش في إطفاء أنوار الدعوة المحمدية بطشوا بالمستضعفين من المؤمنين ومنهم بلال وآل ياسر ..

ما لقيه بلال .. وتخليص أبي بكر له

كان بلال مملوكا لأمية بن خلف وكان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة فيطربه على ظهره في بطحاء مكة ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتووضع على صدره .. ثم يقول له : لا تزال هكذا حتى تموت أو تكفر بمحمد وتعبد الآلات والعزى فيقول بلال وهو في ذلك البلاء : أحد أحد

---

( ١ ) أبو بكر جابر الجزائري ، هذا الحبيب محمد يا محب ، دار الفكر للتراث ، القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م ، ص ٨٨ - ٩٠ بتصرف

ومر أبو بكر وهو يعذبون بلال فعرض على أمية بن خلف أن يعطيه  
غلاماً أسود أجلاً من بلال بدلاً منه فوافق وأخذ أبو بكر بلال وأعتقه <sup>١</sup>  
**تعذيب قريش آل ياسر**

مر الرسول صلى الله عليه وسلم وهو يعذبون آل ياسر ( عمار ووالده  
وأمه ) فقال لهم صلى الله عليه وسلم: " صبراً آل ياسر موعدكم الجنة " <sup>٢</sup>  
قتلوا سمية أم عمار ووالده .. واشتبوا في تعذيب عمار .. وقالوا له لن  
نتركك حتى تذكر محمدًا بسوء وتذكر آهتنا بخير ففعل فتركوه ..  
فجرى إلى رسول الله يبكي ويقص عليه ما حدث .. سأله الرسول كيف  
تجد قلبك .. قال أجده مطمئناً بالإيمان فقال صلى الله عليه وسلم : " إن  
عادوا يا عمار فعد " .. وأنزل الله تعالى قوله ﴿إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقْبَهُ  
مُطْمَنٌ بِالْإِيمَان﴾ <sup>٢</sup>

وأشتد المشركون في تعذيب المستضعفين من المؤمنين  
**الهجرة إلى أرض الحبشة**

لما رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يصيّب أصحابه من البلاء ،  
ورأى النبي أنه غير قادر على حمايتهم أذن لهم في الهجرة إلى الحبشة  
قال لهم : " لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لا يظلم عنده  
أحد ، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه " ..

---

( ١ ) السيرة الكاملة لكل من الصحابة بلال وعمار بن ياسر ووالده في كتابنا  
مدرسة الرسول

( ٢ ) سورة النحل - آية ١٠٦

فخرج المسلمون من مكة فرارا بذينهم إلى أرض الحبشة ، فكانت أول هجرة في الإسلام .. وكان ذلك في شهر رجب سنة خمس منبعثة وهي السنة الثانية من الجهر بالدعوة ..

وبقي رسول الله صلى الله عليه وسلم في مكة يدعو إلى ربه سرا ووجهرا .. وصابرا موقفنا بنصر الله ولدعوته .. وهو يتعرض لأذى قريش كل يوم ..

### **إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها**

لما رأت قريش أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمنوا وأطمأنوا بأرض الحبشة وأنهم قد أصابوا بها دارا وقرارا انتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلين إلى النجاشي فيرد لهم عليهم ليقتلوهم في دينهم ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها ، فبعثوا عبد الله بن أبي ربعة وعمرو بن العاص وحملوهم هدايا للنجاشي ولبطارقته ..

ولما وصل رسولي قريش إلى الحبشة قابلا النجاشي فقال له : أيها الملك ، إنه قد ضوى إلى بلدك مما غلمن سفهاء فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا في دينك ، وجاءوا بذين جديد ابندعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك فيهم أشراف قومهم من آبائهم وعشائرهم لتردهم إليهم فهم أعلم بما عابوا عليهم وعاتبوهم فيه ..

قال النجاشي : قوم جاوروني ونزلوا بلادي واختاروني على من سواي لا أسلمهم حتى أدعوهם فأسألهم عما يقول هذا في أمرهم ..

ودعا النجاشي بإحضار المهاجرين فحضروا .. وسألهما : ما هذا الدين الذي فارقتم فيه قومكم ولم تدخلوا في ديني أو دين أحد من هذه الملل ؟  
وتحدث جعفر بن أبي طالب عن المهاجرين فقال :

أيها الملك .. كنا قوماً أهل جاهلية نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، وناتي الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسع الجوار ، ويأكل القوي منا الضعيف فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباءنا من دونه من الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق وأداء الأمانة وصلة الرحم وحسن الجوار والكف عن المحaram والدماء ، ونهانا عن الفواحش وقول الزور وأكل مال اليتيم وقذف المحسنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئاً ، وأمرنا بالصلوة والزكاة والصيام ، فعبدناه وأمنا به واتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئاً ، وحرمنا ما حرم علينا وأحللنا ما أحل لنا ، فعدا علينا قوماً فعذبوا وفتونا عن ديننا ليروننا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث ، فلما قهرونا وضيقوا علينا وحالوا بيننا وبين ديننا خرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا في جوارك ، ورجونا ألا نظلم عندك أيها الملك ..

قال النجاشي : هل معك مما جاء به عن الله من شيء ؟

قال جعفر : نعم

قال النجاشي : فاقرأه عليّ

## فَقَرَا جَعْفُرٌ صَدِراً مِنْ سُورَةِ مَرِيمٍ

فقال النجاشي إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة ..  
ونظر لمن حوله من الرهبان والقسيسين وفاضت أعينهم من الدمع ،  
فهم الذين أنزل الله فيهم قوله تعالى « ولتجدن أقربهم مودة للذين  
آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا  
يستكرون . وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من  
الدموع مما عرفوا من الحق يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين » ١  
ولم يجب النجاشي رسولى قريش إلى ما طلبوا ، فوشوا إليه أن هؤلاء  
يقولون في عيسى قولًا عظيمًا ..

فاستدعا النجاشي المهاجرين إلى مجلسه فحضرروا وفي مقدمتهم جعفر  
ابن أبي طالب فسألهم ماذا تقولون في عيسى بن مریم ..  
قال جعفر بن أبي طالب : نقول الذي جاءنا به نبيانا هو عبد الله  
ورسوله وروحه وكلمة ألقاها إلى مريم العذراء البتول ..  
فأخذ النجاشي عودا من الأرض وقال : ما زاد عيسى على هذا ولا هذا  
العود ..

فتاخرت بطارقته عنده ، فقال : وإن نخرتم ..  
وقال للمهاجرين : اذهبوا ، فانتقم سيوم بارضي ، من سبكم غرم ..  
( السيوم هم الآمنون في لسانهم )  
ثم قال للرسولين : لو أعطيتُموني جبلًا من ذهب ما أسلتمهم إليكما ..

---

( ١ ) سورة المائدة - آية ٨٢ - ٨٣

ثم أمر فرُدت عليهما هداياهما ، ورجعا مقوحين ١

## صحيفة قريش .. وما حل بها ..

بعد إسلام حمزة بن أبي طالب وعمر بن الخطاب .. وتزايد عدد المسلمين ، وعودة وفد قريش من الحبشة خانيا وعلمهم بما لقي المهاجرون هناك من إكرام وتأمين أجمعوا على أن يتعاقدوا علىبني هاشم وبني عبد المطلب وبيني عبد مناف أن لا يبايعوهم ولا ينأحروهم ولا يكلموهم ولا يجالسوهم حتى يسلموا إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وكتبوا بذلك صحيفة وعلقوها في سقف الكعبة .. وحبس رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه في شعب أبي طالب ليلة هلال المحرم سنة سبع منبعثة وبقاء محبوبين ومحصورين مضيقا عليهم نحو ثلاثة سنين حتى بلغهم الجهد .. ثم أطلع الله رسوله على أمر صحيفتهم وأنه أرسل عليها الأرضية فأكللت جميع ما فيها من جور وقطيعة وظلم إلا ذكر الله عز وجل فأخبر بذلك عمه أبو طالب ، فخرج إلى قريش فأخبرهم أن ابن أخيه قال كذا وكذا فإن كان كذلك خلينا بينكم وبينه ، وإن كان صادقا رجعتم عن قطيعتنا وظلمتنا ، قالوا : قد أنصفت فأنزلوا الصحيفة ، فلما رأوا الأمر كما أخبر به رسول الله صلى الله

---

( ١ ) الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، دار الريان للتراث ، القاهرة ١٩٨٧ ، ج ٢ ، ص ٦٦ - ٦٧

عليه وسلم ازدادوا كفراً إلى كفرهم .. وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الشعب<sup>١</sup>

### خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف

فلما نقضت الصحيفة وافق موت أبي طالب وموت خديجة فاشتد البلاء على رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفهاء قومه ، وتجرؤوا عليه فكashفوه بالآذى ..

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف رجاءً أن ينصروه على قومه .. ودعاهم إلى الله عز وجل فلم يرَى من يؤدي ، ولم ير ناصراً وأنوْه باشد الآذى - وكان معه مولاه زيد بن حارثة - وأغروا سفهاءهم فجعلوا يرمونه بالحجارة حتى دميت قدماه .. فعمد إلى ظل شجرة فجلس تحتها مستظلاً بها .. وهناك قال :

" اللهم إليك أشكو ضعف قوتي وقلة حيلتي و هواني على الناس .. يا أرحم الراحمين ، أنت رب المستضعفين وأنت ربِّي .. إلى من تكلني .. إلى بعيد يتوجهبني أم إلى عدو ملكته أمري .. إن لم يكن بك على غضب فلا أبالي .. غير أن عافيتك هي أوسع لي .. أعود بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن تنزل بي غضبك أو أن يحل علي سخطك .. لك العتبى حتى ترضى ( أي استرضيك حتى ترضى ) .. ولا حول ولا قوة إلا بك .. "

---

( ١ ) ابن كثير ، السيرة النبوية ، ج ٢ ، ص ٤٣

ولما فرغ صلى الله عليه وسلم من دعائه رأه ابنا ربيعة عتبة وشيبة  
فدعاه غلاماً لهما يقال له عداس وأمراه أن يأخذ قطفاً من عنبر فيوضعه  
في طبق ثم يذهب به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيوضعه تحت  
يديه ..

ففعل عداس ، فلما وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه يده قال :  
بسم الله الرحمن الرحيم ثم أكل .. فنظر عداس في وجهه .. ثم قال :  
والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد ، فقال رسول الله صلى الله  
عليه وسلم : " ومن أي البلاد أنت يا عداس وما دينك " .. قال :  
نصراني من أهل نينوى ..

فقال صلى الله عليه وسلم : " من قرية الرجل الصالح يونس بن متى  
فقال عداس : وما يدريك ما يonus بن متى ؟

قال صلى الله عليه وسلم : " ذاك أخي كاننبياً وأنانبي  
فأكب عداس على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبل رأسه ويديه  
وقدميه وهنا نظر ابنا ربيعة أحدهما للأخر ..

ولما جاءهما عداس قال له : ويحك يا عداس .. مالك تقبل رأس هذا  
الرجل ويديه وقدميه ؟ قال : يا سيدني ما في الأرض شئ خير من هذا  
لقد أخبرني بأمر لا يعلمه إلانبي ، فقال له : ويحك يا عداس لا  
يصرفنك عن دينك ، فإن دينك خير من دينه ١

---

( ١ ) أبو بكر جابر الجزائري ، هذا الحبيب محمد يا محب ، دار الفجر للتراث ،  
القاهرة ، ط ١ ، ٢٠٠٣ ، ص ١١١

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم قاصداً مكة .. وفي الطريق قال له زيد بن حارثة كيف تدخل عليهم وقد أخرجوك - يعني قريشا - فقال : "يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً وإن الله ناصر دينه ، ومظهر نبيه " ١

ثم انتهى إلى مكة فارسل رجلاً من خزاعة إلى مطعم بن عدي ليدخل في جواره فقال نعم ودعا بنيه وقومه وقال لهم : البسو السلاح وكونوا عند أركان البيت فإني قد أجرت محمدا .. فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه زيد بن حارثة حتى انتهى إلى المسجد الحرام فقام مطعم بن عدي على راحلته فنادى يا معاشر قريش إني قد أجرت محمداً فلا يوجه أحد منكم .. فانتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الركن فاستلمه وصلى ركعتين وانصرف ومطعم بن عدي وولديه مدقون به السلاح حتى دخل بيته ١

روي عن عائشة أنها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم : هل أتى عليك يوم أشد من يوم أحد ؟

قال صلى الله عليه وسلم : " لقد لقيت من قومك ما لقيت ، وكان أشد ما لقيت منهم يوم الطائف "

ذلك أنه صلى الله عليه وسلم دعا فريقاً من أشرافها إلى وحدانية الله فلم يثر دعوته في نفوسهم غير السخرية والاستهزاء فرموه بالحجارة في غير رحمة وأخرجوه من ديارهم ..

---

( ١ ) الحافظ بن كثير ، السيرة النبوية ، ج ٢ ، ص ١٥٣

يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : "فانطلقت وأنا مهموم على وجهي فلم استفق مما أنا فيه إلا وأنا بقرن التعالب - على يوم وليلة من مكة - فرفعت رأسي وإذا أنا بسحابة قد أظللتني ، فنظرت فإذا فيها جبريل فناداني فقال : إن الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا به عليك وقد بعث إليك ملك الجبال لتأمره بما شئت فيهم ، قلت : بل أرجو أن يخرج الله من أصلابهم من يعبد الله وحده لا شريك له " رواه البخاري هذا من مزيد شفنته وحلمه وعظيم عفوه وكرمه ..

## عام الحزن

### مات فيه حماته من البشر .. وبقيت حماية ربه

في عام واحد توفي أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم وزوجته خديجة وقد كانا يواسيانه ويشدان أزره ويعنون عنه الأذى ..

وقد سمي النبي صلى الله عليه وسلم العام الذي ماتا فيه بعام الحزن لأن أبو طالب كان يحميه إذا خرج إلى الطريق ومن يؤذيه ، وخدية ثصدقه إذا أوى إلى منزله وتسليه عن كل ما يجري عليه ، وتقول : أنت رسول الله حقا صلى الله عليه وسلم وعلى الله الطيبين الطاهرين ورضي الله عن التابعين وتابعبي التابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين ..

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " ما نالت مني قريش شيئاً أكرهه حتى مات أبو طالب " .. وقد روى مسلم عن ابن مسعود قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم عند البيت وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جذور بالأمس فقال أبو جهل أيكم يقوم إلى سلا جذوربني

فلان فيأخذ فيوضعه بين كتفي محمد إذا سجد فاتبعه سفيه من سفهاء  
قرיש فأخذه .. فلما سجد النبي صلى الله عليه وسلم وضعه بين كتفيه  
فاستضحكوا ، وجعل بعضهم يميل إلى بعض ، وأنا نائم أنظر والنبي  
صلى الله عليه وسلم ساجد ما يرفع رأسه حتى ذهب من أخبر فاطمة  
فجاعت فطرحته عنه .. فلما قضى النبي صلى الله عليه وسلم صلاته  
رفع رأسه ثم دعا عليهم ، وكان إذا دعى دعا ثلثا وإذا سأله سأله ثلثا  
ثم قال : " اللهم عليك بقريش ، ثلث مرات "

فلما سمعوا صوته ذهب عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، ثم قال :  
" اللهم بأبي جهل بن هشام ، وعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ،  
والوليد بن عقبة ، وأمية بن خلف ، وعقبة بن أبي معيط ..  
فوالذي بعث محمدا عليه الصلاة والسلام بالحق لقد رأيت الذين سُمّي  
صرعى يوم بدر ..

يقول الإمام محمد أبو زهرة .. إذا كان النبي صلى الله عليه وسلم قد  
فقد حماية أبي طالب فقد عوضه الله تعالى بحمايته ١

في حماية الله تعالى  
جلس النبي صلى الله عليه وسلم يدعوا مشركي مكة إلى الله تعالى  
ويبيّن لهم أن الأحجار لا تنفع ولا تضر وأنها لا تغنى من الله شيئا ..  
ثم غادر مكانهم ..

---

( ١ ) محمد أبو زهرة ، خاتم النبّيين ، ج ١ ، ص ٤٤٨

فقام أبو جهل بن هشام فقال : يا معاشر قريش .. إني أعاهدكم لأجلسن  
له غدا بحجر ، فإذا سجد في صلاته شجبت به رأسه فليصنع بعد ذلك  
بنو عبد مناف ما بدا لهم ..

فلما أصبح أبو جهل أخذ حجرا ثم جلس لرسول الله صلى الله عليه  
وسلم ينتظر وعدا رسول الله ، وكانت قبلته للشام فقام يصلي ، وقد  
غدت قريش فجلسوا ينتظرون .. فلما سجد رسول الله صلى الله عليه  
وسلم احتمل أبو جهل ، ثم أقبل نحوه حتى إذا دنا منه رجع ممتعقاً لونه  
مرعوباً وقد تبیست يداه على حجره ..

قالوا له : ما بك يا أبا الحكم !! فقال : قمت إليه لأفعل ما قلت لكم  
البارحة ، فلما دنوت منه عرض لي دونه فحل من الإبل ، والله ما  
رأيت مثل هامته ، ولا قصرته ، ولا أنيابه لفحل فقط ، فهم أن يأكلوني ..  
وهكذا نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم قد حماه ربه من قريش بما  
منع به شر الأشرار ، وبما منحه الله تعالى من قوة نفس وعزم صدق .  
كما كانت حماية الله تعالى لرسالته ونبيه قد اقترنـت بما أفضى الله عليه  
من مهابة كانت تظهر في أوقاتها حين كان الأذى يشتـد والاستهزاء  
يكثـر ..

روي أن رجلاً قدم من أراش بابل إلى مكة ومعه مجموعة من الإبل  
فابتاعها أبو جهل بن هشام وماطل بثمنها .. فأقبل الأراشي حتى وقف  
على نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في ناحية

المسجد فقال : يا معاشر قريش هل من رجل يعديني على أبي الحكم بن هشام فإني غريب وابن سبيل وقد غليني على حقي ؟  
قال أهل المجلس ترى ذلك ، ويشيرون إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يهز عون به لما يعلمون ما بينه وبين أبي جهل من العداوة ..  
اذهب إليه فهو يعديك عليه ..

فأقبل الأراشى حتى وقف على النبي صلى الله عليه وسلم فذكر ذلك له  
فقام معه ، فلما رأوه قام معه قالوا للرجل ممن معهم : اتبعه فانظر ماذا  
يصنع ..

فسار رسول الله صلى الله عليه وسلم مع الأراشى حتى جاء دار أبي  
جهل فضرب عليه بابه .. فقال : من هذا ؟

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .. محمد .. فاخذ .. فخرج إليه  
وما في وجهه قطرة دم ، وقد امتنع لونه ..

قال له صلى الله عليه وسلم : " أعط هذا الرجل حقه "  
قال أبو جهل : لا تبرح حتى أعطيه الذي له .. فدخل وخرج إليه بحقه  
دفعه إليه ..

ثم انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال للرجل : " ارحل  
لشأنك "

فأقبل الأراشى حتى وقف على ذلك المجلس فقال : جزاء الله خيرا .. قد  
أخذت الذي لي ..

وعاد الرجل الذي بعثوه ، فقالوا : ويحك ، ماذا رأيت

قال : عجبا من العجب .. والله ما هو أن ضرب عليه بابه فخرج وما معه روحه ، فقال أعط هذا الرجل حقه فقال نعم لا تبرح حتى أخرج عليه حقه ، فدخل فآخر ج للرجل حقه ..

ولم يلبث أن جاء أبو جهل إلى المجلس فقالوا : ويلك ، والله ما رأينا مثل ما صنعت .. قال : ويحكم ، والله ما هو أن ضرب علي بابي وسمعت صوته فملئت رعبا ، فخرجت إليه وإن فوق رأسه لفحلا من الإبل ما رأيت مثل هامته ولا أنيابه لفحل قط هم بي ليأكلني .. والله لئن أبىت لأكلني ..

## الإسراء والمعراج

اصطفى الله نبيه محمد صلى الله عليه وسلم واختصه بمظاهر لطفه ومقامات كرمه

وتعهده في مراحل الدعوة وموافقات التبليغ بما يثبت قلبه ويشرح صدره

ويجعله على بينة من صدق رسالته وصلاح شريعته وتأييد الله له ..

والناظر في سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم والمتذير للقرآن الكريم الذي أنزل عليه يشهد الكثير من هذه المواقف التي تتجلى فيها عنانية الله به ، وتقريبه منه وإشعاره بأنه الرسول الأكبر للرسالة ..

الكبرى ..

يخاطب الله عز وجل أولي العزم من الرسل وسائر الأنبياء بأسمائهم مجردية فيقول تعالى ( يا نوح اهبط بسلام وبركات عليك وعلى أمم

ممن معك ) ، ( يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا ) ، ( يا موسى أقبل ولا تخف ) ، ( يا عيسى ابن مريم أذكر نعمتي عليك وعلى والدتك ) .. فإذا خاطب محمد صلى الله عليه وسلم وصفه بالنبوة تارة والرسالة أخرى فيقول جل شأنه ( يا أيها النبي حسبك الله ومن اتبعك من المؤمنين ) ، ( يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الكفر ) ، ( يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك )

ولم ترَ آيةً من آيات الكتاب يذكر فيها اسم الرسول عليه الصلاة والسلام إلا متبعاً بوصفه الكريم إعلاءً لقدره وإشارة إلى فضله وإمامته ، وترشيحه للشهادة على الأنبياء والمرسلين ( فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً ) ..

ولعل من أروع دلائل تكريم الرسول صلى الله عليه وسلم واطلاقها بمنزلته العظمى عند الله تعالى حادث الإسراء والمعراج .. يقول الله تعالى «سبحان الذي أسرى بعده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع العظيم » ١

سبحانه جل شأنه بديع السموات والأرض إذا قضى أمرًا فإنه يقول له كن فيكون ..

ومن آيات قدرته سبحانه وتعالى آية الإسراء والمعراج في ليلة السابع والعشرين من شهر رجب ..

---

( ١ ) سورة الإسراء - آية ١

والإسراء والمعراج رحلتان قدسيتان لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم الأولى : من المسجد الحرام أول بيت وضع للناس مباركا وهدى للعالمين إلى المسجد الأقصى وهي رحلة أرضية ..

الثانية : من المسجد الأقصى إلى السموات السبع إلى ما فوقها إلى مكان لم تنقل فيه قدم البشر ولم يخفق فيه جناح لملك ، ولم يستطع جبريل أمين الوحي حياله إلا التقهقر والتراجع ، فلما سُئل قال ( وما منا إلا له مقام معلوم ) وهذه الرحلة رحلة سماوية .

كان الإسراء والمعراج قبل هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة وكان مكافأة ربانية لما لقاء الحبيب صلى الله عليه وسلم من آلام وأحزان إذ كان بعد حصار دام ثلاثة سنوات في شعب أبي طالب وما لقاء أثناء من جوع وحرمان وكان بعد فقد عمه الناصر الحميم وقد ألم المؤمنين خديجة وبعد خيبة الأمل في الطائف وما ناله من سفهائها ..

بعد هذه الآلام كافأ الحبيب حبيبه فرفعه إليه وقربه وأدناه ، وخلع عليه من حل الرضا ما أنساه كل ما كان قد لقاء من حزن وألم وتعب .. وفي هذه الرحلة القدسية التقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بإخوانه من الأنبياء والمرسلين وصلى بهم إماما في المسجد الأقصى ليكون برهانا من الله على أنه أرفعهم شأنا وأعلاهم مقاما صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين

ثم يزيد الله تعالى في الفضل والتكريم فيرفعه إلى السموات العلى من فوق صخرة بيت المقدس في مراجـ إلهي صنع الله الذي أتقن كل شيء وهناك يستقبله الرسل والأنبياء ويرحبون بمقمه لقى صلى الله عليه وسلم في السماء الأولى آدم عليه السلام وفي الثانية يحيى وعيسى ابنا الخالة عليهما السلام وفي الثالثة يوسف عليه السلام وفي الرابعة إدريس عليه السلام وفي الخامسة هارون عليه السلام وفي السادسة موسى عليه السلام وفي السابعة لقى إبراهيم عليه السلام ..

وكان صلى الله عليه وسلم يلقى في كل سماء من الترحيب ما تقر به عينيه وينشرح له صدره وتطيب به نفسه .. وهو لذلك أهل ١ ثم يصل إلى سدرة المنتهى فيرى من مشاهد الكون وأيات الله الكبرى ما شاء الله أن يرى ، ويحظى بالمتollow بين يدي ربه العلي الأعلى فيشاهد الأنوار الربانية وينال الرضوان الأكبر والفضل العظيم وفي هذه الليلة المباركة تلقى رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر مولاه بفرضة الصلاة عماد الدين وأول ركن من أركان الإسلام بعد الإيمان بالله ورسوله ..

وقد تساعل البعض هل كان الإسراء بالروح والجسد أم كان بالروح فقط .. وجمهور الفقهاء اتفق على أن الإسراء كان بالروح والجسد .. فإذا كان الإنسان وهو مخلوق لله قد وصل اليوم بفضل ما وهبته الله من

---

( ١ ) أبو بكر جابر الجازري ، هذا الحبيب محمد يا محب ، ص ١١٢ - ١١٣

العقل وآتاه من العلم إلى ركوب متن الهواء واحتراق طبقات السماء  
فإن الله سبحانه وتعالى وهو القادر القاهر فوق عباده الذي خلق  
السموات والأرض ولم يغنى بخلقهن ، وب بيده أمر الأجسام والأرواح  
جميعاً وب بيده مقاليد السموات والأرض قادر على أن يجعل الإسراء  
بالجسم وذلك أهون عليه سبحانه من خلق السموات والأرض وأيسر  
من خلق الناس ..

ويقول رفاعة رافع الطهطاوي .. والصحيح أن الإسراء والمعراج كانوا  
يقطنة لا رؤيا والظاهر من قوله تعالى (سبحان الذي أسرى ببعده ...)   
أنه يقطنة ففي قوله (بعده) دليل على أن الإسراء كان بروحه وجسده  
لا بروحه فقط إذ العبد اسم للجسد والروح ١

---

يروي علماء السيرة النبوية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما  
أصبح قصّ على قريش ما حدث ليلة الإسراء والمعراج فصدقه كل من  
آمن به إيماناً صحيحاً .. أما ضعفاء الإيمان فقد سأله وصف بيته  
المقدس بقصد الاختبار والتعجيز فوصفه لهم وسأله عن أشياء دقيقة  
في المسجد لم يكن قد انتبه إليها فجلده الله له ..

---

(١) رفاعة رافع الطهطاوي ، محمد صلى الله عليه وسلم - نهاية الإيجاز في  
سيرة ساكن الحجاز - دار الفكر والفن ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ٦٥ - ٦٦

فجعل ينظر إليه ويصفه لهم ويعد أبوابه وأقسامه فيطابق ما عندهم ..  
ولكن المعاندين لجوا في استكثارهم .. وكانت هذه الآية مثلاً العجبين  
ومبعثاً لسخريتهم ..

وقد ذهب بعضهم إلى أبي بكر الصديق فقالوا له إن صاحبك يزعم أنه  
ذهب إلى بيت المقدس ثم رجع إلى مكة في ليلة واحدة قال أبو بكر :  
أوَ قَالَ ذلِكَ ؟

قالوا : نعم .. قال : فأنا أشهد لأنّ كان قال ذلك لقد صدق .. فأنا أصدقه  
بابعد من ذلك ، أصدقه بخبر السماء .. وفي هذه سمي أبو بكر "  
الصديق" ..

---

### مواصلة الرسول الدعوة

أقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بمكة ثلاثة سنين من أول نبوته  
يدعو للإسلام متخفياً ثم جهر بالدعوة في السنة الرابعة تلبية لنداء ربه  
فدعى الناس إلى الإسلام عشر سنين يوافي الموسم كل عام ، يتبع  
الحجاج في منازلهم ، وفي المواسم يدعوه حتى أن يمنعوه حتى يصل  
رسالة ربه ولهم الجنة فلا يجد أحد ينصره ولا يجيبه حتى أنه ليسأل  
عن القبائل ومنازلها قبيلة قبيلة ويقول يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله  
تقلحوا وتملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فإذا آمنتم كنتم ملوكاً في  
الجنة ..

وكان أبو لهب وراءه يقول : لا تطیعوه فإنه صابع كذاب فيردون على  
رسول الله صلى الله عليه وسلم أقبح الرد ويؤذونه ويقولون : أسرتك  
وعشيرتك أعلم بك حيث لم يتبعوك ١

وفي المدينة كان الأوس والخزرج يسمعون من حلفائهم اليهود أن نبيا  
من الأنبياء مبعوث في هذا الزمان سيخرج فيتبعونه ويقتلون معه  
المشركين المكذبين بيتر ب  
وكانت الأوس والخزرج يحجون البيت كما كانت العرب تحجه دون  
اليهود ..

فكان طعن اليهود في الوثنية وبشارتهم بالنبي المنتظر وتهديدهم بقتل  
المشركين المعادين للنبي .. كل ذلك كان من أسباب تشوق مشركي  
يترى إلى معرفة هذا النبي ..

وقدم أهل بيتر إلى مكة في العام الحادي عشر منبعثة حيث جرت  
بيعة العقبة الأولى ثم في العام الثاني عشر حيث جرت بيعة العقبة  
الثانية ثم .. كانت الهجرة إلى بيتر (المدينة المنورة)  
وتعالوا نعيش مع الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم في بيعتي العقبة  
ثم .. الهجرة إلى المدينة

---

( ١ ) قيم الجوزية عزاد المعاد في هدي خير العباد ، دار الريان للتراث ، ج ٢ ،  
ص ٣٧

## بيعة العقبة الأولى

اثناء عرض النبي صلى الله عليه وسلم نفسه على قبائل العرب في المواسم لقيه نفر من الخزرج أراد الله بهم خيرا .. فلما طلب منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجلسوا ليكلمهم استجابوا له ، فعرض عليهم الإسلام وقرأ عليهم القرآن وكان هؤلاء النفر يعلمون من اليهود المجاورين لهم في المدينة أن نبيا قد أطلق زمانه وهو مبعوث الآن .. فلما أراد الله تعالى إظهار دينه وإعزاز نبيه صلى الله عليه وسلم وإنجاز وعده له جعل هؤلاء النفر يستجيبون لدعوته صلى الله عليه وسلم فقال بعضهم : يا قوم تعلمون والله إنه للنبي الذي توعدكم به يهود فلا تسbeckم إليه .. فصدقوا ، وقبلوا منه ما عرضه عليهم من الإسلام ، وانقلبوا إلى قومهم يدعونهم ويسخرونهم ، وذكروا لهم ما كان من أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوهם إلى الإسلام حتى فشأفيهم ، فلم يبق دار من الأنصار إلا وفيها ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كان العام الم قبل وفى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فلاقوه بالعقبة .. وهي العقبة الأولى .. فبايعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

## بيعة العقبة الثانية

لما انتشر الإسلام في المدينة - خاصة أن نفرا من أهل مكة قد هاجروا إليها وعاشا في طمأنينة وسلم بين إخوانهم المسلمين الجدد - قال الأنصار إلى متى نترك رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من

إخواننا يكابدون المشقة والأذى فارسلوا له في موسم الحج سبعين رجلاً  
وتوعدوا شعب العقبة وبأيده بيعة العقبة الثانية على السمع والطاعة ،  
وأن يمنعوه مما يمنعون أنفسهم وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن  
المنكر .. وكان من حضر هذه البيعة مع رسول الله صلى الله عليه  
 وسلم عمه العباس بن عبد المطلب ، وكانت هذه البيعة تسمى بيعة  
الحرب وكانت في العام الثاني عشر من البعثة

وكان العباس يومئذ على دين قومه إلا أنه أحب أن يحضر أمر ابن  
 أخيه ويتوثق له .. فلما جلس كان أول متكلم فبين أن رسول الله صلى  
 الله عليه وسلم في منعة من قومه بني هاشم ، ولكنه يريد الهجرة إلى  
 المدينة ، ولذلك فإن العباس يريد أن يتتأكد من حماية الأنصار له وإلا  
 فليدعوه .. فطلب الأنصار أن يتكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
 فيأخذ لنفسه ولربه ما يحب من الشروط .. فتكلم رسول الله صلى الله  
 عليه وسلم فتلا القرآن ودعا إلى الله وراغب في الإسلام .. ثم قال : "  
أشترط لربِّي أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً ، وأشترط لنفسي أن  
 تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأموالكم " ..

قالوا : فإذا فعلنا ذلك فما لنا ؟

قال صلى الله عليه وسلم : " الجنة " ١

---

( ١ ) الإمام جلال الدين محمد بن أحمد المحملي والإمام جلال الدين عبد الرحمن  
ابن أبي بكر السيوطي ، تفسير الجلالين ، دار التراث ، القاهرة ، ١٩٧٧ ،  
ج ١ ، ص ٢١٤

فأخذ البراء بن معرور - وهو سيد قومه وكبيرهم - بيده ثم قال : نعم والذى بعثك بالحق لنمنعك مما نمنع منه أزرنا ، فبأيعننا يا رسول الله فحن والله أهل الحرب وأهل الحطة ورثاها كابرًا عن كابر .. وبعد البيعة .. طلب الرسول صلى الله عليه وسلم منهم الانصراف إلى رحالهم .. وهكذا عبرت البيعة بسلام وعاد الأنصار إلى المدينة ينتظرون هجرة النبي إليهم بتلهف كبير ١

المؤامرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله تعالى «وإذ يمكر به الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين » ٢ نكل المشركون بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاضطروهم أن يهاجروا أكثر من مرة إلى الحبشة ، بلاد غير بلادهم وناس لا يدينون بدينه ، وغاظ المشركون أن هؤلاء المهاجرين قد أفلتوا من أيديهم فأنحوا على من بقي في مكة من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بألوان الإيذاء وصنوف الاضطهاد يستشفون منهم ويطفئون بتعذيبهم ما تضطرم به صدورهم من نيران الحنق والغيظ .. وهذا أشار النبي صلى الله عليه وسلم على هؤلاء المؤمنين المضطهددين أن يخرجوا متسللين إلى المدينة والهجرة إليها واللاحق بإخوانهم من

---

( ١ ) الشيخ محمد متولي الشعراوى ، الهجرة النبوية ، مكتبة التراث الإسلامى ،

القاهرة ، ص ٨١ - ٨٣

( ٢ ) سورة الأنفال - آية ٣٠

الأنصار .. فخرجوا لم يبق منهم بمكة إلا من حبسه حاجة أو تتبه له  
المشركون فحبسوه من الخروج بالقهر والغلبة ..  
ولقد هم أبو بكر بالرحيل أبضا فأشار عليه الرسول صلى الله عليه  
وسلم بالبقاء معه حتى يقضى الله أمره ..  
خرجوا وتركوا مكة لأهلها المشركون من أقربائهم وغير أقربائهم ..  
فـإذا كان أثر هذا الشروج المستخفي في نفوس أهل مكة ؟  
هل ينتهي الأمر فيما بينهم وبين المؤمنين ؟ كيف و محمد صاحب  
الدعوة ما يزال باقيا في مكة مستمسكا بعقيدته معتصما بيقينه يعبد الله  
ويدعوا إلى دين الله ..  
إذن ماذا يصنعون معه ؟

إنهم قد أعيتهم معه جميع الحيل وقد مكثوا سنين طويلة يعالجون أمره ،  
ويحاولون إغراؤه واغواوه بكل ما يفتتن به الرجال وأشباه الرجال من  
سلطان ومال فلم يفلحوا ، فماذا هم فاعلون ؟ قالوا إنه لابد لهذا الأمر  
من آخر ، ولا يصلح فيه إلا العمل الحاسم والقضاء الفاصل ..  
تدعوا في دار الندوة - وهي دار قصي بن كلاب التي كانت قريش لا  
تغضي أمرا إلا فيها - تشاوروا وقلعوا وجوه الرأي  
( ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين )

إن المكر له وسائل وغaiات ، وسليته هي التدبير بخفاء ، وغايته هي  
إيذاء إنسان قوي لا تقدر على مواجهته مواجهة مباشرة ، فتحتال على  
هذه المواجهة حتى تتمكن منه وهو غير متبه لك ..

وقد كان هناك ثلاثة اقتراحات إما التثبيت وهو التقيد أو السجن لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإما إخراجه من مكة ويعنونه من دخولها . ورفض المجتمعون الرأيين .. وهنا انبرى أبو جهل فقال والله إن لي فيه لرأي ما أراكم وقعتم عليه بعد .. قالوا وما هو يا آبا الحكم ؟ قال عدو الله : أرى أن نأخذ من كل قبيلة شاباً جليداً نسيباً وسيطاً فتياناً ثم نعطي كل فتى منهم سيفاً صارماً ثم يعمدوا إليه فيضربوه ضربة رجل واحد فيقتلوه فنستريح منه ، فإنهم إذا فعلوا ذلك تفرق دمه في القبائل جميعاً فلن يقدر بنو عبد مناف على حرب قومهم جميعاً عند ذلك يرضون بالدية فنؤديها لهم فصاح الشيطان الجالس بينهم القول ما قال أبو الحكم ، وتفرق القوم على ذلك وهم مجتمعون أمرهم على هذا الرأي يقول ابن عباس : فأتى جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : لا تبت هذه الليلة على فراشك الذي كنت تبيت عليه .. فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً بن أبي طالب أن يبيت في فراشه ويتعطى ببردته

وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيته بينما ألقى الله النوم على فتیان قریش الواقفين بسيوفهم على بابه .. خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم وأمسك بحفنة من التراب ورمها في وجه فتیان قریش وقال ( شاهت الوجوه ) وأخذ يتلو قول الحق سبحانه وتعالى

﴿ يس والقرآن الحكيم . إنك لمن المرسلين . على صراط مستقيم .  
تنزيل العزيز الرحيم . لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم فهم غافلون . لقد  
حق القول على أكثرهم فهم لا يؤمنون . إننا جعلنا في أعناقهم أغلالاً  
فهي إلى الأذقان فهم مقحمون . وجعلنا من بين أيديهم سداً ومن  
خلفهم سداً فأشغلاهم فهم لا يبصرون ﴾ ١  
وانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم تحفظه عنابة الله إلى المدينة  
المنور بصحبة الصديق رضي الله عنه ..

---

**هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة**  
توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى دار صاحبه الصديق وخرج  
من هناك متوجهين إلى المدينة .. وفي الطريق التجأ إلى غار ثور  
واختباً داخله ..

وجاء الكفار ووقفوا عند مدخل الغار .. وسيطر الخوف على قلب أبي  
بكر خشية أن يقع رسول الله صلى الله عليه وسلم في أيدي الكفار وقال  
لو نظر أحدهم تحت قدميه لرأينا .. وكان أبو بكر بذلك يقرر واقعاً ..  
فالكافر واقفون على باب الغار والنبي صلى الله عليه وسلم في داخله ،  
ونظرة واحدة من الكفار إلى داخل الغار تكشف الأمر كله .

فماذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ رفع الأمر إلى الله وقال : " ما ظنك باثنين الله ثالثهما " .. وهذا ما تشير إليه الآية الكريمة ﴿ لَا تحزن إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ ١

وذلك لأن الله سبحانه وتعالى هو الذي يحفظنا فنحن لا نحفظ أنفسنا ، وهكذا جاءت هذه الآية لتبيّن لنا كيف أن الله سبحانه وتعالى إذا كان معنا كانت لنا الغلبة وأننا يجب أن نستعين بالله في جميع الأمور ٢ وصرف الله مشركي مكة عن الغار بما أكرم به رسوله من عجائب ومعجزات .. حمامات تبيض ، وشجرة تمتد فروعها وأغصانها .. وعناكب تتشابك خيوطها ويتكافف نسيجها .. كل ذلك يجدونه في مدخل الغار ، أعلىه وأسفله حتى ليحلف أحدهم - وهم يتآمرون عند ذلك الغار - أن نسيج ذلك العنكبوت لأقدم من ميلاد محمد ..

انصرفوا حينئذ عن الغار .. يتبعون الطرق ويرسلون عيونهم في جميع المسالك .. ويعثون النساء في كل واد .. من يأتي بمحمد حيا أو ميتا فله مائة ناقة ..

مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه في الغار ثلاثة أيام كانا يتغذيان فيها بلبن شاة كان يغدو بها عليهما ويروح عامر بن فهيرة مولى أبي بكر رضي الله عنه كما كان يوافيهما بأخبار أهل مكة وما يصنعون ، ثم قدم عليهما ابن أريقط بالراحلتين .. وأنتهما اسماء بنت

---

(١) سورة التوبه - آية ٤٠

(٢) الشيخ محمد متولي الشعراوي ، الهجرة النبوية ، ص ١١٢ - ١١٣

أبي بكر بسفرتهم ونسيت أن تجعل لها عصاما .. ولما أرادت أن تعلق السفرة لم تجد لها عصاما فحلت نطاقها وجعلته عصاما ثم علقت السفرة به ، فكان يقال لها ذات النطاقين لذلك .

وهكذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من مكة بعد أن مكث بها منذبعثة ثلاثة عشر عاما لقي فيها من عنت المشركين وتعنتهم ومن آذاهم ، وتكذيبهم وافتراضهم ما لا يحتمله إلا أولو العزم من الرسل ١

### حديث أم معبد

في طريق الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة هو أبو بكر وعامر بن فهيرة مولى أبي بكر ودليلهم عبد الله بن أريقط الليثي مروا بخيمة أم معبد الخزاعية ، وكانت امرأة كبيرة تسقي وتطعم فسالوها تمرا ولحما يشترون فلم يصيروا عندها شيئاً من ذلك فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى شاة في الخيمة فقال ما هذه الشاة يا أم معبد ؟  
قالت : هذه شاة خلقها الجهد عن الغنم ..

قال صلى الله عليه وسلم : " هل بها من لبن ؟ "

قالت : هي أجهد من ذلك ..

قال صلى الله عليه وسلم : " هل تأذنين لي أن أحلبها ؟ "

قالت : نعم ، بابي أنت وأمي إن رأيت بها حلبيا

---

( ١ ) الشيخ عبد الرحمن تاج شيخ الجامع الأزهر الأسبق ، الهجرة ١٤٠٥ هـ ، ص ١٢ - ١٥

فدعى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشاة فمسح ضرعها وذكر اسم الله وقال :

اللهم بارك لنا في شاتها .. فدرت ، واجترت .. فدعى باناء فحلب فيه ثجا حتى غلبه الثمال فسقاها فشربت حتى رويت وسقى أصحابه حتى رروا وشرب رسول الله صلى الله عليه وسلم آخرهم وقال : "ساقى القوم آخرهم شربا " فشربوا جميعا حتى أراضوا ثم حلب فيه ثانيا عودا على بدء فتركه عندها حتى ارتحلوا عنها ..

وجاء زوجها أبو معبد يسوق أعنزا عجافا هزلی ، فلما رأى اللبن عجب فقال : من أين لك هذه والشاة بعيدة عن المرعى ولا حلوبة في البيت .. قالت : لا والله إلا أنه من بنا رجل مبارك كان من حدثه كيت وكيت .. والله إني لأراه صاحب قريش الذي يُطلب ..

قال زوجها : صفيه لي يا أم معبد  
قالت : رأيت رجلا ظاهر الوضاءة ، مشرق الوجه ، حسن الخلق ، لم تعبه ثجلة ، ولم تزر به صعلة ، وسليم ، قسيم ، في عينيه دعج شديد ( سواد العين ) وفي أشفاره وطف ، وفي صوته صحل ( بحة ) ، أزرج أقرن ( دقة الحاجبين وحسنها ) ، شديد سواد الشعر ، في عنقه سطع ( طول ) ، وفي لحيته كثافة ، إذا صمت فعلية الوقار ، وإذا تكلم سما وعلاه البهاء ، حلو المنطق ، فصل لا نزير ولا هذر ( ليس بقليل ولا بكثير ) .. أجهر الناس وأجملهم من بعيد ، وأحلامهم وأحسنهم من قريب ، ربعة لا تشنؤه من طول ، ولا تقتسمه عين من قصر ، غض

بين غضين ، فهو أنظر أصحابه منظرا ، وأحسنهم قدرأ ، له رفقاء يحفون به ، إذا قال استمعوا لقوله وإذا أمر تبادروا إلى أمره ، مخدوم محسود ، لا عابس الوجه ولا فيه أثر هرم ..

قال : هذا والله صاحب قريش الذي ذكر لنا من أمره ما ذكر ، ولو كنت وافقة للتمست أن أصحابه ، ولأفعلن إن وجدت إلى ذلك سبيلا ..

قال عبد الملك بن مروان : فبلغنا أن أم معبد هاجرت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأسلمت

### وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

ويمضي الموكب الوضاء .. وينزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في بني عمرو بن عوف فيقيم أياما يؤسس فيها مسجد قباء .. ثم يرتحل إلى المدينة ويدخلها يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الأول وكان عمره يومها ثلاثة وخمسين عاما<sup>١</sup>

وقد جاء في كتب السيرة أن زعماء الأنصار تطعوا إلى استضافة الرسول صلى الله عليه وسلم فكلما مر بأحدهم دعاه للنزول عنده فكان يقول لهم : "دعوا الناقة فإنها مأمورة" فبركت على باب بيت أبي أيوب الأنصاري فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم في داره حتى بُني له مسكنه الخاص .

ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم رأى اليهود تصوم يوم عاشوراء (العاشر من المحرم) فقال صلى الله عليه وسلم : "ما هذا؟" قالوا :

---

(١) الإمام جمال الدين يوسف المقدسي (ابن المبرد) ، ص ١٩

هذا يوم صالح ، هذا يوم نجى الله بنى إسرائيل من عدوهم فصامه  
موسى ..

فقال صلى الله عليه وسلم : " فانا أحق بموسى منكم ، فصامه وأمر  
بصيامه " <sup>١</sup>

وقد جاء بيان فضل صيام يوم عاشوراء في حديث الرسول صلى الله  
عليه وسلم :

" من صام يوم عرفة غفر له سنة أمامه وسنة خلفه ، ومن صام  
عاشوراء غفر له سنة " الآثار المرفوعة ج ١ ، ص ٩٤

وبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في منزل أبي أيوب زيد بن  
حارثة وأبا رافع إلى مكة فقدموا عليه بفاطمة وأم كلثوم ابنتيه وزوجته  
سودة بنت زمعة ، وأسامه بن زيد ، وأم أيمن ، أما زينب بنت رسول  
الله صلى الله عليه وسلم فلم يمكنها زوجها أبو العاص بن الربيع من  
الخروج ، وخرج عبد الله بن أبي بكر معهم بعيال أبي بكر ومنهم  
عائشة فنزلوا في بيت حارثة بن النعمان <sup>٢</sup>

---

ونظم النبي صلى الله عليه وسلم العلاقات بين سكان المدينة ، وكتب  
في ذلك كتاباً أوردته المصادر التاريخية ، واستهدف هذا الكتاب أو  
الصحيفة توضيح التزامات جميع الأطراف داخل المدينة وتحديد

---

( ١ ) صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص ٧٠٤

( ٢ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ٢٣٧ - ٢٣٨

الحقوق والواجبات ، وقد سُميت في المصادر القديمة بالكتاب  
والصحيفة ، وأطلقت الأبحاث الحديثة عليها لفظة الدستور والوثيقة<sup>١</sup>  
**بناء المسجد النبوي الشريف وتغيير القبلة**

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلى حيث أدركته الصلاة ثم أمر  
بناء المسجد في أرض كان فيها نخل لغامين يتنميان من بنى النجار ،  
وقد اشتراها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقام المسلمون بتسويتها  
وقطع نخيلها وصفوا الحجارة في قبلة المسجد ، وما أعظم سرورهم  
وهم يعملون في بنائه ورسول الله صلى الله عليه وسلم يعلم معهم وهم  
يرتजرون ..

اللهم إله لا خير إلا خير الآخرة فانصر الأنصار والمهاجرة  
وكان يصلى إلى قبلة بيت المقدس ويحب أن يُصرف إلى الكعبة ..  
وقال لجبريل وددت أن يصرف الله وجهي عن قبلة اليهود فقال : إنما  
أنا عبد فادع ربك واسأله ، فجعل يقلب وجهه في السماء يرجو ذلك  
حتى أنزل الله عليه ( قد نرى تقلب وجهك في السماء فلنولينك قبلة  
ترضاها فول وجهك شطر المسجد الحرام ) وذلك بعد ستة عشر شهرا  
من مقدمه المدينة قبل غزوه بدر بشهرین .

وجعل الرسول للمسجد ثلاثة أبواب : باب في مؤخره وبابا يقال له باب  
الرحمة ، والباب الذي يدخل منه رسول الله صلى الله عليه وسلم ،  
وجعل عمه الجذوع وسققه بالجريدة ، وبني إلى جانبه بيوت أزواجـه

---

( ١ ) الشيخ محمد متولي الشعراوي ، الهجرة النبوية ، ص ١٣٥

باللبن وسقفها بالجريدة والجذوع ، فلما فرغ من البناء بنى بعائشة في  
البيت الذي بناه لها شرقي المسجد ، وهو مكان حجرته اليوم ، وجعل  
لسودة بنت زمعة بيتها آخر ١

## خبر الآذان

بعد أن استقر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة وبنى مسجده فيها  
أصبح المسلمون يجتمعون فيه للصلوة ، وكانوا يأتون وقت الصلاة  
بدون إعلام فيصلون وينصرفون .. ثم رأى الرسول صلى الله عليه  
وسلم أنه ينبغي أن يكون هناك ما يعلم به المسلمين دخول وقت الصلاة  
وقرب إقامتها ، فاستشار أصحابه وأشاروا عليه بالبوق فكره  
لاستعمال اليهود له ، وأشاروا عليه بالناقوس فكره أيضا لاستعمال  
النصارى له .. وانصرفوا ولم يتقدوا على شيء ..

فقام عبد الله بن زيد الأنصاري فرأى أن رجلا عليه ثوبان أحضران  
يحمل ناقوسا في يده فقال له : يا عبد الله أتبיע هذا الناقوس ؟ فقال :  
وما تصنع به ؟ قلت : ندعوا به إلى الصلاة ، قال : لا ، إلا أذلك على  
خير من ذلك ؟ قلت : وما هو ؟ قال : تقول الله أكبر الله أكبر ، أشهد  
أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ،  
أشهد أن محمدا رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الصلاة ،  
حي على الفلاح ، حي على الفلاح ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله .  
فأخيرها الرسول صلى الله عليه وسلم فقال صلى الله عليه وسلم :

---

( ١ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ١ ، ص ٢٤٠

" إنها رؤيا حق إن شاء الله ، فقم مع بلال فالقها عليه ، فإنه أندى صوتا منك "

فلما أذن بلال سمعه عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج إلى رسول الله وهو يجر رداءه ويقول : يا نبى الله والذى بعثك بالحق لقد رأيت مثل الذى رأى .. فقال الحبيب فله الحمد وزاد بلال في أذان الفجر ( الصلاة خير من النوم ) فأقر عليها .. وعلم رسول الله بلا الإقامة فقال له : " إذا أقمت الصلاة تقول : الله أكبر الله أكبر ، أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن محمدا رسول الله ، حي على الصلاة ، حي على الفلاح ، قد قامت الصلاة قد قامت الصلاة ، الله أكبر الله أكبر ، لا إله إلا الله <sup>١</sup> "

### المواхاة بين المهاجرين والأنصار

قال الله تعالى « وَالْفُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتُ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفُ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ » <sup>٢</sup>

الف الله بين قلوب المسلمين فأصبح الإسلام أقوى رابطة تربط بينهم فأصبحت أخوة الدين أقوى من أخوة النسب ، وحين تتألف القلوب فهذا أقوى رباط لأن كل عمل يقوم به الإنسان إنما ينشأ عن عقيدة في القلب فالقلب هو ينبوع لكل المشاعر ، ولذلك نرى الإنسان يضحي بكل شيء في سبيل ما آمن به واعتقده .. والتآلف بين القلوب هو جماع التواد

( ١ ) أبو بكر جابر الجازري ، هذا الحبيب محمد يا محب ، ص ١٥٠ - ١٥١

( ٢ ) سورة الأنفال - آية ٦٣

والمساندة ، والرسول صلى الله عليه وسلم يقول : " ألا إن في الجسد  
مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي  
القلب " رواه البخاري ..

ولم تكن المسألة في تأليف القلوب مسألة احتياج إلى مال ، لأن المال لا  
يمكن أن يعطي الحب الحقيقي .. والمؤمنون الذين ألف الله بين قلوبهم  
لم يكن بهم المال بقدر ما يفهمون نصرة دين الله الذي آمنوا به ونصرة  
رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي صدقوه ..

والرسول صلى الله عليه وسلم يعلم أن القلوب بين إصبعين من أصابع  
الرحمن يقلبها كما يشاء لذا كان أكثر دعائه صلى الله عليه وسلم : " يا  
مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك " رواه الترمذى

فكان من أول الأعمال التي قام بها رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد  
استقراره بالمدينة أن آخى بين المهاجرين والأنصار حتى أن المهاجر  
كان يرث الأنصارى بالإخوة التي آخى رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بينهم إلى أن نزلت آية المواريث فأبطلت ذلك .. وكان من الفوائد  
العظيمة لهذه الأخوة الإيمانية إزالة الوحشة والغرابة عن المهاجرين  
نتيجة مفارقتهم الأهل والعشيرة ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لو كنت متخدًا من أهل الأرض  
خليلًا لاتخذت أباً بكر خليلًا ، ولكن أخوة الإسلام أفضل "   
رواه البخاري

## **جهاد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة**

كانت حياة النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة جهاداً كلها .. فهو يجاهد المشركين في قريش والشركين من العرب .. ويُجاهد اليهود في المدينة وخارجها .. ثم يُجاهد المنافقين الذين يظهرون أنهم له أولياء وليسوا في ولائه في شيء وإنما هم أولياء أعدائه من المشركين واليهود وهو يُجاهد المنافقين بالصبر على ما يقتربون في ذاته وفي ذات المؤمنين ، وفي ذات الله عز وجل من السيئات والآثار .. وبالاحتياط لمكرهم وكيدهم وإغرائهم به وتاليتهم عليه ، وهذا الجهاد المتصل المختلف كان جديراً أن يستغرق حياة النبي كلها وأن يشغله عن كل شيء غيره .. ولكنه لم يستغرق من حياة النبي إلا بعضها بل أقلها وأنه أنفق سائر حياته ناشراً الدين الله معلماً للمؤمنين والمسلمين مبيناً لهم حقائق دينهم ومرشدًا لهم إلى ما يجب عليهم وما لا ينبغي لهم في مسيرتهم من خطير الأمر ويسيره ..

## **غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم**

كانت غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم كلها بعد الهجرة في مدة عشر سنين فقد غزا صلى الله عليه وسلم سبعاً وعشرين غزواً قاتل في تسع منها وهي :

بدر ، أحد ، الخندق ، قريظة ، بني المصطلق(المريسع) ، خيبر ، فتح  
مكة ، حنين ، الطائف .. ١

وقد جُرِحَ النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةِ أَحَدِ .. وَتَحصَنَ فِي  
غَزْوَةِ الْأَحْزَابِ بِالْخَنْدَقِ الَّذِي أَشَارَ بِهِ عَلَيْهِ سَلَمَانُ الْفَارَسِيُّ وَنَزَّلَتِ  
الْمَلَائِكَةُ يَوْمَ الْخَنْدَقِ (الْأَحْزَابِ) فَزَلَّتِ الْمُشْرِكِينَ وَهَزَّمُتْهُمْ فَفَرَوْا  
هَارِبِينَ ..

وَغَزَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ غَزْوَتَيْنِ فِي رَمَضَانِ ..  
قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ غَزَوْنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي  
رَمَضَانَ غَزْوَتِيْ بَدْرٍ وَيَوْمَ الْفَتْحِ (فَتْحُ مَكَّةَ) فَأَفْطَرْنَا فِيهِمَا

---

وَسَنَحَاوْلُ فِي الصَّفَحَاتِ التَّالِيَّةِ إِلَقاءَ الضَّوءِ عَلَى الْغَزَوَاتِ التِّسْعِ الَّتِي  
قَاتَلَ فِيهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دَاعِينَ اللهَ سَبَّحَاهُ وَتَعَالَى أَنْ  
يَلْهُمَا الرَّشْدَ وَالتَّوْفِيقَ إِنَّهُ نَعَمُ الْمَوْلَى وَنَعَمُ النَّصِيرِ ..  
غَزْوَةُ بَدْرٍ

تعتبر غزوَةُ بَدْرٍ أَهْمَمُ وأَعْظَمُ معارِكِ الإِسْلَامِ ضِدِّ الشَّرِّ ..  
فِيهَا التَّقْيَى الظَّلَامُ بِالنُّورِ وَالْكُفُرُ بِالإِيمَانِ وَالْبَاطِلُ بِالْحَقِّ ..  
وَقَعَتْ هَذِهِ الْغَزَوَةُ فِي السَّابِعِ عَشَرَ مِنْ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَّةِ مِنِ  
الْهِجْرَةِ .. وَنَصَرَ اللهُ الْمُسْلِمِينَ نَصْرًا عَظِيمًا رَغْمًا عَلَى قَلَّةِ عَدِّهِمْ فَقَدْ كَانُوا

---

(١) الإمام ابن الجوزي ، صفة الصفة ، مكتبة الإيمان ، المنصورة ، مج ١، ط ١  
١٤١٩ - ١٩٩٩ ج ١ ، ص ٧٥

ثلاثمائة مقاتل من المهاجرين والأنصار أو أكثر قليلاً بينما بلغ جيش  
المشركين ما يفوق الألف مقاتل بعثادهم وخيوتهم ..

---

سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أبي سفيان بن حرب مقبلاً من الشام في عير لقريش فيها أموال وتجارة من تجارتهم فندب المسلمين لاعتراضها وقال لهم :

"هذه عير قريش فيها أموالكم فاخرجوا إليها لعل الله يرزقكم ما تحمله من بضائع وسلع" .. ذلك أن المسلمين قد تركوا أموالهم بمكة وفروا بأنفسهم مهاجرين فصادرتها قريش منهم ..

وكان أبو سفيان حين دنا من الحجاز يتحسس الأخبار فعلم أن محمداً قد استفر أصحابه له ولغيره فحزن عند ذلك فبعث بأحد رجاله إلى مكة ليستقر قريشاً إلى أموالهم ويخبرهم أن محمداً قد عرض لهم في أصحابه ..

فلما وصل قريش الخبر تجهزوا سراعاً .. وكانوا بين رجلين إما خارج وإما باعث مكانه رجلاً ، ولم يختلف من أشراف قريش إلا أبو لهب بن عبد المطلب ومضت قريش حتى نزلوا بالعدوة القصوى من الوادي .. وأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر عن قريش بمسيرهم ، فاستشار الناس وأخبرهم عن قريش .. فقام أبو بكر الصديق فقال وأحسن ثم قام عمر بن الخطاب فقال وأحسن ثم قام المقداد بن عمرو فقال : يا رسول الله امض كما أراك الله فنحن معك ، والله لا نقول لك

كما قالت بنو إسرائيل لموسى «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا ها هنا  
قاعدون » ١

ولكن اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون ، فوالذي بعثك بالحق  
لو سرت بنا إلى برك الضماء لجادلنا معك من دونه حتى تبلغه .. فقال  
رسول الله صلى الله عليه وسلم خيراً ودعاه ..  
ثم قال صلى الله عليه وسلم : "أشيروا علي أيها الناس " وإنما يريد  
الأنصار

ذلك أنهم حين بايعوه بالعقبة قالوا : يا رسول الله إنا براء من ذمامك  
حتى تصل إلى ديارنا ، فإذا وصلت إلينا فأنت في ذمتنا نمنعك مما  
نمنع منه أبناءنا ونساعنا ، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخوف  
الآتون الأنصار ترى عليه نصره إلا من دهمه بالمدينة من عدوه ،  
وان ليس عليهم أن يسير بهم إلى عدو من بلادهم ، فلما قال ذلك رسول  
الله صلى الله عليه وسلم

قال سعد بن معاذ : والله لكانك تريدين يا رسول الله ؟

قال صلى الله عليه وسلم : "أجل "

قال سعد : لقد آمنا بك وصدقناك ، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق ،  
وأعطيتك على ذلك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة ، فامض يا  
رسول الله لما أردت ، فتحن معك ، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت  
بنا البحر فخطته لخضناه معك ما تخلف منا رجل واحد ، وما نكره أن

---

( ١ ) سورة المائدة - آية ٢٤

تلقى بنا عدونا غدا .. إننا لصبر في الحرب ، صدق في اللقاء ، لعل الله يريك منا ما تقر به عينيك ، فسر بنا على بركة الله ..  
فسر رسول الله صلى الله عليه وسلم لقول سعد ثم قال صلى الله عليه وسلم :

"سيروا وأبشروا فإن الله تعالى قد وعدني إحدى الطائفتين ، والله لكأني الآن أنظر إلى مصارع القوم "  
وخرج المسلمون وتذلوا في مكان قريب من بدر ..  
قال الحباب بن المنذر لرسول الله صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله أرأيت هذا المنزل منزلًا أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه أم هو الرأي وال الحرب والمكيدة ؟

قال صلى الله عليه وسلم : " هو الرأي وال الحرب والمكيدة  
قال الحباب : فإن هذا ليس بمنزل فانهض بالناس حتى نأتي أدنا ماء من القوم فننزله ، ثم نغور ما وراءه من القلب ثم نبني عليه حوضا فنملؤه ماء ثم نقاتل القوم فتشرب ولا يشربون ..  
قال صلى الله عليه وسلم : " لقد أشرت بالرأي "  
فنهض رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من الناس فسار حتى إذا أتى أدنى ماء من القوم نزلوا عليه .. وبنوا حوضا فملئ ماء فقذفوا فيه الآنية ..  
و قبل أن يلتقي الجيشان كان أبي سفيان قد نجا بالغير ..

## **بناء العريش للرسول صلى الله عليه وسلم**

وقد رُوي أن سعد بن معاذ قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم " يا نبِيَ الله ألا نبني لك عريشا تكون فيه .. فاثنَى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم خيرا ودعا له بخير .. ثم ثَنَى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عريش فكان فيه ..

وأقبلت قريش .. فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيانتها وفخرها تحادك وتذم رسولك ،

" اللهم فنصرك الذي وعدتني ، اللهم أهلكهم الغداة "

## **التقاء الفريقين**

وكان ذلك يوم الجمعة صبيحة سبع عشر من شهر رمضان في السنة الثانية من الهجرة ..

## **الرسول يناشد ربه النصر**

نظم رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفوف ورجع إلى العريش فدخله ومعه فيه أبو بكر الصديق ، ورسول الله صلى الله عليه وسلم يناشد ربه ما وعده من النصر ويقول : " اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد .. "

وأبو بكر يقول : يا نبِيَ الله إن الله منجز لك ما وعدك ..

وقد خفَق رسول الله صلى الله عليه وسلم خفقة وهو في العريش ، ثم انتبه فقال : أبشر يا أبا بكر ، أتاك نصر الله .. هذا جبريل آخذ بعنان

فرس يقوده ، على ثنياه النقع .. لقد أنزل الله عز وجل مدادا من الملائكة عونا لل المسلمين المجاهدين يثبتونهم ويلقون في قلوب الذين كفروا الرابع ..

### أول شهيد من المسلمين

رمي مججع مولى عمر بن الخطاب بسهم فقتل فكان أول قتيل من المسلمين ثم رمي حارثة بن سراقة أحدبني عدي بن النجار وهو يشرب من الحوض بسهم فأصاب نحره فقتل ..

### تحريض المسلمين على القتال

ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الناس فحرضهم وقال : "والذي نفس محمد بيده لا يقتلهم اليوم رجلا فيقتل صابرا محتسبا مقبلا غير مدبر إلا أدخله الله الجنة" وكان في يد عمير بن الحمام تمرات يأكلهن فقال بخ بخ '

أفما بيني وبين أن أدخل الجنة إلا أن يقتلني هؤلاء ، ثم قذف التمرات من يده ، وأخذ سيفه يقاتل القوم حتى قتل ..

وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم حفنة من الحصباء فاستقبل قريشا بها ثم قال شاهت الوجوه ثم نفحهم بها ، وأمر أصحابه فقال شدوا .. وكان النصر للMuslimين ..

---

( ١ ) كلمة نقل في حالة الإعجاب

وقد رُوي عن ابن عباس أن النبي صلَّى الله عليه وسلم قال لأصحابه يوم بدر إني قد عرفت أن رجالاً من بنى هاشم وغيرهم قد أخرجوا كرهاً ولا حاجة لهم بقتالنا فمن لقي منكم أحداً من بنى هاشم فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله فإنه إنما أخرج مستكرها ..

### قتل أمية بن خلف وأبا جهل ( عمرو بن هشام )

وكان مع المشركين في المعركة أمية بن خلف وابنه ، وكان هو الذي يعذب بلا مكمة فيخرجه إلى رمضان مكة إذا حميَّت فيضجعه على ظهره ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على صدره ثم يقول : لا تزال هكذا أو تفارق دين محمد .. فيقول بلال : أحد أحد ..

فلم يأْرِي بلال أمية بن خلف قال : رأس الكفر أمية بن خلف ، لا نجوت إن نجا ، قال أمية : أنسمع يا ابن السوداء .. قال : لا نجوت إن نجا ، ثم صرخ بأعلى صوته يا أنصار الله ، رأس الكفر أمية بن خلف لا نجوت إن نجا .. وأحاطوا بأمية وابنه فقتلواهما ..

ووجد عبد الله بن مسعود أبا جهل بأخر رمق فوضع رجله على عنقه وقال له : هل أخزاك الله يا عدو الله ؟

قال : وبما أخزاني فلست إلا رجلاً قتله قومه .. ثم قال : أخبرني لمن الدائرة اليوم

قال ابن مسعود : الله ولرسوله .. قال أبو جهل : لقد ارتقى مرتفقى صعباً يا رويعي الغنم .. فرد عليه : لقد أخزاك الله يا عدو الله .. ثم

اجترز رأسه وجاء بها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : يا رسول الله هذا رأس عدو الله أبي جهل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " لا إله إلا الله " وقتل من مشركي مكة نفر كثير وناحت قريش على قتلاهم ..

### الرجوع إلى المدينة

ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم قافلا إلى المدينة ومعه الأسرى من المشركين .. ونزل قوله تعالى « ولقد نصركم الله ببدر وأنتم أذلة فاتقوا الله لعلكم تشكرون » ١

ونزلت سورة الأنفال تشرح بعض مواقف هذه الغزوة وكيفية توزيع الغنائم ..

### غزوة أحد

زحفت قريش برجالها ونسائها في شوال من السنة الثالثة من الهجرة وبكل من قدرت على تأليبه والإتيان به ، وسارت بقيادة أبي سفيان بن حرب زعيمها - بعد هلاك أبي جهل - إلى المدينة ، وذلك للانتقام من قتلاهم في بدر ..

ودعا جبير بن مطعم غلاما له حبشا يقال له وحشي يقذف بحربة له كلما يخطئ بها ، فقال له أخرج مع الناس فإن أنت قتلت حمزة عم محمد فأنت عتيق ..

---

( ١ ) سورة آل عمران - آية ١٢٣

وبلغ النبي صلى الله عليه وسلم الخبر فاستشار أصحابه في الخروج إلى المشركين لقتالهم خارج المدينة أو البقاء في المدينة وقتالهم داخلها وكان رأيه لا يخرجوا من المدينة وأن يتحصنوا بها فإن دخلوها قاتلهم المسلمون ، ووافق على هذا الرأي عبد الله بن أبي فبادر جماعة من الصحابة ومن فاته الخروج يوم بدر وأشاروا على رسول الله صلى الله عليه وسلم بالخروج والدوا على في ذلك .. وأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم برأي أصحابه ، وخرج لملأقة قريش ..

وساروا حتى إذا كانوا بالشوط بين المدينة وأحد انخذل عنهم عبد الله ابن أبي بثت الناس ، وكان رأيه – لعنه الله – عدم الخروج مثل رأي النبي صلى الله عليه وسلم فلذا قال : أطاعهم وعصاني ، لا ندري علام نقتل أنفسنا هنا أيها الناس ؟!

وحاول أحد الصحابة أن يتشيهم عن الرجوع ولا يخذلوا قومهم ونبيهم فاستعصموا وأبوا إلا الانصراف .. فقال صلى الله عليه وسلم :

" أبعدكم الله – أعداء الله – فسيغنى الله عنكمنبيه "

وسار رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن معه من المؤمنين حتى نزلوا بالشعب من أحد ، وجعل ظهره بجبل أحد .. واستعرض الرسول الجيش ونهى الناس عن القتال حتى يأمرهم بذلك .. واستعمل على الرماة عبد الله بن جبير وأمره وأصحابه أن يلزموا مراكزهم ولا يفارقونها ولو رأوا الطير تتخطف العسكر ، وكانوا خلف الجيش وأمرهم أن ينضحوا المشركين بالنيل لئلا يأتوا المسلمين من ورائهم ..

وشدد على لا يبرح الرماة أماكنهم مهما يكن من أمر فليظلوا في أماكنهم حتى يتلقوا أمراً آخر من رسول الله صلى الله عليه وسلم أو من سيخلفه إن هو استشهد في المعركة ، وأعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم اللواء إلى مصعب بن عمير ..

ودارت رحى المعركة واستعرت نارها وتاجج لهيبها .. وكان حمزة بن عبد المطلب فيها أسدًا يهدى أثر الرجال هذا ، وكان وراءه وحشى غلام جبير بن مطعم يترصد له الفرصة فدفع بحربته إلى حمزة فلرده قتيلاً .. قُتل حمزة الجسور النبيل الرائع .. وهنا أخذ وحشى حربته وتنحى إلى المعسكر بعد أن حقق ما أراد ولم تكن له حاجة في غيره .. ولما قدم مكة أعتقه جبير بن مطعم ..

وقُتل مصعب بن عمير حامل اللواء فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب .. وتقى على باللواء وهو يقول أنا أبو القصيم فناداه أبو سعد بن أبي طلحة - وهو صاحب لواء المشركين - قائلًا : هل لك يا أبو القصيم في البراز من حاجة ؟

قال علي : نعم .. فبرز بين الصفين فاختلفا ضربتين .. فضربه علي فصرعه ..

والنقى حنظلة بن أبي عامر الأنصاري وأبو سفيان فلما استعلاه حنظلة رأه شداد بن الأسود وقد علا أبو سفيان فضربه شداد فقتله ..

فقال صلى الله عليه وسلم : " إن صاحبكم - يعني حنظلة - لغسله الملائكة ، سلوا امراته ما شأنه ؟ " فسألت زوجته عنه فقالت : خرج

وهو جنب حين سمع صوت الجهاد .. فقال صلى الله عليه وسلم لذلك  
غسلته الملائكة ١

وكان النصر لل المسلمين - وانهزم الكفار وولوا مدبرين - فلما رأى  
الرماء ذلك تركوا مراكزهم الذي أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم  
بحفظها ظنا منهم أن المعركة قد انتهت .. وقالوا : يا قوم .. الغنيمة ..  
الغنيمة فذكرهم أميرهم عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يسمعوا  
وظنوا أن ليس للمشركين رجعة فذهبوا في طلب الغنيمة وأخلوا التغر .  
وكر فرسان المشركين فوجدوا التغر خاليا قد خلا من الرماء فجازوا  
منه وتمكنوا حتى أقبل آخرهم فأحاطوا بال المسلمين ، فاكرم الله من أكرم  
منهم بالشهادة .. وخلص المشركون إلى رسول الله صلى الله عليه  
وسلم فجرحوا وجهه وكسروا رباعيته ورموه بالحجارة حتى سقط في  
حفرة من الحفر ، فأخذ علي بيده واحتضنه طلحة بن عبيد الله ، ونشبت  
حلقتين من حلق المغفر في وجهه الظاهر ، فانتزعهما أبو عبيدة بن  
الراح وغض عليهما حتى سقطت شتياه من شدة غوصهما في وجه  
رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وسال الدم على وجهه الشريف  
وجعل يمسح الدم وهو يقول : "كيف يفلح قوم خضبوا وجه نبيهم وهو  
يدعوهم إلى ربهم " فأنزل الله عز وجل في ذلك قوله ﴿ليس لك من  
الأمر شئ أو يتوب عليهم أو يعذبهم فإنهم ظالمون﴾ ٢

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٣ ، ص ١٧

(٢) سورة آل عمران - آية ١٢٨

ويصرخ الشيطان قائلًا : إن محمد قد قُتل ..  
وألقى رجال سلاحهم من أيديهم وبقوا واقفين حيال مدهوشين ..  
منهم عمر وطلحة .. فاتاهم أنس بن النضرير - عم أنس بن مالك -  
قال لهم ما يحبسكم ؟ قالوا : قُتل محمد صلى الله عليه وسلم .. فقال :  
فماذا تصنعون بالحياة بعد ؟ موتوا على ما مات عليه ثم استقبل  
المشركين فقاتل حتى قُتل فوجد به سبعين ضربة وطعنة ولم يعرفه إلا  
أخته عرفته ببناته ..

وكان أول من عرف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حي لم يقتل  
كعب بن مالك فنادى بأعلى صوته يا معاشر المسلمين أبشروا هذا  
رسول الله لم يقتل .. وتاب إليه رجال وقاتلوا دونه حتى جاء أبي بن  
خلف يصرخ في نجوت إن نجا - أي محمد صلى الله عليه وسلم -  
وهو يتقدم نحو النبي صلى الله عليه وسلم ..  
فتناول الرسول صلى الله عليه وسلم حربة من يد أحد أصحابه وطعنه  
بها فخار كما يخور الثور ، ومات بها في طريقه إلى مكة ..  
وارتفع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى الصخرة حيث يوجد بعض  
أصحابه وجاء أبو سفيان يحاول الوصول إلى أصحاب الصخرة في  
سفح أحد فردوه خاسدا خائبا ..

وانتهت المعركة وكانت درسا قاسيا لل المسلمين ومتّلت هند بنت عتبة  
امرأة أبي سفيان بالقتلى وبقررت بطر حمزة ولاكت كبده ..

وانصرف أبو سفيان ومن معه عائدين إلى مكة فرّوا مدبرين حرصاً على نصرهم الهزيل متذرين بأنهم سيهاجمون المسلمين في مثل هذه الأيام من العام القادم ..

ثم بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علي في أثرهم وقال له انظر فإن جنوباً الخيل وامتطوا الإبل فإنهم يريدون مكة ، وإن ركبوا الخيل فإنهم يريدون المدينة ، فوالذي نفسي بيده لئن أرادوا ها لأننا جزئهم ..  
فخرج علي في أثرهم فوجدهم قد جنوباً الخيل وامتطوا الإبل ، فرجع يصبح ما استطاع أن يكتم الخبر من شدة الفرح

ونظر الرسول صلى الله عليه وسلم في القتلى فرأى من بينهم عمه حمزة بن عبد المطلب وقد بقر بطنـه عن كبدـه ومثلـ به فقال صلى الله عليه وسلم حين رأه : " لو لا أن تحزن صافية أو تكون سنة لتركـته حتى يكون في أجوابـ السبـاع وحوالـ الطـير ، ولئـن أظـهرـني الله على قريـش لأـمـثلـ بـثلاثـين رـجـلاـ منـهـ "

وقال المسلمين لمثلـ بهـم .. فـأنـزلـ اللهـ تعـالـى « وإنـ عـاقـبـتـمـ فـعـاقـبـيوـاـ بمـثـلـ ماـ عـوـقـبـتـمـ بـهـ ولـئـنـ صـبـرـتـمـ لـهـ خـيـرـ للـصـابـرـيـنـ » ١  
فعـارـسـولـ اللهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـصـحـبـهـ ، وـنـهـىـ الرـسـوـلـ عـنـ المـتـلـةـ ..

---

( ١ ) سورة النحل - آية ١٢٦

وهم رجال بحمل قتلاهم ليدفنوهم بالمدينة فامر رسول الله صلى الله عليه وسلم بدفنهم حيث صرعوا ، وامر أن يدفن الاثنان والثلاثة في القبر الواحد ، وان يقتم إلى القبلة أكثرهم قرآنا .. وصلى عليهم ..  
وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إلى المدينة فدخلوها مساء يوم المعركة ..

وانصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم يدبر شؤون المدينة بعد المحن ..

قال محمد بن كعب القرطبي : لما رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة بعد غزوة أحد وقد أصيروا قال بعضهم لبعض من أين أصابنا هذا ، وقد وعدنا الله النصر !! فنزل قوله تعالى « ولقد صدقكم الله وعده إذ تحسونهم يا ذنه حتى إذا فشلتكم وتتزأتم في الأمر وعصيتم من بعد ما أراكما ما تحبون . منكم من يريد الدنيا ومنكم من يريد الآخرة ثم صرفكم عنهم ليبيتكم ولقد عفا عنكم والله ذو فضل على المؤمنين » ١ تحسونهم : تقتلونهم

ونذلك أنهم قتلوا صاحب لواء المشركين وبسبعة نفر منهم بعده على اللواء ، وكان الظفر ابتداء للمسلمين غير أنهم اشتغلوا بالغزيمة وترك بعض الرماة أيضا مركزهم طلبا للغزيمة فكان ذلك سبب الهزيمة ..

وعن عروة بن الزبير قال : وكان الله عز وجل وعدهم على الصبر والتقوى أن يمدهم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين .. وكان قد فعل ،

---

( ١ ) سورة آل عمران - آية ١٥٢

فلما عصوا أمر الرسول وتركوا مصافهم وترك الرماة عهد الرسول  
الا يبرحوا من منازلهم وأرادوا الدنيا رفع الله عنهم مدد الملائكة  
فصدق الله وعده وأراثم الفتاح فلما عصوا أي خالفوا أمر الرسول في  
الثبوت أعقبهم البلاء .. ١

---

وقيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم عقب غزوة أحد : لو دعوت  
عليهم ؟

قال صلى الله عليه وسلم : " إني لم أبعث لعانا ولكنني بعثت داعيا  
ورحمة ، اللهم ارحمهم "

وذلك لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد عُرف بالحلم والعفو ، ولم  
يكن هذا أمرا فطريا فحسب ، بل مجاهدة لإنفاذ توجيهات الوحي الإلهي  
له ( واصبر على ما أصابك ) .. ( فاصبر كما صبر أولو العزم من  
الرسل ) ..

### غزوة الأحزاب ( الخندق )

كانت غزوة الخندق في شهر شوال سنة خمس من الهجرة .. ونزلت في  
أحداثها سبع عشرة آية من سورة الأحزاب ..

خرج نفر من اليهود حتى قدموا مكة فدعوا قريشا إلى حرب رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ووعدوهم بأنهم سيكونون معهم ضد رسول الله  
صلى الله عليه وسلم حتى يستأصلوه .. ووجدوا قريشا مستعدة لذلك من

---

( ١ ) نقشير القرطبي ، ج ٤ ، ص ٢٣٣ - ٢٣٧

أجل الهزائم التي لحقتها ، وضلالها اليهود إذ قالوا لهم إنهم على حق  
وأن دينهم خير من دين محمد ..

كما ذهبت اليهود - لعنهم الله - إلى بعض القبائل فدعوهם إلى حرب  
رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبروهم بأنهم وقريش سيكونون  
معهم ..

وخرجت قريش وقادتها أبو سفيان بن حرب واليهود ومن استجاب لهم  
من القبائل ..

فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما أجمع عليه الكفار  
في حربه ، دعى الناس وأخبرهم بخبر عدوهم ، وشاورهم في الأمر ،  
فأشار عليه سلمان الفارسي بالخندق يُحفر حول جبل سلع تكون ظهور  
المسلمين إلى جبل سلع ووجوههم إلى الخندق فيمنعون كل مقتעם  
للخندق يريد الوصول إليهم ، واجتمعت الكلمة على حفر الخندق وأخذ  
المسلمون يحفرون ومعهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يحفر معهم .  
وتنافس الناس يومها في سلمان الفارسي فقال المهاجرون سلمان منا ،  
وقالت الأنصار هو منا ونحن آخرته ( أي هم آخر من نزل عليهم بعد  
طوافه في بلاد الله ) فقال صلى الله عليه وسلم : " سلمان منا أهل  
البيت " ١

---

( ١ ) اقرأ سيرة سلمان الفارسي وطوافه في بلاد الله بحثاً عن الحقيقة في كتابنا  
( مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم ) ، ص ٢٧١ - ٢٨٤

## آيات ظهرت أثناء حفر الخندق

وتجلت أثناء حفر الخندق آيات النبوة المحمدية .. ذلك أن كذبة اشتئت عليهم أثناء الحفر فشكواها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فدعا بإثناء من ماء ثم دعا بما شاء الله أن يدعوه به ثم نضج ذلك الماء على تلك الكذبة فيقول من حضرها ، فوالذي بعثه بالحق نبيا لأنها لاتنال حتى تفتق وآية أخرى من بركات النبوة ، أن إحدى سيدات المدينة بعثت بابنتها بحفنة من تمر إلى أبيها وخالها عبد الله بن رواحة فقابلت رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخذ منها التمر ثم أمر بثوب فيسط له ثم دحى بالتمر عليه فتبعد فوق الثوب .. دعا أهل الخندق إلى الغداء فاجتمعوا عليه وجعلوا يأكلون منه ، وجعل يزيد حتى صدر أهل الخندق عنه وأنه ليسقط من أطراف الثوب ..

وقال جابر بن عبد الله عمنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الخندق .. وكانت عندي شاه غير كاملة الدسم ، فقللت والله لوضعنها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأمرت امرأتي فطحنت لنا شيئاً من شعير فصنعت لنا منه خبزاً ، وذبحت لنا تلك الشاه فشوينها لرسول الله صلى الله عليه وسلم .. فلما أمسينا وأراد رسول الله الانصراف عن الخندق قلت يا رسول الله إني قد صنعت لك شويهة كانت عندنا وصنعنا معها شيئاً من خبز الشعير فأحب أن تصرف معي إلى منزلي - وأريد أن ينصرف معي رسول الله وحده - فلما قلت له ذلك قال

صلى الله عليه وسلم نعم ثم صرخ في القوم أن انصرفوا معي إلى بيت  
جاير بن عبد الله .. قلت في نفسي : إنا لله وإنا إليه راجعون  
فأقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأقبل الناس معه .. فجلس ..  
وحنّنا بالشاة إليه .. فسمى الله ثم أكل وتواردها الناس .. كلما فرغ قوم  
قاموا وجاء ناس حتى صدر أهل الخندق عنها ..  
والآية الكبرى أثناء حفر الخندق هي رؤية الفتح ..

قال سلمان الفارسي إني ضربت في ناحية من الخندق فغلظت علي  
صخرة ورسول الله صلى الله عليه وسلم قريب مني فلما رأي أضرب  
ورأى شدة المكان علي نزل فأخذ المعول من يدي ، فضرب به ضربة  
لمعت تحت المعول برقة ، ثم ضرب به ضربة أخرى فلمعت تحته  
برقة أخرى ، ثم ضرب به الثالثة فلمعت تحته برقة أخرى .. قلت لأبي  
وامي أنت يا رسول الله ، ما هذا الذي رأيت لمع تحت المعول وأنت  
تضرب .. قال صلى الله عليه وسلم : " أو قد رأيت ذلك يا سلمان ؟ "  
قلت : نعم .

قال صلى الله عليه وسلم : " أما الأولى فإن الله فتح على بها اليمن ،  
واما الثانية فإن الله فتح على بها الشام والمغرب ، وأما الثالثة فإن الله  
فتح على بها المشرق ..

وروى عن أبي هريرة أنه كان يقول حين فتحت هذه الأمصار في  
زمان عمر وزمان عثمان وما بعدهما افتحوا ما بدا لكم فوالذي نفس

أبي هريرة بيه ما افتحتكم من مدينة ولا تفتحونها إلى يوم القيمة إلا وقد أعطى الله سبحانه وسنه صلى الله عليه وسلم مفاتيحها قبل ذلك ..

## عبر الخندق

تحركت خيل من قريش على رأسها عمرو بن عبد و وقفوا على الخندق ..

فلما رأوه قالوا والله إن هذه لمكيدة ، ما كانت العرب تكيداها .. ثم قصدوا إلى مكان ضيقا من الخندق فضرروا خيالهم فاقتصرت منه .. وما أن رأهم المسلمون حتى خرج علي بن أبي طالب في نفر معه من المسلمين ووقفوا بينهم وبين الثغرة التي دخلوا منها بخيالهم .. وقال عمرو بن ود : من يبارز - فبرز له علي بن أبي طالب وقال : يا عمرو .. إنك كنت عاهدت الله لا يدعوك رجل من قريش إلى خلتين إلا أخذتهما منه

قال له : أجل

قال علي : إني أدعوك إلى الله وإلى رسوله وإلى الإسلام ..  
قال : لا حاجة لي بذلك .

قال علي : فإني أدعوك إلى النزال  
قال له : يا ابن أخي .. فوإله ما أحب أن أقتلك  
قال علي : ولكن والله أحب أن أقتلك

ف humilié عمرو عن ذلك فاقتصر عن فرسه فعقره وضرب وجهه ، ثم أقبل على علي فتاز لا .. فقتلته علي رضي الله عنه ..

ولما رأت خيل المشركين ذلك فرت هاربة متهمة الخندق .. ولم يقدروا  
بعد هذه الجولة أن يقتسموا الخندق لا رجالا ولا فرسانا ..

---

و هب الريح العاتية فجأة فاعتصم المسلمون منها وراء أسوار المدينة  
ولكنها دكت معسكر الأحزاب واقتلت كثيرا من الخيام وقلبت كل شئ  
والسام يبلغ أوجهه !!

وقف أبو سفيان يصرخ وعواء الريح يغمر صوته ..  
يا عشر قريش .. إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام ! لقد هلك الخيل  
والإبل وأخلفتنا بنو قريظة ، وبلغنا عنهم الذي نكره ، ولقينا من شدة  
الريح ما نترون ، ما تطمئن لنا قدر ، ولا تقوم لنا نار ، ولا يستمسك لنا  
بناء فارتلوا فبني مرتحل .. وقام إلى جمله فركبه ..  
انسحبت قريش .. وانسحبت وراءها غطfan والأحزاب .. والريح تثير  
من ورائهم الرمال وتحجبهم عن العيون .. وهم يضربون في الصحراء  
الرعوس منكسة .. والأجسام تحني تحت وطأة الإحساس العقيم بالخيبة  
وارتفعت من معسكرات المسلمين صرخات النصر ..  
وقف رسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر في وجوه الناس من حوله  
وهو لا يكاد يصدق نفسه !! كيف نجت المدينة من هذا الحصار ..  
كيف انتهزم أمامها كل هذا الحشد من أقوى الفرسان والمحاربين في  
الجزيرة العربية ..

لن يقووا على أن يجمعوا مثل هذا العدد مرة أخرى .. ولن يغلبوا المسلمين أبدا ..

اذن فقد نجا رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابه بفضل الله وبدعائه صلى الله عليه وسلم وإنها لهيبة جديدة تلك التي تنتظره منذ اليوم .. ووقف رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " الحمد لله .. نصر عبده .. وأيد جنده .. وهزم الأحزاب وحده لن تغزوكم قريش أبدا بل تغزوهم أنتم وتدخلون مكة وتحطمون أصنام الكعبة "

وتهيا المسلمين للعودة إلى ديارهم في المدينة تهز أعطافهم كبراءة النصر فوضعوا السلاح وانصرفوا عائدين إلى المدينة ١

غزوة بنى قريظة  
نقض بنو قريظة عهدهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وانضموا إلى معسكر المشركين المحاصرين للمدينة في غزوة الأحزاب ..  
وبعد أن انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم والmuslimون عن الخندق وعادوا إلى المدينة ووضعوا السلاح .. جاء جبريل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : أو قد وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال صلى الله عليه وسلم : نعم

قال جبريل : فما وضع الملائكة السلاح بعد .. إن الله عز وجل يأمرك يا محمد بالمسير إلى بنى قريظة فإني عاقد إليهم فمزلزل بهم ..

---

( ١ ) عبد الرحمن الشرقاوي ، محمد رسول الحرية ، دار الشعب ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٣٠٣ - ٣٠٤

واستجاب الرسول صلى الله عليه وسلم لأمر ربه تعالى فامر علي بن أبي طالب أن يتقدم برايته إلىبني قريظة لمعرفة أحوالهم وما هم عليه ثم أمر مؤذنا فأذن في الناس من كان ساما مطينا فلا يصلين العصر إلا فيبني قريظة ..

وخرج الناس .. وحانت صلاة العصر فمنهم من صلاتها في طريقه ومنهم من لم يصلها حتى دخل الليل .. ولم يعب النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى ولا على من أخر إذ الكل عامل بطاعته ..

وقدم علي بن أبي طالب برايته إلىبني قريظة حتى إذا دنا من الحصون سمع منها مقالة قبيحة لرسول الله ، فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم بالطريق فقال له : يا رسول الله لا عليك إلا تدنو من هؤلاء الأخبيث

قال صلى الله عليه وسلم : لم .. أظنك سمعت منهم لي أذى ؟  
قال : نعم يا رسول الله ..

قال صلى الله عليه وسلم : "لو رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً"  
فلما دنا رسول الله صلى الله عليه وسلم من حصونهم قال : "يا إخوان القردة ، هل أخذتكم الله وأنزلت بكم نعمته " قالوا : يا أبا القاسم ما كنت جهولاً

وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمساً وعشرين ليلة حتى  
جهدتهم الحصار وقدف الله في قلوبهم الرعب ..

وعندما جدهم الحصار وأيقنوا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم .. قال كعب بن أسد أحد أشرافهم : يا معاشر يهود قد نزل بكم من الأمر ما ترون وإنني عارض عليكم خلالاً ثلاثة فخذوا أيها شئتم .. قالوا : وما هي ..

قال : نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله لقد تبين لكم أنهنبي مرسل وأنه للذى تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائهم ..

قالوا : لا تفارق حكم التوراة أبداً ولا نستبدل به غيره ..

قال كعب : فإن أبيتم على هذه فهلم فلنقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلى محمد وأصحابه رجالاً مُشتتين السيف لم نترك وراءنا تقلاً حتى يحكم الله بيننا وبين محمد ، فإن نهلك نهلك ولم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإن نظهر فلنجدن النساء والأبناء

قالوا : نقتل هؤلاء المساكين ، مما خير العيش بعدهم ؟

قال : فإن أبيتم على هذه فإن الليلة ليلة السبت وإنه عسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمنوا فيها ، فائز لوا علينا نصب من محمد وأصحابه غرة

قالوا : نفسد سبتنا علينا ، ولحدث فيه ما لم يحدث من كان قبلنا إلا من قد علمت فأصابه ما لم يخف عليك من المسوخ

قال : ما بات رجل منكم منذ ولادته ليلة واحدة من الدهر حاز ما

**تحكيم سعد بن معاذ في أمر بني قريظة**  
لما أصبح الصباح أُعلن عن نزول بني قريظة على حكم رسول الله  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فتواثب الأوس وشفعوا لهم وقالوا : يا رسول الله  
انهم موالينا وقد فعلت في موالى إخواننا الخزرج بالأمس ما قد عملت .  
وكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل بني قريظة قد حاصر بني  
قينقاع وكانوا حلفاء الخزرج فنزلوا على حكمه .. وشفع فيهم عبد الله  
بن أبي بن سلول الخزرجي فهو بهم رسول الله له .. فلما كلمته الأوس  
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ألا ترضون يا معاشر الأوس أن يحكم فيهم  
رجال منكم ؟

**قالوا : بلـ يا رسول الله**  
قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : "فادعوا إلى سعد بن معاذ .. وكان سعد قد  
أصيب بسهم في غزوة الخندق فأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن  
يوضع سعد في خيمة رفيدة الإسلامية في مسجده حتى يعوده عن قرب .  
فلما حكمه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بني قريظة أتاه قومه ،  
ثم أقبلوا معه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهم يقولون : يا أبا  
عمرو أحسن في مواليك فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إنما ولاك  
ذلك لتحسين فيهم

**قال سعد : عليكم بذلك عهد الله ومبئاته إن الحكم فيهم لما حكمت**  
**قالوا : نعم**

**قال سعد : وحكمي نافذ فيهم وعلى المسلمين**

قالوا : نعم

قال سعد : وعلى من ه هنا ؟ يشير إلى الناحية التي فيها رسول الله  
صلى الله عليه وسلم وهو معرض عنه إجلالاً وتوقيراً له  
قال صلى الله عليه وسلم : نعم

قال سعد : فإني أحكم فيهم أن تقتل الرجال وتقسم الأموال وتبني  
الذراري والنساء

قال صلى الله عليه وسلم : "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع  
سموات "

وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنفيذ حكم سعد بن معاذ  
فضربت أعناق الرجال وقسمت أموالهم ونسائهم وذرارتهم ..  
ولم يقتل من النساء إلا امرأة واحدة كانت قد طرحت على رأس سويد  
ابن الصامت رحى فقتلت ..

---

وهكذا تخلص الرسول صلى الله عليه وسلم والمسلمون من يهود  
المدينة ..

وكانت غزوة كل طائفة منهم عقب غزوة من الغزوات الكبار كما تقدم  
غزوة بنى قينقاع عقب غزوة بدر ..  
وغزوة بنى النضير عقب غزوة أحد ..  
وغزوة بنى قريظة عقب غزوة الخندق ..

## وفاة سعد بن معاذ

كان سعد قد رُمي بسهم يوم الخندق فعاش بعد ذلك شهراً حتى حُكم في  
بني قريظة ثم مات بعد أن أقرَ الله تعالى عينيه بهلاك بنى قريظة ..  
كما سأله ربه ذلك - فأتى النبي صلَى الله عليه وسلم جبريل وقال له :  
يا محمد من هذا الميت الذي فتحت له أبواب السماء واهتز له عرش  
الرحمن فقام رسول الله صلَى الله عليه وسلم إلى سعد بن معاذ ولحق  
به أبو بكر وعمر فوجدوه قد مات شهيداً متأثراً بجرحه الذي أصيب به  
يوم الخندق .. ١

## غزوة بنى المصطلق

### في شعبان سنة ست من الهجرة

بلغ رسول الله صلَى الله عليه وسلم أنَّ بنى المصطلق يجمعون له بقيادة  
الحارث بن أبي ضرار .. فخرج إليهم ولقيهم على ماء لهم يقال له  
المريسع ..

فتقابل الناس وانتصر رسول الله صلَى الله عليه وسلم وصحابه ..  
وأصاب المسلمون سباياً كثيرةً قسمها الرسول بين المسلمين .. ومن  
بين السبايا جويرية بنت الحارث بن أبي ضرار وقعت في سهم أحد  
الصحابة .. فطلبت جويرية من مالكها أن يكتابها لتحرر فاتت النبي  
صلَى الله عليه وسلم تستعينه على كتابتها ..

---

( ١ ) اقرأ سيرة سعد بن معاذ كاملة في كتابنا مدرسة الرسول ، ص ٢٥٩ - ٢٦٩

فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم : " هل لك في خير من ذلك ؟ "

قالت : وما هو يا رسول الله ..

قال صلى الله عليه وسلم : " أقضى عنك كتابتك وأتزوجك

قالت : نعم يا رسول الله

فتزوجها صلى الله عليه وسلم بعد أن سرد كتابتها

وخرج الخبر إلى الناس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تزوج

بجويرية ..

قالوا : أصهار رسول الله !! كيف نملكون ؟ فاعتقو ما لديهم من سبايا

بني المصطلق وكانوا قد زادوا على المائة ..

وقالت السيدة عائشة : ما أعلم امرأة كانت أعظم بركة على قومها منها

**الفتنة بين المهاجرين والأنصار**

اختلف رجال من المهاجرين والأنصار على الماء فاستجد كل منهما

بقومه ..

قال عبد الله بن أبي : والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها

الاذل ، ثم أقبل على من حضره من قومه فقال لهم : هذا ما فعلتم

بأنفسكم .. أحللتموه ببلادكم وقاسمتموه أموالكم ، أما والله لو أمسكم

عنهم ما بأيديكم لتحولوا إلى غير دياركم .. ويسمع ذلك زيد بن أرقم ..

فمشي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره الخبر وعنه عمر

ابن الخطاب فاستأذن عمر في قتل عبد الله بن أبي

قال صلی الله علیه وسلم : "كيف يأْمُرُ بِالْمُحَمَّدِ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنْ مُحَمَّداً  
يُقْتَلُ أَصْحَابَهِ .. لَا .. وَلَكِنَّ أَذْنَ بِالرَّحِيلِ .. وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ يَكُنْ  
رَسُولُ اللهِ صلی الله علیه وسلم يرتحل فِيهَا .. فَارْتَحَلَ النَّاسُ ..  
وَلَمَّا سَمِعْ عَبْدُ اللهِ بْنُ أَبِي الْخِيرَ جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللهِ صلی الله علیه  
وَسَلَمَ وَحْلَفَ بِاللهِ مَا قَالَ مَا نَقْلَهُ الْغَلامُ وَلَا تَكْلُمْ فِيهِ فَقَالَ الْقَوْمُ يَا رَسُولَ  
اللهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ الْغَلامُ قَدْ أَخْطَأَ ..

### حدیث الإیفاک

وَقَبْلَ أَنْ يَأْذِنَ الرَّسُولُ صلی الله علیه وسلم بِالرَّحِيلِ كَانَتِ السَّيْدَةُ  
عَائِشَةَ قَدْ خَرَجَتْ مِنْ خِيمَتِهَا لِبَعْضِ حَاجَتِهَا .. فَلَمَّا فَرَغَتْ اسْلَمَ عَقْدَهَا  
مِنْ عَنْقِهَا فَأَخْذَتْ تَبْحَثُ عَنْهُ حَتَّى وَجَدَهُ ، وَعَادَتْ إِلَى الرَّحِيلِ فَإِذَا  
الْقَوْمُ قَدْ رَحَلُوا ، وَأَخْذُوا هُودِجَهَا وَهُمْ يَظْنُونَ أَنَّهَا فِيهِ لَخْفَةٌ وَزَنَّهَا  
فَاحْتَمَلُوهُ وَشَدُوا عَلَى الْبَعِيرِ ..

وَبَقِيَتِ السَّيْدَةُ عَائِشَةَ فِي مَكَانِهَا حَتَّى أَقْبَلَ صَفْوَانُ بْنُ الْمَعْطَلِ السَّلَمِيُّ  
فَقَرَبَ بَعِيرَهُ وَقَالَ لَهَا : ارْكُبِي ، وَاسْتَأْخِرْ عَنْهَا حَتَّى رَكِبْتِ وَأَخْذَ  
بِرَأْسِ الْبَعِيرِ حَتَّى وَصَلَّى الْمَدِينَةَ .. فَقَالَ أَهْلُ الْإِیفاکِ مَا قَالُوا ..

وَظَلَّ الرَّسُولُ صلی الله علیه وسلم صَابِراً عَلَى مُضْضٍ لَا يَفْعَلُ شَيْئًا  
أَكْثَرُ مَنْ أَنْ يَرْفَعَ إِلَى السَّمَاءِ رَأْسَهُ يَسْأَلُ رَبَّهُ الْهَدَايَةَ وَيَطْلَبُ مِنْهُ  
الْإِرْشَادَ .. وَقَدْ كَانَ صلی الله علیه وسلم وَاتَّقَا مِنْ أَنَّ اللَّهَ الَّذِي أَيْدَهُ  
بِنَصْرِهِ وَتَوْفِيقِهِ لَنْ يَخْزِيهِ فِي عَرْضِهِ وَأَنَّهُ لَا يَدْ مَظْهَرُ الْحَقِّ وَمَبْطُلُ  
الْبَاطِلِ ..

وتعرضت أم المؤمنين عائشة من البلاء حتى كشف الله عنها وفرح  
كربيها وأنزل الله براعتها من فوق سبع سموات ..  
يقول الله تعالى «إن الذين جاءوا بالآفَك عصبة منكم . لا تحسبوه  
شرًا لكم بل هو خير لكم . لكل امرئ منهم ما اكتسب من الإثم . والذى  
تولى كبره منهم له عذاب عظيم . لو لا إذ سمعتموه ظن المؤمنون  
وأن المؤمنات بأنفسهم خيراً وقائلنَّا هذا إفك مبين . لو لا جاءوا عليه  
بأربعة شهداء فإذا لم يأتوا بالشهادء فأولئك عند الله هم الكاذبون .  
ولولا فضل الله عليكم ورحمته في الدنيا والآخرة لمسكم في ما أفضتم  
فيه عذاب عظيم » ١

وعادت عائشة البريئة الطاهرة إلى بيتها وإلى مركزها الرفيع في  
نفوس المسلمين جميعا ..  
وهكذا هدأت الزوجة .. ونام الشر في مرقده .. وقضى على المؤامرة  
الوضيعة التي أراد بها عبد الله بن أبي سلول أن ينال من رسول الله  
صلى الله عليه وسلم بطعنه في عرضه والنيل من الصديقة بنت  
الصديق ..

وأتى عبد الله بن عبد الله بن أبي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :  
يا رسول الله إني قد بلغني أنك ترید قتل والدي فلن كنت لا بد فاعلا  
فمرني به ، فأنا أحمل إليك رأسه فوالله لقد علمت الخزرج ما كان لها  
من رجل أبى بوالده مني ، وإنى أخشى أن تامر به غيري فيقتله فلا

---

( ١ ) سورة النور - آية ١١ - ١٥

تدعني نفسي أنظر إلى قاتل أبي يمشي في الناس فاقتله ، فقتل مؤمنا  
بكافر فدخل النار ..

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بل نترفق به ونحسن صحبه ما  
بقي معنا ..

وجعل ابن أبي بعد ذلك إذا أحدث الحديث كان قومه هم الذين يعاتبونه  
ويذرونها ويحتقرن تصرفاته .. ويعنونه .. قال صلى الله عليه وسلم  
لعم بن الخطاب حين بلغه ذلك كيف يا عمر ، أما والله لو قتلتة يوم  
قلت لي أقتله لغضب له البعض وأخذتهم الحمية .. هؤلاء لو أمرتهم  
اليوم بقتله لقتلوه ..

قال عمر : قد علمت والله لأمر رسول الله أعظم برقة من أمري ١  
**رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحكام والملوك**  
**في السنة السادسة من الهجرة**

بعد أن قضى النبي صلى الله عليه وسلم على اليهود .. وبعد أن عقد  
صلح الحديبية مع قريش .. كاتب الحكام والملوك يدعوهم إلى الإسلام  
فبعث الرسل تحمل كتبه إلى كل من كسرى ملك الفرس وقيصر ملك  
الروم والنجاشي ملك الحبشة والموقس ملك مصر ..  
والرسل الذين أرسلهم النبي صلى الله عليه وسلم هم :  
دحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم

---

( ١ ) عبد الرحمن الشرقاوي ، الفاروق عمر بن الخطاب ، ص ٢٨ - ٢٩

حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس ملك مصر  
عبد الله بن حذافة إلى كسرى ملك الفرس  
عمرو بن أمية الضرمي إلى النجاشي ملك الحبشة  
شجاع بن وهب إلى الحارث الغساني ملك تخوم الشام  
العلاء بن الحضرمي إلى المنذر بن ساري ملك البحرين .. فأسلم.  
عمرو بن العاص إلى ملك عمان .. فأسلم  
المهاجر بن أبي أمية إلى الحارث الحميري ملك صنعاء .. فأسلم  
أبو موسى الأشعري ومعاذ بن جبل إلى اليمن .. فأسلم عامدة أهل اليمن  
وكتب النبي إلى جبلة بن الأبهم ملك غسان .. فأسلم أولا .. ثم ارتد عن  
الإسلام في خلافة عمر بن الخطاب  
أما النجاشي ملك الحبشة فأسلم وأخذ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم  
فوضعه على عينيه مرحبا بالدعوة  
وأما كسرى ملك فارس فأخذ الكتاب فمزقه وطلب إلى عامله على  
اليمن بازان أن يرسل رجلاً أشداء يأتينه بمحمد ، ولما قدم رسول  
كسرى إلى النبي صلى الله عليه وسلم وأخبروه بالأمر قال لهم : " أبلغوا  
صاحبكم أن ربي قتل كسرى في هذه الليلة "   
يقول الرواية أنه في تلك الليلة قُتل كسرى فعلا على يد ابنه شIROYEH ،  
فأسلم بازان ومن معه باليمن من أبناء فارس ..  
واما قيصر ملك الروم فراد أن يستوثق من أمر هذا النبي ويعرف  
حقيقةه فبعث إلى جماعة من تجار العرب الذين يأتون الشام فأحضرهم

وكان فيهم أبو سفيان بن حرب قبل إسلامه .. ووجه إليه قيصر أسئلة  
كثيرة يتحرج منها عن صفة رسول الله وأخلاقه وقومه وما يدعوه إليه ..  
فتأكد من الإجابات على أسئلته أنه رسول الله حقاً ورغم في الإسلام ،  
ولكنه عندما عرض الأمر على من عنده من عظماء الروم رفضوا ذلك  
ولم يقبلوا ترك دينهم .. وجراهم قيصر على رأيهم ظاهراً خوفاً على  
عرشه ..

أما الحارث الغساني فقرأ كتاب النبي صلى الله عليه وسلم ثم رمى به  
وعزم على أن يسير بجيشه إليه فيقاتله ، وكتب بذلك إلى قيصر ملك  
الروم فأمره لا يفعل ..

### غزوة خيبر في السنة السابعة للهجرة

كانت خيبر مصدر قلق مستمر على المسلمين وكانت آخر معاقل اليهود  
وكان منيعة الحصون ..

خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة في المحرم من السنة  
السابعة للهجرة ودفع الراية إلى علي بن أبي طالب .. وسار الركب  
المبارك حتى أشرف على خيبر فقال صلى الله عليه وسلم لأصحابه  
قفوا فوقوا ، ثم دعا الله قائلاً :

" اللهم رب السموات وما أطللن ، ورب الأرضين وما أقللن ، ورب  
الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما أذرین .. فإننا نسألك خير هذه  
القرية وخير أهلها ، وخير ما فيها ، وننعوا بك من شرها وشر أهلها  
وشر ما فيها ثم قال أقدموا باسم الله "

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا غزا قوماً لم يُغز عليهم حتى  
يصبح ، فإن سمع آذاناً أمسك ، وإن لم يسمع آذاناً أغار ..  
ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم خير ليلاً فبات حتى أصبح لم  
يسمع آذاناً واستقبل عمال خير غادين إلى أعمالهم .. فلما رأوا رسول  
الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، قالوا : محمد والجيش معه ،  
فأدبروا هرباً ودخلوا حصونهم .. فحاربهم رسول الله واستمر القتال  
الشرس حتى تمكن جند الله من فتح الحصون واحداً تلو الآخر وكان  
النصر المبين .. وغنم المسلمون منها مغانم كثيرة ، وأصاب المسلمين  
سباياً كثيرةً منهم صافية بنت حي بن أحظب التي تزوجها رسول الله  
صلى الله عليه وسلم ..

وأثناء القتال خرج مرحباً اليهودي وقال : من يبارز  
فقال صلى الله عليه وسلم : " من لهذا ؟ "  
قال محمد بن مسلمة : أنا له يا رسول الله  
قال صلى الله عليه وسلم : " قم إليه ، اللهم اعنده عليه "  
فتتصاولاً فترى ، ثم أمكن الله بن مسلمة من مرحباً فقتله ..  
ثم خرج بعد مرحباً أخيه ياسر وهو يقول من يبارز ؟  
قال الزبير بن العوام .. أنا لك ..  
وتبارزاً فقتل الزبير ياسر اليهودي  
وتم فتح خير بفضل الله تعالى .. ودخلها المسلمون ..

## قصة الشاه المسمومة

فَلَمَّا اطْمَأَنَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَهْدَتْ لَهُ زَيْنَبُ بْنَتُ الْحَارِثَ شَاهَ مَشْوِيَّةً مَسْمُومَةً .. وَقَدْ عَرَفَتْ أَنَّ أَحَبَّ عَضُوٍّ مِّنَ الشَّاهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الذَّرَاعَ فَأَكْثَرَتْ فِيهَا السَّمِ .. ثُمَّ جَاءَتْ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدِيهِ فَتَنَوَّلَ الذَّرَاعَ فَلَمَّا كَانَتْ مِنْهَا مَضْغَةٌ قَلَمْ يُسْفِهَا .. وَكَانَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ بْنُ مَعْرُورَ فَأَكْلَلَ مِنَ الشَّاهِ فَمَاتَ .. أَمَّا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَفَظَهَا ثُمَّ قَالَ : "إِنَّ هَذَا الْعَظِيمَ لِيُخْبِرُنِي أَنَّهُ مَسْمُومٌ .." ثُمَّ دَعَا بِهَا فَاعْتَرَفَ فَسَأَلَهَا : "مَا حَمْلُكَ عَلَى هَذَا ؟"

قَالَتْ : بَلَغْتُ مِنْ قَوْمِي مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكَ .. فَقَلَتْ إِنْ كَانَ مَلْكًا اسْتَرْحَتْ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانَ نَبِيًّا فَسَيُخْبِرُ .. فَتَجَاوَزَ عَنْهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

---

وَوَصَلَ جَعْفُرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَأَصْحَابِهِ خَيْرٌ بَعْدَ فَتْحِهَا قَادِمِينَ مِنَ الْحَبِشَةِ فَأَسْهَمُوهُمْ لِهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَأَنَّهُمْ أَدْرَكُوهُ فِيهَا .. وَرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ جَبَهَةِ خَيْرٍ وَقَالَ : "وَاللَّهِ مَا أَدْرِي بِأَيِّهِمَا أَفْرَحُ ، بِفَتْحِ خَيْرٍ أَمْ بِقَدْوَمِ جَعْفَرٍ ؟"

---

وَلَمَّا فَرَغَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ خَيْرٍ اتَّصَرَفَ إِلَى وَادِي الْقَرْيَ فَحَاقَرَ أَهْلَهُ لِيَلَالِي ثُمَّ عَادَ فِي رَعَايَةِ اللَّهِ إِلَى الْمَدِينَةِ ..

## فتح مكة

كان صلح الحديبية بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين قريش في آخر سنة ست هجرية اصطلاحاً فيه على وضع الحرب بينهما عشر سنين يأمن فيها الناس ويكتف بعضهم عن بعض ، وأنه من أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه ، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه .. ودخلت قبيلة خزاعة في حلف رسول الله صلى الله عليه وسلم ودخلت قبيلة بكر في حلف قريش ..

وأختلف رجال من بكر وخزاعة واقتتلا ، وأعانت قريشبني بكر بالسلاح والدواب ، وقاتل معهم جماعة من قريش مختفين فانحازت خزاعة إلى الحرم لاذة به إلا أن بكرالم تحترم الحرم وقتلت خزاعة به وقتلت منهم ..

وبهذا كانت قريش قد نقضت عهدها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أعانتبني بكر على خزاعة أحلاف النبي صلى الله عليه وسلم وغدرت بهم .. وعندئذ خرج رجل من خزاعة وتوجه إلى المدينة وأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالذى جرى .. وعزم النبي صلى الله عليه وسلم على غزو قريش وفتح مكة لتنقض قريش عهدهم معه ..

ولما علم حاطب بن أبي بلتعة بعزم رسول الله صلى الله عليه وسلم على المسير إلى قريش كتب كتاباً إلى قريش يعلمهم فيه بما عزم عليه الرسول ، وبعث الكتاب مع امرأة .. وأوحى الله إلى رسوله بالخبر

فارسل النبي صلی الله علیه وسلم علی بن أبي طالب والزبیر بن العوام  
لاقتکاک الكتاب منها قبل وصولها مکة ، فخرجا في أثرها فادرکاها في  
الطريق وأخذوا الكتاب منها ..

وأحضر رسول الله صلی الله علیه وسلم حاطبا وسأله عما حمله على  
هذا ؟ فقال : والله إني لمؤمن بالله ورسوله ما بدللت وما غيرت ولكن  
لي بين أظهرهم أهل وولد وليس لي عشيرة وأعلم أن الله ناصر رسوله  
قال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله أضرب عنقه ، فإنه قد  
نافق .. فقال صلی الله علیه وسلم : " وما يدریك يا عمر ، لعل الله قد  
أطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم "

### السیر إلى مکة

خرج رسول الله صلی الله علیه وسلم من المدينة في العاشر من  
رمضان .. وكان قد قسم الجيش إلى أربعة أقسام : الميسرة وعليها  
الزبیر بن العوام ، الميمنة وعليها خالد بن الولید ، القلب وعليه أبو  
عبيدة بن الجراح .. أما الطلیعة فقد جعل عليها سعد بن عبادة  
الأنصاري .. وأمر رسول الله صلی الله علیه وسلم قواه أن يدخلوا  
مكة بأقل ما يمكن من الدماء .. ولكن سعد بن عبادة خرج من عند  
رسول الله وهو ينظر إلى مکة من بعيد قائلا : اليوم يوم الملحة ،  
اليوم تستحل الحرمة

فقال صلی الله علیه وسلم لعلی بن ابی طالب : " ادركه فخذ الرایة منه  
فکن انت الذي تدخل بها " <sup>١</sup>

وفي الطريق إلى مكة لقى رسول الله صلی الله علیه وسلم عمه العباس  
بن عبد المطلب جاء مهاجرا فقال صلی الله علیه وسلم : " شاء الله أن  
تكون آخر المهاجرين وأنا آخر الأنبياء "

كما لقیه أبو سفیان بن الحارث بن عبد المطلب وأسلم بين يديه ..

قال العباس لرسول الله صلی الله علیه وسلم : إن أبا سفیان رجل يحب  
الفخر فاجعل له شيئا .. فقال صلی الله علیه وسلم : " من دخل دار أبي  
سفیان فهو آمن ، ومن أغلق بابه عليه فهو آمن ، ومن دخل المسجد  
فهو آمن "

فلما ذهب لينصرف قال صلی الله علیه وسلم يا عباس احبسه بمضيق  
الوادي حتى تمر به جنود الله فيراها .. ففعل العباس ما أمر به رسول  
الله صلی الله علیه وسلم

ومرت القبائل .. وكلما مرت قبيلة سأل عنها أبو سفیان فإذا أخبره به  
ال Abbas قال : ملي وليني فلان .. حتى مر رسول الله صلی الله علیه  
وسلم في كتيبة الخضراء فيها المهاجرين والأنصار ، فقال سبحان الله  
يا عباس من هؤلاء ؟ قال : هذا رسول الله في المهاجرين والأنصار  
قال : ما لأحد بهؤلاء قبل ولا طاقة ، والله يا أبا الفضل لقد أصبح ملك  
ابن أخيك الغدة عظيما

---

( ١ ) عبد الرحمن الشرقاوي ، محمد رسول الحرية ، ص ٣٦٠

قال العباس : يا أبا سفيان ، إنها النبوة

قال : فنعم إبن ا

---  
وخرج أبو سفيان إلى مكة فصرخ : يا معشر قريش .. هذا محمد قد جاءكم بما لا قبل لكم به .. من دخل داري فهو آمن ، ومن دخل المسجد فهو آمن ، ومن أغلق عليه بابه فهو آمن .. ثم قال : يا معشر قريش اسلموا .. ففرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد ..

---  
ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة اتجه إلى المسجد الحرام حتى إذا بلغ البيت طاف سبعا ، وأمر بتكسير الأصنام والتماثيل .. وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال : إن النبي صلى الله عليه وسلم لما رأى الصور في البيت لم يدخل حتى أمر فمحيت ، ورأى إبراهيم وإسماعيل بآيديهما الأزلام فقال :

"قاتلهم الله والله ما استقسما الأزلام قط " ٢

ولما كسرت الأصنام والتماثيل ومحيت الصور قال صلى الله عليه وسلم :

" جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا " ثم قال على باب الكعبة

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٢٧٣

(٢) البخاري ، ج ٥ ، ص ٨٧ كتاب المغازي ومسند أحمد ج ١ ، ص ٣٦٥

" لا إله إلا الله وحده ، صدق وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب  
وحده .. يا معاشر قريش .. إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية  
وتعظمها بالأباء ، الناس من آدم ، وآدم من تراب " ثم قال صلى الله  
عليه وسلم " يا معاشر قريش ، ما ترون أني فاعل بكم ؟ "

قالوا : خيرا ، أخ كريم وأبن أخ كريم  
قال صلى الله عليه وسلم : " اذهبوا فأنتم الطلقاء " فغدا عنهم بعد أن  
أمكنه الله تعالى منهم ، فضرب بذلك المثل في العفو والصفح عن  
الجناه بعد القدرة عليهم والتمكن منهم ..

---  
ثم جلس رسول الله صلى الله عليه وسلم على الصفا للبيعة وعمر بن  
الخطاب بجانبه

وتقى الرجال يبايعون رسول الله صلى الله عليه وسلم فكان يبايعهم  
على السمع والطاعة لله ولرسوله ، ولما فرغ من بيعة الرجال جاءت  
النساء للبيعة فقال صلى الله عليه وسلم لعمر بن الخطاب ببايعهن يا  
عمر .. واستغفر لهن رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ كان صلى الله  
عليه وسلم لا يصافح النساء ..

---  
ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من بيعة الرجال والنساء كان  
قد حان وقت الظهر فأمر بلا لآن يطلع على سطح البيت الحرام يؤذن  
للصلوة ..

ولما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم المسجد يوم الفتح وذلك في العشرين من رمضان أتى أبو بكر الصديق بوالده قحافة .. فلما رأه رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : " هلا تركت الشيخ في بيته حتى أكون أنا آتيه فيه !! "

قال أبو بكر : يا رسول الله هو أحق أن يمشي إليك من أن تمشي إليه أنت ..

فأجلسه النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه ثم مسح على صدره ..  
وقال أبو قحافة أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمدا رسول الله ..  
ثم دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم دار أم هانى بنت أبي طالب فاغتسل وصلى ثمان ركعات في بيتها ، وكان ضحى فظنها من ظنها صلاة الضحى ، وإنما هي صلاة الفتح ، وكان أمراء الإسلام إذا فتحوا حصننا أو بلدا صلوا عقب الفتح هذه الصلاة اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وفي القصة ما يدل على أنها بسبب الفتح شكر الله عليه ، فإنها قالت : ما رأيت صلاتها قبلها ولا بعدها ..

وأجارت أم هانى حموين لها .. فقال صلى الله عليه وسلم : " قد أجرنا من أجارت أم هانى " ١

---

وأقام النبي صلى الله عليه وسلم بمكة فترة اقتصر فيها ممن يستحقون القصاص .. وغفا عن كثير .. ودخل أهل مكة يومئذ في دين الله أتوا جا

---

( ١ ) ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ج ٢ ، ص ٢٣٨ - ٢٣٩

وطن الأنصار أن النبي لن يعود إلى المدينة وأنه سيؤثر المقام في بلده وبين أهله وعشيرته ، فثار النبي أن يطمئنهم وقال لهم : " معاذ الله المحييا محياكم والممات مماتكم "

وعاد النبي صلى الله عليه وسلم مع الأنصار إلى المدينة بعد الفتح وعاش بها حتى انتقل إلى جوار ربه ..

## غزوة حنين

### العام الثامن من الهجرة بعد فتح مكة

استناعت هوازن من فتح المسلمين مكة .. فخشدوا قواهم وخرجوا بقيادة مالك بن عوف لمقابلة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. وساقوا معهم أولادهم ونساءهم وانضم إليهم بعض العرب ..  
فلما نزلوا بأوطاس اجتمع إليهم الناس وفيهم دريد بن الصمة أقبل بأعوامه المائة وبكل تجاربه في الفنون والمعارك ..

قال دريد لمالك : إنك قد أصبحت رئيس قومك وإن هذا ليوم كانن ما بعده من الأيام ، مالي أسمع رغاء البعير ونهاق الحمير وبكاء الصغير قال مالك : سقت مع الناس أبناءهم ونساءهم وأموالهم ، أردت أن أجعل خلف كل رجل أهله وما له ليقاتل عنهم .. ونصحه دريد أن يبعد النساء والأبناء إلى موطنهم وأن يلقى المسلمين على متون الخيل ، وقال له إن كانت لك لحق بك من ورائك ، وإن كانت عليك كنت قد أحرزت أهلك ومالك ..

ولم يقبل مالك بن صيحة دريد وبعث عيونا له يأتون الخبر ، فرجعوا إليه وقد تفرقوا أو صالحهم فسألهم عما بهم فقالوا : رأينا رجالا بيضاء على خيل بلق ، فوالله ما تمسكنا أن أصابينا ما ترى .. ولم يثنه ذلك عن عزمه على قتال رسول الله صلى الله عليه وسلم ..

- - -

ولما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث إليهم أحد الصحابة ليأتيه بخبرهم ، فانطلق الرجل وأقام فيهم حتى سمع وعلم ما أجمعوا عليه .. ثم أقبل وأخبر الرسول الخبر وأدرك الرسول والمسلمون مما سمعوه أن عدوهم يخوض معركة الحياة أو الموت حقا وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد لقاء هوان .. وتقدم المسلمون .. وأمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يثبتوا طريقهم جيدا قبل أن يتقدموا حتى لا يفاجئهم العدو من شباب المنحدر .. وتقدم المسلمون .. في الطليعة خالد بن الوليد على رأس الفرسان مزهوين بسمعتهم الحربية وبما حققوه من انتصارات .. وتندفع وراءهم الجنود صفا بعد صفا ، وقد أعجبتهم كثرةهم وهم يملؤون الوادي حتى لقد نسوا أوامر قائهم أن يتحسسوا طريقهم وألا يتقدموا خطوة إلا بعد أن يتبيّنوا أنهم آمنون ..

وفجأة وهم يتخيّلُون بكثرةِهم إنهمْرت عليهم السهام كالأنهار من شباب كل المنحدرات المحيطة بالوادي ، وانفجر الرعب من كل المضائق وبرزت كتابٌ بني تقييف وحلفائهم تحاصرهم من كل مكان .

واضطربت الخيل والإبل وفر الفرسان .. وعمانية الفجر تحجب عنهم الكتاib التي تهبط من مضائق المنحدرات المحيطة بالوادي .. وتتابع فرار الجنود المسلمين ..

ولتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم فجأة فلم يجد من جنوده غير عشرات قليلة من المسلمين الأوائل ومن أهل بيته على رأسهم العباس وأبو بكر وعمر وأسامة بن زيد

وصرخ رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنوده الفارين : إلى أين أيها الناس .. هلموا إليّ .. أنا رسول الله .. أنا محمد بن عبد الله .. أنا النبي لا كذب ..

ويأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم عمه العباس - وكان امرئ جهور الصوت - أن يصرخ في الأنصار .. ويصرخ العباس : يا معشر الأنصار ..

فأجابوا : لبيك لبيك .. حتى إذا اجتمع إليه نحو مائة رجل جعلهم رسول الله تحت قيادة علي بن أبي طالب .. استقبلوا الناس فاقتتلوا .. وحمي الوطيس .. وقتل الناس قتالاً شديداً .. وعمد عليّ إلى قائد جيش العدو فقتله ..

ونظر رسول الله صلى الله عليه وسلم فرأى أم سليم الانصارية وفي يدها خنجر ، فسألها عنه فقالت : يا رسول الله إن دنا مني مشرك بقرت به بطنه <sup>١</sup>

وقد رُوي أن النبي صلى الله عليه وسلم أخذ حصاة فرمى بها في وجوه الكفار ثم قال : " انهزموا وربكم محمد ، شاهت الوجوه " مما خلق الله منهم إنسانا إلا ملأ عينيه ترابا بتلك القبضة ، فولوا مدبرين ..

وانهزمت هوازن .. وهرب حلفائهم .. وقصد بعض المشركين الطائف ومعهم مالك .. وأتبعتهم خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقتللت بعضهم .. وظفر المسلمون بالغنائم والسبايا .. وامر رسول الله أن يوضع الأسرى والغنائم في مكان آمن ..  
وجعل بعض صحابته على الغنائم والأسرى من النساء والأطفال ..  
وقاد جيشه إلى الطائف ليقتحمها على ثقيف التي اعتصمت وراء أسوارها ..

### غزوة الطائف

قاد رسول الله صلى الله عليه وسلم جيشه إلى الطائف ليقتحمها على ثقيف التي اعتصمت وراء أسوارها ، وأغلقوا عليهم أبوابها ..

---

( ١ ) ابن سعد ، الطبقات الكبرى ، ج ٨ ، ص ٤٢٥  
ولأم سليم الانصارية ( الرميصاء ) هي أول امرأة كان مهرها الإسلام ..  
وهي إحدى المبشرات بالجنة

ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم قريبا من الطائف فضرب به حسکره .. وطلب من بنى ثقيف التسلیم ، ولكنهم رفضوا وأقسموا لا يستسلموا حتى يدخل عليهم الطائف عنوة ..

وظلوا يرمون المسلمين بالسهام .. والذين فروا عن الرسول في أول غزوة حنين تباروا في الأعمال الفدائية أمام أسوار الطائف حتى فقد أبو سفيان عينه في بعض هذه الأعمال ، ولكن كل هذا كان بلا جدوى ' وبعد أن أنفق رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرين يوما في حصار الطائف قرر أن ينسحب بجيشه قبل أن يتحول الأمر إلى هزيمة نفست انتصاراته ..

وذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المكان الذي ترك فيه الأسرى والغائط ..

وهناك وجد من بين الأسرى الشيماء بنت الحارث أخته في الرضاعة فبسط لها رداءه وأجلسها عليه ، وخيرها وقال : " إن أحببت فعندي محببة مكرمة ، وإن أحببت أن أمتعك وترجعي إلى قومك فعلت "

قالت : بل تمعنني وتردّني إلى قومي ..

فعمل صلى الله عليه وسلم وأخرج عن كل نساء قبيلتها ورد إليهم أموالهم .. وأقبلت وفود القبائل التي حالفت بنى ثقيف تلتمس من رسول

---

( ١ ) عبد الرحمن الشرقاوي ، محمد رسول الحرية ، ص ٣٨٠

الله الإفراج عن أسرها من النساء فأفرج عنهم .. وكان لهذا العمل أثره  
في نفوس وفود القبائل فاعلن كثير منهم إسلامه ..

- - -

وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم مالك بن عوف سيد بنى تقييف  
فأسلم وحسن إسلامه ، فرد إليه رسول الله ماله ونساءه وأولاده وأهداه  
مائة بعير ..

وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم من تصرفه هذا أضعاف  
أضعف ما كان يمكن أن يكتب من حرب الطائف .. فما أن أعلن مالك  
بن عوف إسلامه حتى تبعه معظم أهل تقييف ..

- - -

وعاد رسول الله صلى الله عليه وسلم وال المسلمين إلى المدينة .. وفي  
الطريق مرّ بقبر أمه .. ودمعت عيناه .. تركته طفلاً يتيمًا ، وهو هو  
اليوم يحمل مسؤولية التنوير للأمة الإسلامية .. ثلين له الطائف وتتبعه  
قريش وترتفع رايته على المدينة وعلى مضارب الخيام العديدة في  
ال الصحاري الشاسعة ..

وكل ما ينشده الآن هو أن يجمع العرب المتنافرين تحت راية واحدة  
ليكونوا أمة واحدة تؤمن بإله واحد ودين واحد وقيم واحدة .

**قدوم الوفود إلى المدينة**

**في السنة التاسعة من الهجرة عام الوفود**

حق النبي صلى الله عليه وسلم عدة انتصارات حاسمة على قريش انتهت بفتح مكة ثم خرج إلى الروم بعد ذلك في غزوة تبوك التي انتهت ببقاء جنود الروم بحصونهم داخل بلاد الشام واحتماهم بها وعدم خروجهم منها لقتال المسلمين رهبة وخوفا منهم مع ما لدولة الروم من قوة وسلطان ..

فلما رأى العرب ما وصل إليه النبي صلی الله علیه وسلم والمسلمون من قوة ومنعه وأنهم أصبحوا أمة قوية لا يستهان بباسها وأنه لا قبل لأحد بعداوتها والتغلب عليها بعد أن دانت لها قريش ومن معها وأذعنوا ودخلوا في دین الله أفواجا .. عندئذ أخذت وفود القبائل العربية تتواجد إلى النبي صلی الله علیه وسلم تعلن إسلامها .. وقد أخبر الله تعالى بذلك في قوله ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ . ورأيت الناس يدخلون في دین الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كان توابا )<sup>١</sup>

وقد بدأ تواجد الوفود على النبي صلی الله علیه وسلم بعد عودته من غزوة الطائف إلى المدينة .. وكان أعضاء الوفود القادمة لمقابلة

---

( ١ ) سورة النصر - آية ١ - ٢

الرسول صلى الله عليه وسلم يمثّلون قبائلهم ويعبرون عن رغبتهم  
الصادقة في اعتناق الإسلام وإبداء طلباتهم ..  
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يكرم وفادة رسول القبائل ويعظمهم  
شرائع الإسلام وينحهم بعض الهبات والهدايا عند انصارفهم ..  
وكان من أهم هذه الوفود  
وفد ثقيف

جاء هذا الوفد النبي صلى الله عليه وسلم من الطائف للدخول في  
الإسلام بعد أن ترك جنودها حصونهم التي احتموا بها مدة حصار  
النبي لهم فيها ، وذلك بعد أن أدركوا أنه لا أمل في مقاومة النبي صلى  
الله عليه وسلم وحربه .. ولكنهم طلبوا من النبي أن يبقى لهم على  
أصنامهم فأبى ، ثم إنهم طلبوا إعفاءهم من الصلاة فقال لهم النبي صلى  
الله عليه وسلم : " لا خير في دين لا صلاة فيه "

وفد بنى أسد

وكانوا أقوىاء أشداء ، وقالوا الرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناكم قبل  
أن ترسل إلينا رسولا ، يمنون بهذا على النبي صلى الله عليه وسلم  
فأنزل الله تعالى فيهم « يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا علّ  
إسلامكم بل الله يمن عليكم أن هداكم لليمان إن كنتم صادقين » <sup>١</sup>

## وفد تميم

دخل الوفد المسجد ونادوا رسول الله صلى الله عليه وسلم من وراء حجراته بجفاء وسوء أدب قاتلين : يا محمد ، يا محمد أخرج إلينا .. فأنوا بذلك رسول الله بصياغهم ورفع أصواتهم ، فخرج إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وفيهم نزل قوله تعالى « إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون . ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيرا لهم والله غفور رحيم » <sup>١</sup>

ولما سمعوا ذلك أسلموا وندموا على ما كان منهم ..

## وفد بنو سعد بن بكر

بعث بنو سعد ضمام بن ثعلبة وافدا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عنهم .. فاقبل حتى وقف على رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصحابه فقال : أياكم ابن عبد المطلب

قال صلي الله عليه وسلم : " أنا ابن عبد المطلب "

قال : أنت محمد أنت

قال صلي الله عليه وسلم : نعم

قال : يا ابن عبد المطلب إني أسألك ومغلظ عليك في المسألة

قال صلي الله عليه وسلم : " سل عما بدا لك "

---

( ١ ) سورة الحجرات - آية ٤ - ٥

قال : أنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدي ، الله  
بعثك إلينا رسولا ؟

قال صلى الله عليه وسلم : " اللهم نعم "

قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدي ، الله  
أمرك أن تأمرنا أن نعبدك وحده لا نشرك به شيئا ، وأن نخلع هذه  
الأنداد التي كان آباءنا يعبدون معه

قال صلى الله عليه وسلم : " اللهم نعم "

قال : فأنشدك الله إلهك وإله من كان قبلك وإله من هو كائن بعدي ، الله  
أمرك أن نصلِّي هذه الصلوات الخمس

قال صلى الله عليه وسلم : " اللهم نعم "

ثم جعل يذكر فرائض الإسلام فريضة فريضة .. الزكاة والصيام ،  
والحج وشرائع الإسلام كلها يتشدد عند كل فريضة منها ، كما يتشدد  
في التي قبلها حتى إذا فرغ قال : أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن  
محمد رسول الله ..

وساؤدي هذه الفرائض ، وأجتب ما نهيتني عنه ، ثم لا أزيد ولا أنقص  
ثم انصرف عائدا إلى قومه .. فاجتمعوا إليه فكان أول ما تكلم به أن  
قال : بئسَ اللاتُّ وَالعزَّى ..

قالوا : مه يا ضمام .. اتق البرص .. اتق الج Zam .. اتق الجنون ..

قال : ويلكم إنهمَا والله لا يضران ولا ينفعان .. إن الله قد بعث رسولا  
وأنزل عليه كتابا استقذكم به مما كنتم فيه ، وإنني أشهد أن لا إله إلا الله

وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبد ورسوله ، وقد جئتم من عنده بما أمركم به وما نهاكم عنه .. فوالله ما أمسى من ذلك اليوم في حاضره رجل ولا امرأة إلا أسلما ..

قال عبد الله بن عباس : فما سمعنا بوافد قدم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة <sup>١</sup>

## وقد نجران

جاء الوفد من جنوب اليمن لمقابلة النبي صلى الله عليه وسلم وقد ارتدى الكهنة فيهم الملابس الحريرية الفاخرة وتکلّفوا في تزيين أنفسهم ولما حانت الصلاة صلوا مستقبلين بيت المقدس ، ولما أتموا صلاتهم دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم للإسلام فابوا وقالوا كنا مسلمين قبلكم .. فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : " كذبتم .. يمنعكم من الإسلام ثلاثة : عبادتكم الصليب ، وأكلكم لحم الخنزير ، وزعمكم أن الله ولد "

قالوا : فمن مثل عيسى ، خلق من غير أب .. وجادلوا في أشياء أخرى فأنزل الله تعالى قوله « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » <sup>٢</sup>

وبعد ذلك صالحوا النبي على الجزية ورجعوا إلى بلدهم ..

---

(١) ابن هشام ، السيرة النبوية ، ج ٤ ، ص ٤١٢ - ٤١٣

(٢) سورة آل عمران - آية ٥٩

## فرض الحج وابو بكر أميرا على الحج

فرض الله الحج في العام التاسع من الهجرة .. وكانت الوفود قد تولت على المدينة في هذا العام فأثر النبي صلى الله عليه وسلم أن يبقى بالمدينة لاستقبال الوافدين .. وبعث أبو بكر الصديق أميرا على الحج .. فخرج أبو بكر من المدينة يسوق البدن أمامه موليا وجهه شطر المسجد الحرام .. ونزل الوحي بسورة براءة بعد انصراف أبي بكر ووفد الحجيج فارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب إليه بالآيات ليقرأها على أهل الموسم .. وخرج فلحق أبو بكر في الطريق ، فسأله أبو بكر أميرا أم مأموم .. قال علي : بل مأموم .. وأبلغ أبو بكر برسالة رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمل أبو بكر على إعلان سورة براءة في مجامع الحجاج بواسطة مؤذنين وضعهم في عدة أماكن ..

ونادى علي رضي الله عنه يوم الأضحى قائلًا : لا يحجن بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان ، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فاجله إلى مده .. ورجع المشركون فلام بعضهم بعضا وقالوا : ما تصنعون ، وقد أسلمت قريش ؟ !! فأسلموا <sup>١</sup>

---

( ١ ) أبو بكر جابر الجازيري ، هذا الحبيب محمد يا محب ، ص ٣٦٦

## حجـة الوداع (البلاغ) <sup>١</sup>

اطمأن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن معظم القبائل العربية قد انطوت تحت لواء الإسلام ولم تعد أمامه مشاغل تشغلـه .. فعزم على أداء فريضة الحج .. وأعلن للناس عن نيته حتى يصحبه من يشاء منهم وخرج صلى الله عليه وسلم من المدينة يوم السبت الخامس والعشرين من ذي القعدة في العام العاشر للهجرة ، وسار معه حشد كبير من المهاجرين والأنصار والقبائل التي قدمت للمدينة لمرافقـة النبي في حـجـه ، ودعا الله تعالى قائلا : " اللهم اجعلـه حـجا مـبرورا لا رـيـاء فـيه ولا سـمعـة " .

ولما بلـغ النبي صلى الله عليه وسلم وصـحبـه الحـلـيفـة لـبس ثـيـاب الإـحرـام وأـحرـم المـسـلـمـون جـمـيعـا ، وأـخـذ يـلـبـي قـائـلا : " لـبـيك اللـهـم لـبـيك ، لـبـيك لـا شـرـيك لـك لـبـيك ، إـنـ الـحـمـدـ وـالـنـعـمـةـ لـكـ وـالـمـلـكـ لـا شـرـيك لـكـ " .  
وـالـمـسـلـمـون يـرـدـدون التـلـيـة ..

وـتـابـعـ المـوكـبـ الـوضـاءـ السـيرـ حـتـىـ وـصـلـ مـكـةـ فـدـخـلـ الرـسـوـلـ الـمـسـجـدـ الـحـرـامـ وـتـبـعـهـ سـائـرـ الـمـسـلـمـينـ ، ثـمـ رـفـعـ يـدـهـ قـائـلاـ : " اللـهـمـ زـدـ هـذـاـ الـبـيـتـ تـشـرـيفـاـ وـتـعـظـيمـاـ وـتـكـرـيـماـ ، وـزـدـ كـلـ مـنـ شـرـفـهـ وـعـظـمـهـ مـمـنـ حـجـهـ أوـ أـعـمـرـهـ تـشـرـيفـاـ وـتـكـرـيـماـ وـمـهـابـةـ وـتـعـظـيمـاـ وـبـرـاـ " .

---

( ١ ) سميت حـجـة الـودـاعـ لأنـهـ صـلـىـ اللهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ وـدـعـ أـمـتـهـ فـيـهاـ وـلـمـ يـحـبـيجـ بـعـدـهاـ .  
وـلـمـ يـعـشـ بـعـدـهاـ سـوـىـ بـضـعـةـ أـشـيـاءـ وـتـسـمـيـ حـجـةـ الـبـلـاغـ لـأـنـ رـسـوـلـ اللهـ صـلـىـ .  
الـهـ عـلـيـهـ وـسـلـمـ بـلـغـ فـيـهاـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـحـكـامـ .

ثم طاف بالبيت سبعة أشواط ثم صلى خلف مقام إبراهيم ركعتين ثم  
سعى بين الصفا والمروة وعاد بعدها إلى منزله ..  
وفي اليوم الثامن من ذي الحجة سار النبي صلی الله عليه وسلم إلى  
منى فأقام بها ليلة ، ثم خرج في صباح اليوم التاسع إلى جبل عرفات  
وال المسلمين يتبعونه ، وهناك ألقى خطبه الخالدة التي يعتبرها المسلمون  
دستور الإسلام

قال صلی الله عليه وسلم : " أيها الناس ، اسمعوا قولي فإني لا أدرى  
لعلي لا ألقكم بعد عامي هذا بهذا الموقف أبدا ، أيها الناس إن دماعكم  
وأموالكم عليكم حرام إلى أن تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا وكحرمة  
شهركم هذا ، وإنكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، وقد بلغت ،  
فمن كانت عنده أمانة فليؤددها إلى من ائتمنه عليها ، وإن كل ربا  
موضوع ، ولكن لكم رعوس أموالكم لا تظلمون ولا ظلمون ، قضى  
الله أنه لا ربا ، وإن ربا العباس بن عبد المطلب موضوع كله ، وإن  
كل دم كان في الجاهلية موضوع ، وإن أول دماعكم أضع دم ابن ربيعة  
ابن الحارث بن عبد المطلب ، وكان مسترضاً فيبني ليث ، فقتلته  
هذيل ، فهو أول ما أبدأ به من دماء الجاهلية ..

أما بعد ، أيها الناس فإن الشيطان قد يُئس أن يُعبد بأرضكم هذه أبدا ،  
ولكن إن يُطع فيما سوى ذلك فقد رضي به مما تحقرون من أعمالكم  
فالحذروه على دينكم .. أيها الناس إن النسخة زيادة في الكفر ، يُضل به  
الذين كفروا ، يحلونه عاما ويحرمونه عام ، ليواطئوا عدة ما حرم الله

فيحطوا ما حرم الله ويحرموا ما أحل الله ، وإن الزمان قد استدار كهينته  
يوم خلق الله السموات والأرض ، وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر  
شهرًا ، منها أربعة حرم ، ثلاثة متواالية ورجب الذي بين جمادي  
وشعبان ..

أما بعد أيها الناس فإن لكم على نسائكم حقا ، ولهن عليكم حقا ، لكم  
عليهن ألا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن ألا يأتين بفاحشة  
مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع ،  
وتضرريوهن ضربا غير مبرح .. فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهم  
بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا ، فإنهن عندكم عوان ، لا يملكن  
لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن  
بكلمات الله ، فأعتقلوا أيها الناس قولي ، فإني قد بلغت ، وتركت فيكم  
ما إن اعتصمنا به فلن تضلوا بعدي أبدا ، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة  
نبيه ..

أيها الناس اسمعوا قولي وأعاقلوه ، تعلمون أن كل مسلم أخ للمسلم ، إن  
ال المسلمين أخوة ، فلا يحل لامرئ من أخيه إلا ما أعطاه عن طيب نفس  
منه ، فلا تظلمن أنفسكم اللهم هل بلغت ؟ !! "

قال الناس : اللهم نعم

قال صلي الله عليه وسلم : " اللهم فاشهد "

أيها الناس إن الله قد أذى إلى كل ذي حق حقه ، وأنه لا تجوز وصية  
لوارث ، والولد لغيره وللعاهر الحجر ، ومن ادعى إلى غير أبيه أو

تولى غير مواليه ، فعلية لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل منه صرف ولا عدل ..

وبعد زوال الشمس أكمل رسول الله صلى الله عليه وسلم مشاعر الحج بعد أن علم الأمة كل ما هي في حاجة إليه إلى يوم الدين رُوِيَ عن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه قال : إن رسول الله صلى الله عليه وسلم اعتمر أربع عمرات كلهن في ذي القعدة إلا التي كانت مع حجته فإنما اعتمر في ذي الحجة ..

### مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته

بدأ مرض الرسول صلى الله عليه وسلم في أوائل شهر ربيع الأول من السنة الحادية عشر فاصابه صداع وحمى .. وقبل ذلك بأيام خطب الناس فنعتهم نفسه وهم لا يشعرون إذ صعد المنبر فحمد الله تعالى وأثنى عليه لما هو أله و قال : " إن الله خير عبدا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله "

فبكى أبو بكر .. فعجب الناس من بكائه ، بكى لأنَّه فهم أنَّ المُخْتَير هو رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما اشتد المرض على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعجز عن الصلاة بالناس قال : " مروا أبي بكر فليصل بالناس "

قامت أبو بكر يصلي بالناس .. ووجد النبي صلى الله عليه وسلم من نفسه قدرة فخرج بين العباس وعلي بن أبي طالب لصلاة الظهر ، فلما

رأه أبو بكر ذهب ليتأخر فاوما إليه صلى الله عليه وسلم ألا يتأخر وقال للعباس وعلي : أجلساني إلى جنبه .. فاجلساه إلى جنب أبي بكر أبو بكر يصلي - وهو قائم - بصلوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو قاعد ، والناس يصلون بصلوة أبي بكر <sup>١</sup>

ولما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع أول الذي قبض فيه صلى الله عليه وسلم والناس في صلاة الصبح وأبو بكر يصلي بالناس فاجأهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بكشف ستار حجرة عائشة فينظر إليهم وهم صفوف في الصلاة فتبسم رسول الله صلى الله عليه وسلم سرورا لما رأى من هيثتهم في صلاتهم .. وفرح الناس برسول الله فأشار إليهم بيده أن أتوا صلاتكم .. ثم دخل الحجرة وأرخى الستار ، وقال أنس بن مالك ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحسن هيئه منه تلك الساعة ..

وانصرف الناس بعد الصلاة وهم يرون النبي صلى الله عليه وسلم قد برئ من وجعه ..

واطمأن أبو بكر واغبط بما آنسه من ملامح العافية على النبي صلى الله عليه وسلم ورجع إلى منزله في ضواحي المدينة ..

وتدخل صفية على رسول الله فتراه يشكو فتقول له : لوددت أن الذي بك بي يا رسول الله وتسمعها عائشة وحفصة وزينب فيتغامزون عليها هذه الزوجة اليهودية التي تحسن الدخول إلى قلب الرجل بنعومتها !!

---

( ١ ) أبو بكر جابر الجازري ، هذا الحبيب محمد يا محب ، ص ٣٨٢

ويصرن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهن : "مضمض من  
تغامزك بها ، والله إنها لصادقة "

ولكن عائشة تقول متهكمة : حسبك من صافية قصرها فيضيق رسول  
الله صلى الله عليه وسلم بغيرتها ويقول لها : "لقد قلت كلمة لو مزجت  
بماء البحر لمزجته " ..

---

عن أبي هريرة أن جبريل أتى النبي صلى الله عليه وسلم في مرضه  
الذى فقضى فيه فقال : إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول : كيف  
تجدك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : "أجدني وجعا يا أمين الأمة" ثم  
جاءه من الغد فقال : يا محمد إن الله عز وجل يقرئك السلام ويقول :  
كيف تجدك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : "أجدني يا أمين الأمة وجعا"  
ثم جاءه في اليوم الثالث ومعه ملك الموت فقال : يا محمد إن ربك  
يقرئك السلام ويقول : كيف تجدك ؟ قال صلى الله عليه وسلم : "  
أجدني يا أمين الأمة وجعا ، من هذا الذي معك ؟ "

قال : هذا ملك الموت عليه السلام وهذا آخر عهدي بالدنيا بعدك ،  
وآخر عهdek بها ، ولن آسى على حالك من ولد آدم بعدك ، ولن أهبط  
إلى الأرض إلى أحد بعدك أبدا ، فوجد النبي صلى الله عليه وسلم

سکرہ الموت وعنه قدح فيه ماء ، فكلما وجد سکرہ أخذ من ذلك الماء  
فمسح به وجهه وهو يقول : " اللهم أعني على سکرہ الموت " <sup>١</sup>

---

وانتقل رسول الله صلی الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى يوم الاثنين  
الثاني عشر من ربيع الأول في السنة الحادية عشرة من الهجرة ..  
ولم ينتقل رسول الله صلی الله عليه وسلم إلى الرفيق الأعلى إلا بعد أن  
اكتمل الدين ودخل الناس في دین الله أفواجا ..  
يقول الله تعالى «اليوم أكملت لكم دینكم وأتممت عليکم نعمتی  
ورضيت لكم الإسلام دینا» <sup>٢</sup>

وترک امته على المحجة البيضاء  
وقد رُوي عن النبي صلی الله عليه وسلم أنه قال : "قد تركتم على  
المحجة البيضاء ليلها كنهارها لا يزيف عنها بعدي إلا هالك" رواه  
الحاکم في المستدرک  
ولقي رسول الله صلی الله عليه وسلم ربہ کبیة الأنبياء والرسّل  
وغيرهم لأن البقاء لله وحده ..  
يقول تعالى «وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفبن مت فهم الخالدون .  
كل نفس ذاتفة الموت ونبلوکم بالشر والخير فتنة وإلينا ترجعون» <sup>٣</sup>

(١) رواه الترمذی ۲۹۷۸ وابن ماجہ ۱۶۲۳ والحاکم ۲ ۴۶۵ و ۳ ۵۶

(٢) سورة العنكبوت - آية ۳

(٣) سورة الأنبياء - آية ۲۳ ، ۲۴

وحضر أبو بكر فدخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مغشى  
بثوب حيرة فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله ، وبكى .. ثم قال :  
بابي أنت وأمي يا رسول الله ، والله لا يجمع الله عليك موتين ، أما  
الموته التي كتبت عليك فقد مُتّها

وخرج أبو بكر فأقبل الناس إليه فقال : من كان منكم يعبد محمدا صلى  
الله عليه وسلم فإن محمدا قد مات ، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي  
لا يموت ..

يقول الله تعالى « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل . أفإن  
مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم . ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر  
الله شيئا سيجزي الله الشاكرين » <sup>١</sup>

وروى عن ابن عباس أنه قال : والله لكان الناس لم يعلموا أن الله أنزل  
هذه الآية حتى تلها أبو بكر ، فتقاها منه الناس كلهم ، فما أسمع بشرا  
من الناس إلا يتلوها ..

وقال عمر بن الخطاب : والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلها  
فعقرت حتى ما ثقلني رجلا ي ، وحتى أهويت إلى الأرض حين  
سمعته تلها إن النبي قد مات      رواه البخاري

---

روي عن أنس بن مالك أنه قال : لما تغلق النبي صلى الله عليه وسلم  
جعل يتعشاه الكرب ، فقللت فاطمة : واكرب ابناه .. فقال لها صلى الله

---

(١) سورة آل عمران - آية ١٤٤

عليه وسلم : "ليس على أبيك كرب بعد اليوم ، وبشرها بأنها سيدة نساء العالمين "      صحيح البخاري

فلما مات قالت : يا أبناه .. أجاب ربا دعاه ، يا أبناه من جنة الفردوس مأواه ، يا أبناه إلى جبريل ننعاه ، فلما دفن قالت : يا أنس أطابت أنفسكم أن تتحثوا على وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم التراب "      رواه البخاري

وقد رُوي عن ابن عباس أنه قال : أُوحى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابنأربعين ، وأقام بمكة ثلاثة عشرة سنة وبالمدينة عشرة وتوفي وهو ابن ثلاثة وستين "      رواه البخاري ٣٩٠٢

فصلى الله عليه وسلم يوم ولد ويوم دعا وجاحد ويوم حج واعتبر .. ويوم ودع .. ويوم التحق بالرفيق الأعلى في جنة عرضها السموات والأرض ..

### الصلاحة على النبي والسلام عليه

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من صلى على صلاة صلى الله عليه عشر صلوات ، وحط عنه عشر خطبات "      رواه الإمام أحمد  
وقال صلى الله عليه وسلم : "إن أولى الناس بي يوم القيمة أكثرهم على صلاة"      رواه الترمذى

وقال صلى الله عليه وسلم : "ما من أحد يسلم على إلا رد الله إلى روحه حتى أرد عليه السلام "      رواه الإمام أحمد وأبو داود

وبعد ..

فقد عشت في صحبتك يا رسول الله .. أقطف من زهور حديقتك  
العطرة الفيحة .. أتناول بعضا من إنسانيتك ..  
عشت مع الكثير من مواقفك الإيمانية الخالدة .. واكتشفت بعد تسجيل  
سيرتك الطيبة أن ما كتبته ليس إلا قطرة في نهر عظمتك ..  
وحسبي أنني عشت في صحبتك .. صحبة في القلب .. نسأل الله أن  
يديمها ويمدها بمدد من عنده حتى نعمل بما جئت به ونجاهد في سبيل  
الله ، ونشهد برسالتك عند السؤال في القبر .. ونَرِد حوضك الشريف  
فلا نرد عنه فنشرب - برحمة الله وبرحمتك - منه شربة هنية لا نظما  
بعدها أبدا .. وأن يسعدنا الله بشفاعتك ورفعتك في أعلى الجنان ، في  
الفردوس الأعلى ..

اللهم صلي على سيدنا محمد في الأولين ، وصلي على سيدنا محمد في  
الآخرين ، وصلي على سيدنا محمد في كل وقت وحين ، وصلي على  
سيدنا محمد في الملا الأعلى إلى يوم الدين ، وصلي على سيدنا محمد  
صلاة ترضى بها يا رب العالمين ، وسلاما على أزواجـهـ أمـهـاتـ  
المؤمنـينـ وآلـ بيـتهـ الأطـهـارـ الطـيـبيـنـ ، وأـصـحـابـهـ أـجـمـعـينـ ، وـتـابـعـيهـمـ  
باـحـسـانـ إـلـىـ يـوـمـ الدـيـنـ .. وـاجـعـلـنـاـ معـهـمـ بـرـحـمـتـكـ ياـربـ العـالـمـينـ ..  
اللهم أـمـينـ ..

---

وبهذا ينتهي الجزء السادس من هذا الكتاب بفضل الله وتوفيقه ..  
والحمد لله رب العالمين والصلوة والسلام على سيدنا محمد أشرف  
المرسلين ..

## { المراجع }

- القرآن الكريم
- تفسير الجلالين . دار التراث
- تفسير الإمام القرطبي . الجامع لأحكام القرآن
- الشيخ محمد رشيد رضا . تفسير المنار
- صحيح البخاري . الطبعة الأولى
- الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية . زاد المعاد في هدي خير العباد
- أ. د أحمد عمر هاشم . من هدي الشريعة
- ابن كثير . قصص الأنبياء .
- أمينة الصاوي . الكعبة المشرفة
- الإمام جمال الدين يوسف بن حسن بن عبد الهادي المقدس (ابن المبرد) . الشجرة النبوية في نسب خير البرية
- أبو بكر جابر الجزائري . هذا الحبيب محمد يا محب
- ابن هشام . السيرة النبوية تحقيق الدكتور محمد فهمي السرجاني
- الإمام محمد أبو زهرة . خاتم النبيين
- الحافظ بن كثير . البداية والنهاية

- رفاعة رافع الطهطاوي . محمد صلى الله عليه وسلم نهاية الإيجاز في سيرة مساكن الحجاز / دراسة وتحقيق د . وفاء أبو زيد
- الشيخ محمد متولى الشعراوي . الهجرة النبوية
- ابن سعد / الطبقات الكبرى
- د . طه حسين . مرآة الإسلام
- عبد الرحمن الشرقاوي . محمد رسول الحرية

## قائمة المحتويات

### صفحة

### الموضوع

|    |   |
|----|---|
| ٤  | إهداء<br>مقدمة                                      |
| ٧  | ○ الجزء الأول " الاحتياج إلى بعثة الرسل "           |
| ٨  | الاحتياج إلى بعثة الرسل                             |
| ١٣ | الأنبياء والرسل وأولو العزم                         |
| ١٧ | الإسلام هو دعوة كل الرسل                            |
| ١٩ | علاقة الإسلام بالاديان الأخرى                       |
| ٢٥ | ○ الجزء الثاني " أول الرسل إلى أهل الأرض "          |
|    | نوح عليه السلام                                     |
| ٣٠ | عمل السفينة   |
| ٣٤ | هبوط السفينة  |
| ٣٥ | صوم نوح عليه السلام                                 |
| ٣٥ | وصية نوح عليه السلام                                |
| ٣٦ | وفاته   |
| ٣٧ | ○ الجزء الثالث " إبراهيم الخليل عليه السلام "       |
| ٤٠ | أبو الأنبياء  |
| ٤٧ | برود النار  |
| ٤٧ | مناظرة الخليل إبراهيم والنمرود                      |
| ٤٨ | هجرة الخليل إبراهيم إلى الشام ودخوله الديار المصرية |
|    | واستقراره في الأرض المقدسة                          |
| ٤٩ | مولود إسماعيل عليه السلام                           |
| ٥١ | زرم   |

**الذبيح إسماعيل  
زواج إسماعيل**

- ٥٤ بناء إبراهيم ولده إسماعيل عليهما السلام الكعبة  
 ٥٥ آذان إبراهيم بالحج  
 ٥٨ شفاء الله ورسوله الكريم على عبده وخليله إبراهيم  
 ٥٩ ذكر قصره في الجنة  
 ٦٤ رسول الله صلى الله عليه وسلم يصف إبراهيم عليه السلام  
 ٦٩ ○ العجز الرابع "موسى كلية الله كلية السلام"  
 ٧١ صفوة الله في طلقة (ابن حماس)

**اذهب إلى فرعون  
إيمان السحررة**

- ٨٣ مؤمن آل فرعون  
 ٨٨ خروج المؤمنين من مصر  
 ٨٩ ما كان من أمربني إسرائيل بعد هلاك فرعون  
 ٩٣ دخولبني إسرائيل التيه وما جرى لهم فيها من أمور  
 ٩٤ طلب موسى رؤية ربها  
 ٩٥ عبادةبني إسرائيل العجل في غيبة موسى عليه السلام  
 ٩٧ قصة بقرةبني إسرائيل  
 ٩٩ قصة موسى والخضر  
 ١٠١ من فضائل موسى عليه السلام  
 ١٠٢ وفاة موسى عليه السلام  
 ١٠٦ ○ العجز الخامس "ميسى بن هريم"  
 ١٠٩

**روح الله وكلماته**

- ١١٤ ميلاد عيسى عليه السلام  
 ١١٦ نشأة عيسى عليه السلام  
 ١١٩ نزول الوحي على عيسى عليه السلام  
 ١٢٢ ذكر خبر العائدة

من أقوال السيد المسيح  
رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

○ العزء السادس " محمد بن عبد الله بن

محمد المطليه " صلى الله عليه وسلم

- ١٣٠ حديث الشفاعة  
١٣١ مولد الرسول صلى الله عليه وسلم  
١٣٢ ارضاع الحبيب ومراضعه صلى الله عليه وسلم والخير الذي  
أصاب حلية  
١٤٠ نزول أبو طلب ورسول الله صلى الله عليه وسلم ببحيري  
١٤٢ خروجه إلى الشام في تجارة لخديجة  
١٤٤ زواج الرسول بخديجة  
١٤٥ إعادة بناء الكعبة ووضع الحجر الأسود  
١٥٢ الجهر بالدعوة  
١٦١ عداون المشركين على المستضعفين من أسلم بالأذى  
١٦١ ما لقيه بلال وتخلص أبو بكر له  
١٦٢ تعذيب قريش آل ياسر  
١٦٢ الهجرة إلى أرض الحبشة  
١٦٣ إرسال قريش إلى الحبشة في طلب المهاجرين إليها  
١٦٦ صحيفة قريش وما حل بها  
١٦٧ خروج رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الطائف  
١٧٠ عام الحزن  
١٧١ في حماية الله تعالى  
١٧٤ الأسراء والمعراج  
١٧٩ مواصلة الرسول الدعوة  
١٨١ بيعة العقبة الأولى  
١٨١ بيعة العقبة الثانية  
١٨٣ المؤامرة على رسول الله صلى الله عليه وسلم  
١٨٦ هجرة الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة

|     |  |
|-----|--|
| ١٨٨ | حديث أم معد  |
| ١٩٠ | وصول الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة                                   |
| ١٩٢ | بناء المسجد النبوي الشريف وتغيير القبلة                                      |
| ١٩٣ | خبر الآذان   |
| ١٩٤ | المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار  |
| ١٩٦ | جهاد النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة                                     |
| ١٩٦ | غزوات الرسول صلى الله عليه وسلم  |
| ١٩٧ | غزوة بدرا  |
| ٢٠١ | بناء العريش للرسول صلى الله عليه وسلم  |
| ٢٠١ | النقاء الفريقين  |
| ٢٠١ | الرسول صلى الله عليه وسلم ينشد ربه النصر                                     |
| ٢٠٢ | أول شهيد من المسلمين   |
| ٢٠٢ | تحريض المسلمين على القتال  |
| ٢٠٣ | قتل أمية بن خلف وأبا جهل ( عمرو بن هشام )                                    |
| ٢٠٤ | الرجوع إلى المدينة   |
| ٢٠٤ | غزوة أحد   |
| ٢١١ | غزوة الأحزاب ( الخندق )  |
| ٢١٣ | آيات ظهرت أثناء حفر الخندق   |
| ٢١٥ | عبور الخندق  |
| ٢١٧ | غزوة بنى قريظة   |
| ٢٢٠ | تحكيم سعد بن معاذ في أمر بنى قريظة   |
| ٢٢٢ | وفاة سعد بن معاذ   |
| ٢٢٢ | غزوة بنى المصططلق  |
| ٢٢٣ | الفتنة بين المهاجرين والأنصار  |
| ٢٢٤ | حديث الإفك   |
| ٢٢٦ | رسائل النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحكام والملوك في السنة السادسة من الهجرة |
| ٢٢٨ | غزوة خيبر  |
| ٢٣٠ | قصة الشاة المسمومة   |

|     |   |
|-----|---|
| ٢٣١ | فتح مكة   |
| ٢٣٧ | غزوة حنین   |
| ٢٤٠ | غزوة الطائف   |
| ٢٤٣ | قدوم الوفود إلى المدينة في السنة التاسعة للهجرة<br>( عام الوفود ) |
| ٢٤٤ | وفد ثقيف  |
| ٢٤٤ | وفد بنى أسد   |
| ٢٤٥ | وفد تميم  |
| ٢٤٥ | وفد بنى سعد بن بكر  |
| ٢٤٧ | وفد نجران   |
| ٢٤٨ | فرض الحج وأبو بكر أميرا على الحج                                  |
| ٢٤٩ | حجّة الوداع   |
| ٢٥٢ | مرض النبي صلى الله عليه وسلم                                      |
| ٢٥٧ | الصلوة على النبي والسلام عليه                                     |
| ٢٦٠ | ○ قائمة المراجع   |



المؤلف

الكاتب الصحفي : محمد حمدي عبد الحميد

○ حصل على لسانس الحقوق من جامعة القاهرة عام

١٩٦٣

○ قام بعمل دراسات في الشريعة الإسلامية

○ كتب في عدة صحف ومجلات خاصة

○ عمل بوزارة العدل والتليفزيون المصري ووزارة

الثقافة والحكم المحلي لعدة سنوات ورأس إحدى

الوحدات المحلية

○ صدر للمؤلف عدة كتب منها :

١. مدرسة الرسول صلى الله عليه وسلم

٢. الصفوة من الصحابة والتابعين

٣. أولو العزم من الرسل

٤. المبشرون بالجنة تحت الطبع

٥. نساء حول الرسول تحت الطبع

ونساء مبشرات بالجنة